

خواطر

عَهْدُ الشَّبَابِ

أسماء عبد الوهاب السَّقْطِي



بيلوماليا
للنشر والطباعة

عَهْدُ الشَّبَابِ

خواطر

أسماء عبد الوهاب السَّقَطِي

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر مقدماً.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

- ❖ الكتاب: عهد الشباب
- ❖ المؤلف: أسماء عبد الوهاب السقطي
- ❖ نوع العمل: خواطر
- ❖ الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة
- ❖ الناشر: ببلوماتيا للنشر والتوزيع - مصر
- ❖ رقم الإيداع : 2019 / 13515
- ❖ الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6754-06-5
- ❖ بريد الكاتبة الإلكتروني: asma_alsakati@yahoo.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلوماتيا للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى الرِّجالِ المُؤمِنينَ الذينَ صدَّقُوا ما عاهدُوا اللهَ عليه،
إلى مَنْ قضَى نَحْبَهُ منهم، وإلى مَنْ يَنْتَظِرُ، والذينَ لَمْ
يُبدِلُوا تَبْدِيلًا.

الشكر

بعد الحمد لله حُبًّا وشكراً...

في كلِّ التفاتةٍ لي أُحسُّ شُكرَهم واجِباً، ولا زلتُ أتقَى أثرَ نورِهم

وإنَّ أبعدَ بيننا الزَّمان...

همُ أهلي وسندي ومنبَعُ الاحترامِ والأمان، أُرسلُ لجانبِهم كلَّ

الامتنان.

ثمَّ إلى كلِّ فِكْرٍ مُنيرٍ عمَّرَ للعلمِ عماداً، وأقامَ للقلمِ مقاماً.

لَا تَنْتَهِي مَسِيرَةُ حَيَاةِ الشَّابِّ إِلَّا عِنْدَمَا
يُوفَى بِعَهْدِهِ...

المقدمة

لحمد لله الذي علمنا ما لم نكن نعلم ، وفهّمنا ما لم نكن نعرف ولا نفهم ، 5
وصلّى الله على محمد نبيّه ورسوله وسلّم ، وعلى آله الطيّبين الطاهرين
وشرف وكرم ،

وبعد فإنّي لكثيرة ما لزمّت من الأسفار ، وجُلّت من البلاد والأقطار ، أيّام رحلتي ،
وعنفوان شببتي وقوّتي ، وعرفني ثقات المسافرين ، وأمناء التجار المتجولين ،
السنة الرمان ، وحُدّات الحوادث من مكان الى مكان ، مع ما تصرّفت فيه من 10
الأشغال ، وظهرت عليه بسبب الاشتغال ، وتبّهني على جلّائه من رغب متّي
القرب ، ونعج في الكشف عنه من أظهر في ولايتي الاعتقاد والحبّ ، ممّن كان
شاهد واختبر ، واستغنى بالتجربة عن الخبر ، وحسنت في ذات الله نيّته ،
وكرمت حجّته وطويّته ، تحصّل في فهمي ، وتقرّر في حقيقة [fol. 1 v°] علي ،

— شبابٌ قطعوا على أنفسهم عهداً، لم يدر بها الناس إلا بعد أن رأوا ماثلاً ورأوا آثار عهودهم بكلّ
فخرٍ تنير لغيرهم الدروب؛ منهم من بنى بالعلم مجداً، ومنهم من قدّم بأخلاقه مثلاً، ومنهم من جعل
من الإنسانية منهاجاً، ومنهم من قضى بروحه لأمتّه فداءً.

لقد قصدت أن أحكي بلسانهم وأصف حال بينهم التي لم يتسنّى لمعظمهم التعبير عنها - ولأنني في
عمرهم - تقاربت مشاعري مع مشاعرهم وتشابهت الظنون، على أنني في هرّم نفسي أشابه
العجائز أكثر من الشباب.

— وأرثي هنا حالي وحال من عاشوا السنون الصعبة التي لما يزهر ربيعها، راويةً التجارب سهلها
وصعبها والمشاعر حلوها ومرّها، وناقلةً كلام ذات البين من شابٍ أو شابةٍ خشياً التعريف بأنفسهم
تجنباً لمجتمعٍ يسطاد الكلمات من أفواه أصحابها ويرفعها ضدّهم سلاحاً، في زمنٍ انتشر فيه
السلاح.

— وإنّ الأمثلة في هذا الكتاب ليست خاصةً بفلانٍ أو فلانةٍ أو فئةٍ من الناس، هي أمثلة لكلّ من
نراهم كلّ يومٍ ونعيش معهم أو نلقاهم عابرين. إنّما الفرق فيما إذا تفكرنا بهم أو لا. وكلّ

¹ أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقّطي، آداب الحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال- كولان، مطبعة إرنست لورو، باريس، 1931، ص1.

الشباب أصحاب العهود هم ليسوا محدودين بما ذُكرَ هنا بل هم نماذجُ لسنابلٍ كثيرةٍ نابتةٍ في كلِّ أنحاءِ الدنيا تفيضُ على من حولها بالخيرِ والبركة.

— ومما تفرَّرَ في علمي، غايةً ما انفكَّ بنو البشرِ يبحثون عنها هدفاً، كانت غايةً أُسمى من كلِّ عناءِ السفرِ وكانت فرحتي بإبصارها راحةً صبغت الجوارحَ وأصلحتُ البال. غايتي مُدُّ كنت فتاةً أن أصيرَ شابةً تشقُّ الدروبَ وتثبتُ للناسِ أن الإيمانَ سعادةٌ، والإيمانُ هو ما وقرَ في القلبِ وصدَّقه العمل.

كفاني إلى يومي هذا تحقيقُ غايتي وإنِّي لأحمدُ الله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

أسماء السَّقْطِي

Happy creative

كانون الأول/ 2018

مصطلحات الكتاب 2:

الشباب: (اسم)

الفتاء والحدائث، عكس هَرَم.

شبابُ الشيء: أولُهُ

الشَّبابُ: الشَّبيبُ،

اندفاع الشباب: طيشه وتهوُّره،

حُمياً الشباب: حدته ونشاطه،

رونق الشباب: أوله وطرأوته، ماؤه ونضارته،

عزَّ الشباب / عنفوان الشباب / عُلوَّاء الشباب: أوله ونشاطه،

في رائعة شبابه: في ريعانه وميِّعته،

مات في ريعان شبابه: في مقتبل عمره.

السياحة: التَّنْقُلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرَ قَصْدَ الرَّاحَةِ وَالتَّنَزُّهِ وَحُبَّ الاستِطْلَاعِ

سائح: (اسم)، الجمع: سائحون وسِيَّاح. اسم فاعل من سَاحَ

السائح: صائم ملازم للطَّاعة أو مهاجر في سبيل الله تعالى

السائح: المتنقِّلُ في البلاد للتَّنَزُّهِ أو للاستِطْلَاعِ والبحث والكشف ونحو ذلك والجمع: سِيَّاحٌ

ذَهَبَ سَائِحاً: ذَهَبَ سَائِراً كَالثَّانِيهِ

الحياة: النَّمُوُّ والبقاء: متاعها الزائل، الجمع: حَيَوَات

أودى الشيء بحياة فلان: ذهب به، أهلكه،

الحياة الأبدية: الحياة الآخرة،

الحياة الباقية: الحياة الآخرة، ما بعد الموت، دار البقاء،

الحياة الدنيا: الحياة في عالمنا هذا، عكسها الحياة الآخرة، البقرة آية 86 أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

بِالْآخِرَةِ

الحياة العصرية: مواكبة الموضة ومتطلبات العصر،

بين الحياة والموت: يعاني سكرات الموت، في حالة النزاع،

حياة أدبية: ما يشهده الأدب من فعاليات ونشاط،

حياة اجتماعية: ما يتصل بالوضع الاجتماعي عامة،

حياة التشرُّد: الضياع والتشرُّد،

حياة خسنة: فقيرة،

حياة عائلية: تتصل بالأسرة،

حياة كلاب: تعيسة، بائسة،

دخل حياته: صار جزءاً منها،

شريكة الحياة: الزوجة،

عادت له الحياة: بُعث من جديد، جُدِّد الاهتمام به،

عركته الحياة: محنك، مجرَّب،

على قَيْدِ الحَيَاةِ: ما زال حَيًّا،
في خِصَمِ الحَيَاةِ: في مشاغلها الكثيرة،
لمدى الحَيَاةِ: طوال عمره،
ماء الحَيَاةِ: عرق (شراب مسكر)
مسألة حَيَاةٍ أو مَوْتٍ: لا تحتمل التأجيل، أمر لا بدّ من الحسم فيه،
مُسْتَوَى الحَيَاةِ: مُسْتَوَى وَاقِع مَعِيشَةِ الْإِنْسَانِ وَنَشَاطِهِ الحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ
الحَيَاةِ العَامَّةِ: المَرَافِقُ العَامَّةُ.

العُرْبَةُ: مصدر عَرُبَ.

العُرْبَةُ: النَّوَى والبُعْدُ
طَالَتْ عُرْبَتُهُ: طَالَ بُعْدُهُ عَنِ وَطَنِهِ وَأَهْلِهِ
عَاشَ زَمَانًا طَوِيلًا فِي العُرْبَةِ: فِي بِلَادِ النُّزُوحِ وَالهِجْرَةِ
وَجَدْتُهُ فِي عُرْبَةٍ: فِي وَحْشَةٍ
فقد الأَحَبَّةُ عُرْبَةً: من فقد أَحَبَّتَهُ صار كالغريب بين الناس، وإن لم يفارق وَطَنَهُ
العُرْبَةُ: بِيَاضٌ صِرْفٌ

مرأة: أنثى الرجل. تَعْرِيفُهَا المَرَأَةُ. جمع: نِسَاءٌ، نِسْوَةٌ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهَا - المَرَأَةُ هِيَ نِصْفُ المُجْتَمَعِ -
امرؤ: رجل أو إنسان وتظهر حركة الإعراب فيها على الراء والهمزة (امرؤ، امرأ، امرئ)، الجمع:
رج، المؤنث: امرأة، الجمع المؤنث: نِسَاءٌ، نِسْوَةٌ، نِسْوَانٌ.
- عند التثنية امرأة وعند التعريف امرأة.

أَدَمُ: (اسم): آدَمُ: فاعل من أَدِمَ.

أَدِمَ: (فعل): آدَمَ يُؤَدِمُ، إيداماً، فهو مُؤَدِمٌ، والمفعول مُؤَدَمٌ - للمتعدّي

أَدَمَ بَيْنَهُمَا إيداماً: أَصْلَحَ وَأَلْفَ

أَدَمَ الخَبِزَ والجِلْدَ: أَدَمَهُ

أَدَمَ الشَّمْسُ فلاناً: لَوَّحَتْ لَوْنَهُ

أَدَمُ: (اسم): أبو البشر، خلقه الله من طين وأمر الملائكة أن تسجد له فسجدوا إلا إبليس

بَنُو آدَمَ: ذُرِّيَّةُ بَنِي آدَمَ، أي الجِنْسُ البَشَرِيُّ، الخَلْقُ

تُقَاحَةُ آدَمَ: (التشريح) بروز غُضْرُوفِيٍّ نَاتِيٍّ أَعْلَى الرقبة، يتحرك أثناء البلع

آدَمُ: (اسم): آدَمُ: جمع آدَمُ.

حَوَاءُ: (اسم) حَوَاءُ: زَوْجُ آدَمَ، أُمُّ البَشَرِ

مؤنثٌ أَحْوَى

حَوَاءُ: (اسم) فاعل من حَوَى

حَوَاءُ: (اسم) الجمع: أَحْوِيَّةُ

الجَوَاءُ: المكان الذي يحوي الشيء

الجَوَاءُ: بُيُوتُ النَّاسِ مِنَ الوَبَرِ مجتمعة على ماءٍ

حَوَاءُ: (اسم) حَوَاءُ: مؤنثٌ أَحْوَى

أَحْوَى: (اسم) الجمع: حَوَّى، المؤنث: حَوَاءُ، والجمع للمؤنث: حَوَّى، مَنْ أو ما شاب حمرته أو خضرته
سوادٌ

حَوِي: (فعل) حَوِيَ يَحْوِي، احو، حَوَى وَحُوَّةً، فهو أَحْوَى، وهي حَوَاءٌ والجمع: حُوٌّ
حَوَى النبات: اسودَّ من شِدَّةِ النَّصَارَةِ
حَوِيَ الشَّيْءُ: خَالَطَ سَوَادَهُ حُمْرَةً أَوْ خَالَطَ حُمْرَتَهُ سَوَادًا

دَسْتُور: الجمع: دَسَاتِيرُ، دَسْتُور / دَسْتُور
الدُّسْتُورُ: القاعدةُ يَعْمَلُ بِمَقْتَضَاهَا
الدُّسْتُورُ: الدَّفْتَرُ تُكْتَبُ فِيهِ أَسْمَاءُ الْجُنْدِ وَمَرْتَبَاتُهُمْ
الدُّسْتُورُ (في الاصطلاح المعاصر): مجموعةُ القواعدِ الأساسيةِ التي تُبَيِّنُ شكلَ الدولةِ ونظامَ الحُكْمِ
فيها ومدى سلطتها إزاء الأفراد والجمع: دساتير
دستوره بيده: حرٌّ مستقلٌّ
دستور العمل: مجموع قوانين أو مراسيم الأعمال

سِجْلٌ: الكتابُ يُدَوَّنُ فِيهِ مَا يُرَادُ حَفْظُهُ وَالْجَمْعُ: سِجَلَاتٌ (لا يُكْسَرُ)
السِّجْلُ: الكَاتِبُ
سِجَلُ النَّشْرِيفَاتِ: دَفْتَرٌ يُسَجَّلُ فِيهِ الزَّائِرُونَ أَسْمَاءَهُمْ.

ديوان: الجمع: دَوَاوِينُ
الدِّيوانُ: الدَّفْتَرُ يَكْتَبُ فِيهِ أَسْمَاءُ الْجَيْشِ وَأَهْلِ الْعِطَاءِ
الدِّيوانُ: الكَتَبَةُ
الدِّيوانُ: مكانُ الكَتَبَةِ وموظَّفي الدَّوْلَةِ ديوان الموظَّفين،
الدِّيوانُ كلُّ كتابٍ والجمع: دواوينُ
لُغَةُ الدَّوَاوِينِ: اللُّغَةُ الرَّسْمِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ
جماعة الدِّيوان: (آداب) تطلق على النقاد الثلاثة الذين كَوَّنوا مدرسة الديوان وهم العقاد والمازني
وشكري، ويتفقون من حيث الرؤية الشعرية والأسس الفنية
ديوانُ شِعْرٍ: كِتَابٌ تُجْمَعُ فِيهِ قِصَائِدُ شَاعِرٍ أَوْ شِعْرَاءَ قِصَائِدُ كُنْتُ أَكْتُبُهَا فِي دَوَاوِينِي (بدر شاعر
السياب)
ديوانُ الجُنُودِ: السِّجْلُ تُكْتَبُ فِيهِ أَسْمَاءُ الجُنُودِ وَأَمَاكِنُ وَجُودِهِمْ، وَمَا يَتَّقَاضُونَ مِنْ مَعَاشِ
الدِّيوانُ الْمَلِكِيِّ: إِدَارَةٌ تَابِعَةٌ لِسُلْطَةِ الْمَلِكِ يَشْتَغَلُ فِيهَا مُوظَّفُونَ سَامُونَ يُرْتَبُونَ أَعْمَالَهُ وَشُؤْنَهُ وَقَضَايَا
الدَّوْلَةِ

صحراء: (اسم)

الجمع: صَحَارَى، صَحَارٍ، صَحْرَاوات، الصَّحَارِي
صَحْرَاءُ / صَحْرَاءُ
الصَّحْرَاءُ: أَرْضٌ فِضَاءٌ وَاسِعَةٌ فَقِيرَةٌ الْمَاءِ وَالْجَمْعُ: الصَّحَارِي
الصَّحْرَاءُ الْمَغْرِبِيَّةُ: السَّاقِيَةُ الْحَمْرَاءُ وَوَادِي الذَّهَبِ مِنَ الْعِيونِ إِلَى الدَّاخِلَةِ تَقَعُ جَنُوبَ بِلَادِ الْمَغْرِبِ
الْأَقْصَى

سفينة الصحراء: الجمل

صَحَرَ: (فعل)

صَحَرَ صَحْرًا، وَصَحْرَةً فَهُوَ أَصْحَرُ، وَهِيَ صَحْرَاءُ
صَحَرَ الشَّيْءُ: كَانَ فِي لَوْنِهِ حُمْرَةً خَفِيفَةً

صحراء: (اسم)

صحراء: فاعل من صَحِرَ

رحلة: الارتحال، انتقال إلى مكان آخر، الجمع: رحلات ورحلات ورحل
أدب الرحلات: (آداب) مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق
رحلة: ما يُرتحل إليه
عالم رحلة: يُرتحل إليه من الأفاق
عير ذو رحلة: قوة على السير

شام:

- منسوب إلى بلاد الشام

- الشأم: الشأم: بلاد عن مشامة القبلة، وسُميت لذلك، أو لأن قوماً من بني كنعان تشاءموا إليها، أي: تياسروا، أو سُمي بسام بن نوح، فإنه بالشين بالسريانية، أو لأن أرضها شامات بيض وحمرة وسود، وعلى هذا لا تُهمز، وقد تُذكر، وهو شامي وشامي وشام.
أشأم: أتاها.

تشأم: انتسب إليها، وأخذ نحو شماله.

شأمهم تشميماً: سيرهم إليها.

الشؤم: ضد اليمن، والسود من الإبل، والحضار البيض منها، ولا واحد لهما.
شأمهم وشأم عليهم، فهو شائم، وشؤم عليهم، وشئم: صار شؤماً عليهم. وما أشأمه، ورجل مشؤوم ومشؤم.

الأشائم: ضد الأيامن، وقد تشاءموا به.

طائر أشأم: جار بالشؤم.

اليد الشؤمي: ضد اليمنى.

الشأمه والمشأمه: ضد اليمنة والميمنة.

الشئمة: الطبيعة.

شائم بأصحابك: خذ بهم ذات الشمال.

- شوم: بنو شؤيم: بطن

تعب: (اسم)

الجمع: أتعاب. مصدر تعب.

مشقة وعناء وجهد، عكس راحة، دب التعب في أعضائه،
تناقص في قدرة الكائن الحي، أو قدرة عضو من أعضائه، أو عضلة من عضلاته على الأداء، وينشأ هذا التناقص من العمل مدة طويلة، أو من تقدم السن، أو من قلة النوم.

فهرس المحتويات

12.....	ديوانُ الحِكم
13.....	العُربةُ الثالثةُ
24.....	السّياحةُ والرّحلات
35.....	الحياة
81.....	تعليم
85.....	حياةُ الأعمال
107.....	لكلِّ امرأةٍ في عُربة
121.....	الإبعاد
125.....	ثورةُ الياسمين
134.....	دُستورنا القرآن
144.....	السعادة
147.....	آدمٌ وحواء
159.....	فتاةٌ مكسورةُ الجناح
171.....	سجّل الصُّور

ديوانُ الحِكم

لم تسمح لي أنظمة القبولِ السّانجة في الجامعات العربية أن أدرسَ الماجستير وأنشرَ رسالتي، لأنّني لم أملك رسالةً توصيةً ولم يُكتبَ على هويّتي لاجئة، ولم تسعفني حاجاتُ المعاشِ في الدّخار ما يسدّ متطلبات الجامعات التجارية، لكنّ هبةَ الله كفّنتني لأعين الباحثين على إنجاز رسائلهم ولأنشرَ رسالتي إلى العالم. ورسالتي هنا هذا الديوان الجامع بين حكّام واقتباسات وخواطر لحقائق الأمور التي تمرّ بها مرحلةُ الشّبّاب.

الغربة الثالثة



*3

ها هو المشهد يتكرر، حينما يحملك الهواء من قدرٍ إلى قدرٍ مجهول أكثر من أي قدرٍ مجهولٍ كان قبلاً..... وفي كل قدرٍ جديدٍ رجاءٌ في أن يكون بَرّاً.⁴

³ من على متن أجنحة العربية للطيران، من الإمارات العربية المتحدة باتجاه لبنان، 2017.
⁴ وفي كل قدرٍ جديدٍ رجاءٌ في أن يكون بَرّاً: مستوحى من دعاء السفر: "اللهم إنا نسألك في سفرنا البَرَّ والتقوى ومن العمل ما ترضى"

بين بلاد الشام وصحراء العرب⁵ وبلاد الأناضول⁶، ركبت الطائرة وجعلت أنشط بينهم، حاملة الأمل وناظرة فروق الحياة بين هنا وهناك.

رأيت الصحراء تشتعل أضواءً ومرحاً، وأبنيتها تخرقُ الغيوم علواً، ولا يُعرف الليل من النهار، بل يحكم الحرُّ حياة الناس والمصالح الدنيوية. حيث تراهم يتناوبون ليلاً نهاراً ويعملون في المطاعم والفنادق والمكاتب ربّما في وسط الليل، وأغرب ما كان يدهشني أن يدقّ باب منزلنا المشترك في آخر الليل معلناً وصول وجبة طعام!

نظامٌ ولا نظامٌ، هكذا هي الحياةٌ عليك التكيف معها، اللهم إلا ما يجلبُ السخط والمعصية. هناك، تُبنى حياةٌ اصطناعيةٌ بكلّ ما فيها، بأبنيتها ونباتاتها وحتى سكّانها، وتعيشُ في عالمٍ اصطناعي يُنسيك صفاء السماء وصدق الكلام. لم أستطع التكيف مع الكسل المتفشي في الصحراء حيث اعتاد الناس على استخدام التقنية في كلّ عاداتهم، حتى في طعامهم، لا لاغتنام الوقت بل لتوفير التعب، التعب الذي لم يعرفه معظمهم ولم يتذوقوا معناه. وإن منهم من كره التعب حتى وصل بهم الخمول إلى العقول، لكنهم ليسوا سواءً، حيث نجد نسبة عظمى يبتكرون ويجددون ويتعهدون المبادرات العظيمة، ويدلّ على ذلك نهوضهم ببلادهم وفوزهم بالمناصب وتوسّع عمرانهم. إنهم حقاً مثلاً لاستمرار نبض الحياة رغم جفاف أنهارها!

ليلُ الصحراء يشبه نهارها إلى حد ما، وتُستغلُّ البرودة فيه أكبر استغلال، بينما يخيمُ الظلام في بلاد الشام والأناضول على معظم الأحياء وتسكن حركة الشوارع باستثناء المراكز الحيوية وملتقى الطرقات. رأيت الليل في فاتح إسطنبول ساكناً صامتاً منيراً بأضواء البلدية، ورأيت في لبنان شديداً العتمة وموحشاً ومليئاً بالسكّارى، إلا فئة قليلة اضطرهم الجوع للبحث عن لقمة في الظلام.

أما بلاد الشام ففيها الأتّهار وفيها الحياة، لكنّها أبطأ نبضاً، مع أنّها تعجّ بالسّاعين مع الطيور منذ باكورة الصباح، ينشطون فكراً وجسداً، ويشيلون همّ العمل شيئاً، وما أبطأهم إلا آثارُ حروب واقتتالات أصابتهم بجروح طفيفة وعميقة ما زالوا يداوونها بصبرٍ وإصرار.

ولا زالوا -ببالغ الأسف- يتمسكون بعباداتٍ بالية تسيرُ أفراحهم وأتراحهم وتجلبُ لهم همّ والنكد وتخرّب المناسبات أحياناً، حيث أننا ندري إلى الآن عن خطوبةٍ فسخت أو شراكةٍ حُلّت بسبب عزومة

⁵ القصد من الصحراء العربية هو شبه جزيرة العرب، وقد اختص الوصف في هذا الكتاب دولة الإمارات التي تقع في القسم الشرقي من شبه جزيرة العرب، وتقع هذه في جنوب غرب آسيا، وهي تمثل قلب المشرق العربي وتتصل بالأقاليم المجاورة لها منذ القدم. وكانت البيئة في جزيرة العرب بيئة تحدي، فهي بيئة صحراوية قاسية تدعو السكان إلى العمل الذي يتحدى الظروف الطبيعية، وإن كانت في الوقت ذاته توحى لهم بالأمل في قهر الصعاب، فالصحراء تتحدى من يحاول أن يقطعها لكنها تضم الواحات الطبيعية التي يعرف عابر الصحراء أنه يستطيع أن يفي إليها كمراحل على الطريق، ولئن كان الارتحال بالبر والبحر في أقطار المشرق العربي قد انطوى على شيء من المشقة أو المغامرة بالنهار فإن الليل ونجومه التوابت في سمائه الصافية كان دليل كل مرتحل على ظهير بعير أو ظهر سفينة. وهكذا أكسب الموقع الجغرافي شبه جزيرة العرب قيمة مبركة، وأتاح الفرصة لبعض سكانه على الأطراف الشرقية والجنوبية والغربية أن يركبوا البحر ويبرعوا في فنون الملاحة، فنشط العرب في التجارة والوساطة فيها وحفزتهم على الحركة وأهلتهم مكرراً لمعايشة غيرهم من الأجناس والأقوام. وفي شرق شبه الجزيرة العربية قامت دولة الإمارات الاتحادية، مطلة على الشاطئ الجنوبي الخليج العربي. حيث لها حدود بحرية مشتركة من الشمال الغربي مع دولة قطر ومن الغرب حدود برية وبحرية مع المملكة العربية السعودية ومن الجنوب الشرقي سلطنة عمان. أما تسميتها فتأتي نسبة إلى الإمارات السبع التي شكلت اتحاداً فيما بينها وهي: إمارة أبو ظبي وإمارة دبي وإمارة الشارقة وإمارة رأس الخيمة وإمارة عجمان وإمارة أم القيوين وإمارة الفجيرة. تأتي في المرتبة السابعة في العالم من حيث احتياطياتها النفطية، ودولة الإمارات العربية المتحدة تمتلك واحداً من أكثر الاقتصادات نمواً في غرب آسيا. فيحتل اقتصادها المرتبة الثانية والعشرين على مستوى العالم في أسعار الصرف في السوق. وهي ثاني أكبر دولة في القوة الشرائية للفرد الواحد، وعلى نسبة عالية نسبياً في مؤشر التنمية البشرية للفارة الآسيوية، وتحتل المرتبة الأربعين عالمياً. انظر: فتحي محمد أبو عيانه، دراسات في جغرافية شبه جزيرة العرب، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1994، ص3-7.

⁶ الأناضول هي شبه الجزيرة التي تمتد من آسيا غرباً، بين البحر الأسود والجزء الشرقي من البحر المتوسط، وهي تحتل الجزء الأكبر تقريباً من تركيا الحالية. Anatolia, H.M stationary office, 1920 ويطلق عليها آسيا الصغرى -موطن الحثييين- وهي هضبة عالية يبلغ ارتفاع أحد قممها (أزيل داغ) حوالي 9600 قدماً. رمضان عبده علي، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، الجزء الثاني (الأناضول- بلاد الشام)، دار نهضة الشرق، ط1، 2002، ص3.

غداء. كما يتقاتل الأهلون أحياناً بسبب كلمة قالتها الكُنتُ وكلمة سمعتها زوجة الأخ وكلمة رماها ابن العمّ وقس على مثال ذلك.

لا زالوا أيضاً يعيشون تحت الحكم العسكري، في سورية خاصة، حيث أن سير حياة العائلة يبني أساساً على الحين الذي سيذهب فيه الشباب إلى الخدمة العسكرية، وبسببها يحدّد الشاب: الدراسة، والفرع الجامعي الذي سيختاره، والعمل، والمكوث في البلد أو الهجرة، ودفع بدل الخدمة العسكرية، والزواج، والحالة الصحيّة، وكلّ مراحل حياته مرتبطة بخدمته العسكرية التي تنتهي أحياناً بالموت أو الحياة أو إفلاس الشاب أو إصابته بعطب يستمرّ معه مدى الحياة. إنّ كل الخيارات السابقة تتعلّق بأهل الشاب أيضاً على اعتبار أنهم من ينفق عليه وينفق عليهم.

أمّا في السنين الأخيرة بعد قيام الثورة فصارت العسكريّة إضافةً إلى ذلك كلّه ملحمةً حزينةً يضطرّ فيها الشاب إلى خيانة الأهل والدين والوطن وإلى توجيه الرصاص نحو أهله وقتل أبناء بلده، أو يضطرّ إلى أن يكون منشقاً هارباً متخفياً يلوب في هذه الأرض الواسعة دون أن يجراً على البوح باسمه أو أن يجراً أحدٌ على التعامل معه.

كفالك أيّها النظام العسكري تجرّ ويلاتٍ علينا، وكفالك حرقاً لقلوب شبابنا وشاباتنا!

بعض المشاكل في بلاد الشام سببها الوحيد هو الفقر، ولا يمكن لسكان الخليج تخيل ماهيتها واستيعاب حجمها. من أمثلة ذلك أنه يغيب عن بلاد الشام الأمن الغذائي، فلا يتوفر الغذاء كل يوم ولا يعرف الناس سهولةً للوصول له ولا يصلهم كاملاً مغذياً، وينعدم الأمن من الخوف، خاصة في بلد الأرز، فلا أمن من الجوع ولا أمن من الخوف.

"يرتكز اقتصاد لبنان بشكل كبير على الخدمات حيث تشكل التجارة والخدمات والنقل والاتصالات ثلثي الإنتاج الاقتصادي..... يعاني اللبنانيون واللاجئون في لبنان من تبعات نصف عقدٍ من نزوح بلغت نسبته ٢٥ ٪ من عدد سكان البلد. يقدر بأن نسبة الذين يعيشون تحت خط الفقر زادت ٤٪ لتصل إلى ٣٢ ٪ من المواطنين اللبنانيين، بينما ٧٠ ٪ من اللاجئين السوريين غير قادرين على تأمين حاجاتهم الغذائية الأساسية."⁷

تبدأ المعانيات⁸ في لبنان من الليل وتستمر حتى الصّباح وأثناء النهار حتى العشي، ذلك أنك إن لم تعاني من المرافق فسوف تعاني من زملاء العمل أو صاحب العمل أو الزبائن، وإن لم تعاني مع أولئك فسوف تعاني من الطرقات المعترّة جرّاء نسمة هواء أو سيل ماء، ثم إذا حالفك الحظ مع كلّ هؤلاء ستجعلك الحكومة حتماً تعاني حرصاً على راحة مواطنيها، كون المعانيات هي جزءٌ من راحة المواطنين.

الهدف الثاني من التنمية المستدامة SDG2: "القضاء على الجوع وتوفير الأمن الغذائي والتغذية المحسّنة وتعزيز الزراعة المستدامة" قرأتُ هذا الهدف في إحدى الدراسات الاجتماعية وعلمتُ أن لبنان قد تبنّاه، فشعرتُ بالتهكّم فلا مؤشرات ولا بصائص أملٍ توحى بتحقيقه في حين احتضار لبنان رسمياً.

" لبنان بلد صغير نسبياً في شرق حوض البحر الأبيض المتوسط، وتغطي جغرافيته مساحة ١٠٤٥٢ كيلومتر مربع. وصل عدد سكانه الأصليين إلى 4.5 مليون نسمة في عام 2014. منذ عام 2011 استقبل لبنان ما يقارب 1,5 مليون لاجئٍ سوري بالإضافة إلى احتضانه حوالي 280 ألف لاجئٍ فلسطيني (بما فيهم فلسطينيون نزحوا من سوريا). في أواخر كانون الثاني 2016 كان رقم اللاجئين

⁷ سامي الحلبي ونزار غانم، مراجعة استراتيجيّة لأمن الغذاء والتغذية في لبنان، الاسكوا ESCWA، لبنان، أيار، 2016. pdf
⁸ جمع كلمة معاناة.

السوريين المسجلين لدى المفوضية العليا في الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR) في لبنان حوالي 1.067.000 شخص.⁹



ذكريات كثيرةً تمتلئ في رأسي من مشاهد التعري المنتشرة في طرقات لبنان وعلى لوحات الإعلانات، كأن لبنان يحاول الانسلاخ من قيم الدين الإسلامي وأحياناً من الدين المسيحي! ويقلّ الحياء بين الناس خاصة في الطرقات وعلى شاشات التلفاز، حيث يتجاوز الكل حدوده الشرعية ويتباهى بإظهارها أمام الكل، والبعض القليل من ستر عيوبه وذنوبه. ليسوا سواء لكن أكثرهم كذلك...

الغريب أن هناك مادة في القانون اللبناني تحذّر الفتاة من لبس "الشورت" في الطريق، وقلة قليلة من اللبنانيين من يعلمون بهذا القانون، ويتم تطبيقه فقط في الدوائر الرسمية حيث يمنع على الرجال والنساء الدخول إلى حرم الدوائر الرسمية بلباس غير لائق كـ"الشورت" والفساتين القصيرة والـ"المشاية" أو "الشحاطة".

حدث أمامي أن مُنِع شابٌ من دخول وزارة الداخلية لاستلام معاملته بسبب ارتدائه "الشورت" وحاولت موظفة من الوزارة أن تتوسط له لدى الحارس دون جدوى، حتى اضطر إلى تبادل الملابس مع أخيه بعيداً عن الوزارة والعودة ثانيةً ليتمكّن من الدخول. إنه لشيءٌ جيدٌ -من وجهة نظري- وأرجو أن يطبّق على مدى أوسع من الدوائر الحكومية، فلقد صار مشهد اللحوم العارية في الطرقات مثيراً للاشمئزاز ومزرياً بحق كل من لديه إحساس بالحياء.



عشت أشتية في لبنان لا أنساها ما حييت، شعرتُ فيها ببرد قارس كما أحسستُ بخيري يرتعش برداً. فهناك لا يستطيع الناس تجهيز كامل العدة لدرء البرد، بل يدفعون الأقساط مقسّمة على السنين الطويلة لإحضار أداة للتدفئة كل سنة، فالسنة الأولى ربّما يحضرون فيها سجادة ومدفأة، وفي السنة الثانية مدفأة أخرى، وفي السنة الثالثة أغطيةً سميكة، وهكذا تكتمل عدة التدفئة بعد سنوات. كل ذلك بفعل الحرب...

ومن الحروب التي عايشتها الحرب الباردة بين جبل محسن وباب التبانة والتي استمرت 3 سنوات تقريباً متوزّعة على جولاتٍ غير منتظمة ومتسّمة بالفوضى والغموض والاضطراب. أثناء تلك الجولات، كانت الطرقات تغلق أحياناً، ويهرب الناس من مصالحهم إلى منازلهم للاختباء من القذائف العشوائية ومناظير القناصين الغادرة، وكنا نسمع أصوات القذائف طول الليل فنخاف من الخروج باكراً لكيلا تصيبنا رصاصات طائشة. أذكر أننا كنّا أحياناً نترك الدوام في معهدنا ونقطع الحصّة الدراسية للهروب إلى المنازل قبل أن تبدأ جولة الاشتباك، وكنا نستمر في الغياب عدّة أيام حتى نتأكد من توقّف الاشتباك ونوم المشتبكين. فالمشتبكون كانوا من أصدقائنا وعائلتنا، وكانوا شباباً نعرفهم، يذهبون إلى عملهم نهائياً وإلى القتال ليلاً، ولكل منهم نيّة مختلفة؛ إما للثأر أو حماس المشاركة في القتال أو قضاء الوقت في شيء مختلف!

⁹ سامي الحلبي ووزار غانم، المصدر السابق.

كانت أيام ذعرٍ وحنفةٍ وغضبٍ وخسارةٍ اقتصاديةٍ مرعبةٍ هزت أركان المدينة، ولم تنطفئ نيرانها إلا بسبب التعب والفقر، فالقلوب ما زالت حاقدة على حكومةٍ مالت عن العدل ولما يرجع الحق لأصحابه.



ما كان هروبي من تعب لبنان هروباً من التعب بحد ذاته، بل إنني أفرح بالتعب الذي يوصلني إلى النجاح وأفرح بالسهر الذي يزهر بمستقبلي، وإن فرحي بالسهر أشد من فرحي أنني لم أغرق في راحة. إنما هروبي من تعب لبنان هو تغيير لواقعٍ مُجهَدٍ نتعب فيه بلا جدوى، ولو لمسنا الجدوى والنتائج لنسينا كل لحظات التعب ولانقلبت فرحاً وفخراً. ففي لبنان نستقي من المشاعر السلبية كماً هائلاً يُنسينا إنسانيتنا ويُنسينا حقوقنا ويوصلنا إلى ظنّ السوء بأنفسنا وأتينا ذوي طباعٍ سلبية، هي طباع ما ظهرت في الحقيقة إلا من وراء كدّ لا ثمرة منه. وأقصد في الثمرة كل أنواعها دون تخصيص على الصعيد المالي أو الشخصي أو الاجتماعي.

هل عملت في لبنان قبلاً؟ هل ظننت نفسك يوماً ما -عذراً- بغلاً تُحمل عليه الأثقال؟ إن كنت عملت في لبنان فمن الطبيعي أن يكون جوابك "نعم".

ومما أرق اندفاعنا للعمل هو العمل بلا أجرٍ أو تأخير الأجر أو الأجر الزهيد، فتلك ثلاثة منغصات تجعل من واقع العمل أشبه بمحاولة الانتحار، وتقتل فعلياً حماس الصبيان وعنفوان الشباب وكبرياء الرجال.

لقد قررت البحث عن عملٍ خارج لبنان لأخرج من واقع "السعي الضالّ" إلى واقع السعي المثمر، على الرغم من عشرات الفرص التي عُرضت عليّ فيه، وما دفعني إلى ذلك قناعاتي أنّ كل تلك الفرص هباء، في بلد جعل من تعبنا هباءً وأضاع ريعان شبابنا في عملٍ بلا مقابل، وما العمل بلا مقابل إلا هباءٌ منثوراً؟

وحدها الحكمة هي أعلى ما اكتسبناه من واقعٍ عشناه...

" مرّت خمس سنواتٍ على إقامتي في لبنان، أحسست الآن بأن لا بدّ لهذه الفترة أن تنتهي، لم تعد تستطيع هذه البلد إعطائي المزيد.. ولن أستطع إعطاءها المزيد.

بيروت، عرفتُ فيكي سوريا كلها، فهمتُ تماماً معنى المسؤولية والغربة، اختبرتُ الاستقلالية بكل أنواعها، درستُ في جامعاتك، واجهتُ كلّ التعابير والمفاهيم التي كانت تخلق إشارات استفهام كثيرة، تحققتُ من نفسي، وذاتي، وقوتي، وضعفي، وهمتي، وصفاتي، وطباعي... ولكن في النهاية، لم أعد أرغب باستمرار تلك التجربة، لم أعد أرغب بتحمل كل مسؤوليات الحياة لوحدي، إنه أمر غير بطولي، وغير تنافسي، ولم يعد يعني لي شيئاً. اكتفيتُ بذلك القدر من التحمل. لم أستسلم، ولكن لم أعد سعيدة بوجودي داخل دوامة بيروت.

أصدقائي في بيروت، كنتم سنداً وقوةً لي دائماً. شكراً لوجودكم.¹⁰

أصدّق ذلك الكلام، وأزيد عليه أن يكفي بيروت خزيّاً أنها المدينة الوحيدة التي أهانت حجابي، فلا إسطنبول الأوروبية عابته ولا الإمارات العربية ولا كل من عملت معهم عن بعدٍ في بلاد أجنبية. وكل المدن اللبنانية أيضاً أهنتُ فيها كأنثى -كما أهينت صديقاتي- وذلتُ حياءنا في مواقف كثيرة لسفهاء الرجال. لقد صرتُ في مرحلةٍ من حياتي نصف رجلٍ ووجدتُ نفسي أصرخُ في وجه الرجال، خوفاً

¹⁰ رند الشمعة: شابة دمشقية من أصحاب الطموح والمبادرات الطيبة، خريجة إدارة أعمال من جامعة بيروت العربية.

منهم أو ربّما خوفاً على نفسي. ولا زلتُ لا أستطيع تفسيرَ ما حصلَ وأحاولُ جاهدةً التخلصَ من آثارِ الواقعةِ التي تعرّضتُ لها واضطرتُّ لتقمّصها أحياناً.

لكنّ الحق يقال، كأنّ طرابلسَ قطرٌ ولبنانَ قطرٌ منفصل، لكل منهما سجيئته. وكأنّهما شعبان متضادان، كل منهما خلقٌ من طينٍ مختلف. من أجل ذلك فضّلت العيش في طرابلس وتركت محلّتي الأصلية في بيروت.

والحق يقال إن معظم مشاكل النازحين السوريين هناك هي من أنفسهم ومن فعل أيديهم، وقد بدت أخلاقٌ منهم في الغربة ما عهدناها في سورية أو أنها كانت مقموعة. وبإليتها ظلّت مقموعة!

"وأما الآن فأحمد الله لخروجه من هذه الأرض الظالمة لأهلها والظالمة لنفسها وأحمد الله الذي أخرجني من (السّجن الكبير لبنان) الذي جعل فكرة دخولي لأي جامعة من الجامعات أشبه بالحلم ناهيك عن الإهانات والمشاحنات التي تتعرض لها في كل وقت وحين... كانت كل آمالي حصى مرمية على قارعة الطريق وأما الآن من الممكن أن أفكر وأقرّر من سيكون (بلال الغد) على درب مميّز لإثبات النفس أو خوض مع جمع الخائضين...

وإما أن أحمد الله وأشكر وإما أن أكفر بما هيئه الله لي فلا أحسن الصّنيع فتتقلب النعمة نقمة ويضيع كل شيء. والماضي قد انتهى بقهره وصعوبته بقسوته وعنصريته بتهميشه وتسفيهه بمشاهدتي لنفسي مكبلاً مدحوراً، بجاهليته وتعصبه بسلامه وحبه الناقد بمظلوميته وظلامه وأما الآن فأنا أمام تحدي جديد وبداية جديدة تستدعي اليقظة الذهنية والتشمير والتفوق واستغلال الوقت والعمل...

وأعتذر إن أخطأت في حق أحدكم أو ظهرت مني سوء معاملة في أحد المواطنين وإني والله خرجت لا أحمل بغضاً ولا كراهية إلا لمن بخسني حقي في عمل...
شكراً لبنان...

للتنويه (مع كل حدث يبقى لبنان أحب إليّ من سورية وإن تكلمت عن المعاناة في هذا المقال فلا يعني نفبي لكل طيب محب ولكل وقت سعيد قضيته فيها والمعاملة الحسنة من الكثير الكثير من الشعب المضيف حتى لا يؤخذ الكلام على غير المراد... والله ولي التوفيق"¹¹



لا زلتُ أحاول تفهّم تلك الأنفة اللبنانية التي تتظاهر في البدايات بعدم الاهتمام بالآخر، ثم إذ باللبناني يكتشف الفتاع فجأة عندما يتألف قلبه وتظهر الطيبة الإنسانية والطبع الاجتماعي. كذلك هو الفلسطيني وربّما الأردني، اللهم إلا السوري، فطبعه وطبيئته تجاوزا حدود الاهتمام إلى حدود المشاكل مع الآخر. كما أنني لا زلتُ أحاول معرفة أسباب انسلاخ الشعب اللبناني من عربيّته، والأمثلة على ذلك كثيرة لا تكفيها صفحات هذا الكتاب، أبسطها هو أن اللبناني يبدأ كلامه بساكن... والعربُ لا تبدأ بساكن.

وفي لبنان كما في بلاد الشام كلّها يعمل الناس عمليين أو أكثر لتدبير المعاش، وجميع أفراد العائلة عليهم أن يعملوا. حيث يسعى الزوج والزوجة إلى إيجاد وظائف لكلٍ منهما، أو قد يخرج الرجلُ إلى عمله صباحاً وتكمل زوجته الدوام في العمل بعد الظهر حتى المساء ليستغلاً أطولَ مدّة في العمل في رجاءٍ تحصيل مدخولٍ أكبر ولو بمبلغٍ يسير. أما الأولاد فيختلط صباهم بين العمل والدراسة واللهو، حيث لا يستطيع أهلهم غالباً تحمّل مصاريف الدراسة ويضطرّ كثيرون إلى العمل بعد المدرسة أو الجامعة

¹¹ بلال زويغ، شاب دمشقي من أصحاب العهود، نشر تلك الكلمات بعد خروجه من لبنان في نيسان 2019.

لست حاجة المصاريف الدراسية ومتطلباتها. كما يتجه عدد لا بأس به نحو التعليم المهني كي يندمج في سوق العمل بشكل أسرع أو لينهي سنتي الدراسة بسرعة ويغادر إلى بلدٍ غنيٍّ يحصد فيه قوت الحياة.

كل الوصف السابق قد ينطبقُ بعضه على بلاد الأناضول، إلا أنها بلدٌ مرموقٌ أكثر -حالياً- وشعبه أكثر ارتياحاً من الناحية المادية وأكثرُ تعصباً. لقد تعبتُ في إسطنبول تبعاً ما شهدته في حياتي، وبقيت ضوضاؤه تضجُّ في رأسي سنةً كاملةً بعد أن عدتُ إلى لبنان، ذلك أن نظام العمل هناك فيه مساواةً بين الرجل والمرأة مساواةً كاملةً -أراها سلبيةً- لا تعتبر أن للأنثى خصوصيات قد تميّز أداءها عن أداء الرجل. وإن اللغة التركية أيضاً عائقٌ كبيرةٌ في مجال الأعمال، حيث أنها اللغة المفضّلة لدى الشعب التركي ويرفضون أو قد لا يعرفون التحدث بغيرها.

تبلغ درجة تعقيد القوانين عند الأتراك أنّ الأتراك هم أنفسهم لا يفهمونها، وكل جهة حكومية قد تقدفك إلى جهةٍ أخرى لتجد حلاً لمعاملتك، ولا واحدة من تلك الجهات تجد لك حلاً -إلا برحمة من الله- وإذا قبلوا أن يشرحوا لك وجهة نظرهم فسينتهي شرحهم بـ "yok, yok, yok". لا تتعب نفسك في إيجاد تفسيرات لعرقلة المعاملات، فلا أحد يعلم.

قد يعلمون أن هناك خطأ ما، وأن هناك حلاً لكن لا يكفون أنفسهم دقائق للنقاش. رفضهم للنقاش يكاد يكون محتملاً.



أما في صحراء الإمارات فتُحترم أنوثة المرأة ومكانتها، فتُخصص لها خدمات ومساحات في الطرقات والأماكن العامة ووسائل النقل. ولها شعاراتها وأنديتها ومسابقتها وأسواق خاصة بها تمنحها راحةً في التحدث والتحرّك بعيداً عن أعين الرجال. أما اللون الوردية الذي يميز مساحات المرأة فهو لون آخر من الجمال، ويحتّم على جمال المرأة بحدّ ذاته أن يبقى مرموقاً.

كانت الصحراء بالنسبة لي أفضل بيئة للتعايش من لبنان، فالبينة في لبنان موبوءة والإصلاح فيها غير مرغوب فيه من الجميع -إلا من رحم الله- اللبانيين منهم والسوريين. بعضهم يراك لثيماً عندما تفرض حدودك -التي هي من حدود الله- وبعضهم يراك متزمتاً، وبعضهم يراك غريب الأطوال إذا أنت التزمت شرع الله وسنة نبيه، حتى الاختلاط بين الجنسين والمصاحبة وستر العورات في المنازل قد تبدو أموراً عادية عند بعض الناس ولا يرون داعٍ لمراعاتها، وإذا نصحتهم قالوا: هكذا تعودنا!

أما الصحراء ففيها احترامٌ أكبر لكل ذي دين، ولكل شرعةً يتبعها دون أن يهينه أحد أو يفرض عليه أحدٌ آخر رأياً ما. وللعلاقات الاجتماعية سماتٌ راقية تحفظها من التفكك أو الذوبان في المجتمعات الغربية، إلا حالاتٌ عديدة فُرضت بشكل تلقائي من إقامة العرب والأجانب في الصحراء -يصعب الشرح عنها في سياق هذا الكتاب.

ومن أمثلة النظام في دولة الإمارات، شبكة المواصلات العظيمة التي تربط كافة نواحي ومدن الدولة بعضها ببعض، منها الحافلات الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، ومقصورات القطار السريع (المترو) المتوفر في مدينة دبي. أما عني فكنت في عجمان أخال أنني الشامية الوحيدة التي تستخدم مواصلات النقل العامة، حيث تفضّل معظم الفتيات من بلدي ركوب سيارات الأجرة الخاصة لاعتبارات الأناقة غالباً. من أجل ذلك حظيت بصيتٍ بين سائقي حافلات عجمان ولقيت منهم مراراً مساعدةً ومعاملةً حسنة وإفشاءً سلام.

لا أنسى أيضاً في تلك المدينة حين وجّهت لي الشرطة تنبيهات لقطع الطريق من غير المكان المخصص للعبور، لكن الشرطة تسمّى "أمان"، وعناصرها محترمين حريصين على الأمان بدلاً من الترويع.

على أنني أشعر ببعض الأسف على صحراء العرب إذا غرق سكانها بحياة محرّمة وعلاقات كاذبة وحبّ مذموم ومتعةٍ أئمة، ووأسفاه إذا رأيت سكانها يعيشون نهراً لكسب المال وليلاً لإرضاء الملذات، وفيما بينهما بكاءً على خسارة الطهر والمال والأهل والإيمان.

أقرّ أخيراً أن بين بيروت وطرابلس والبقاع وعكار وإسطنبول وكهرمان ومرعش وعجمان ودبي والشارقة، بينها كلها حكاياتٌ من أسفارٍ وسباقاتٍ زمنٍ وحملٍ أمتعةٍ، كانت كفيلاً بتدريبي على رحلة حياة.

ولمّا تنتهي الرحلة.



“Living expenses in Beirut can be compared to other cities in semi-developed countries like Bangkok or Taipei. Living in Beirut is not expensive, but also not cheap. Depending on how you live, eat and cook, monthly living costs will range from \$1200 to \$2000.

Apartment Rentals: These range from \$300-500 (shared) and \$600-1000 (private).

Food: The cost of food varies depending on where you eat! Groceries are cheap if you buy regular Lebanese things; Western and Asian items are expensive.

A rough guide to eating out is: a sandwich costs \$2-\$5, and a sit-down meal \$8 and upwards.

Transportation: A regular taxi is \$4 and upwards (depending on the distance), a “servees” (shared taxi) is \$1.33 (2,000 LBP), the bus is \$0.66 and an airport taxi is \$10-\$30.

Currency: Lebanon has a dual currency which is the Lebanese Lira and US dollars. These are used interchangeably at the fixed exchange rate of 1500 LBP/\$1 and both currencies can be used anywhere.”¹²



نصائح للركوب في فانات¹³* النقل بين بيروت وطرابلس والبقاع وجميع المدن اللبنانية:

أول نصيحة قبل الخروج من المنزل: أفرغ معدتك جيداً من السوائل، فلا مراحيض على الطرقات. وكُنّ طعاماً خفيفاً كي لا تُصابَ بالصداع أثناء قيادة السائق المجنونة، ومن الأفضل أن تأخذ حبة دواء تفيك من دوّار الرأس -خاصّة على طريق البقاع- كي تجتاز الانحناءات الجبلية بسلامة.

¹²“What is the cost of living in Beirut?”, Saifi institute for Arabic language. Online post.

¹³* الحافلات من شكل van.

ثانياً: اخرج باكراً، قبل ثلاث أو أربع ساعات كي تصل في موعدك المطلوب، لأن الفان لا يسير إلا عندما يمتلئ حتى لو وعدك أنه سيسير مباشرةً.

ثالثاً: لا ترتدي ملابس فاتحة اللون، لسببين؛ أولهما أنك لا بد أن تتسبب عرقاً على الطريق حيث لا مكيفات ونوافذ لا تُفتح أحياناً، والسبب الثاني أنك نادراً ما تجد فانا نظيفاً وسوف تتسخ الملابس حتماً من أطرافها وجوانبها.

رابعاً: إن كنتِ أنتى فعليك أن تصيري رجلاً ريثما تصلين إلى وجهتك، أي عليك أن تصرخي كالرجال إن قام أحدُ بمعاكستك وعليك أن تكوني قوية صارمة قاسية لنيمة جافة، وكل صفات اللؤم تمثليها ولا ترحمي رجلاً كاناً من كان. وانتبهي جداً إلى الأيدي المتطايرة.

خامساً: أبق معك نقوداً مفرقة تدفعها للسائق ولا تعطه النقود بالجملة تجنباً للإخسار والغش في تعرفه الركوب.

سادساً: عليك أن تحتمل رائحة دخان السجائر.

سابعاً: اصطحب معك سدادات للأذان كي لا تصاب بثقب في غشاء الطبل من أصوات الأغاني الصاخبة.

سابعاً: ادع الله ألا تستمر في ركوب تلك الفانات.



عذراً يا لبنان، يا بلدي الصغير، لم تكفني عطاياك الخجولة لأعيش كريماً، فرحلت...
ومثلي لبنانيون كثيرون، عز علي أن أراهم في غربة، وأن نتفق على ألا نعود.



"احم احم... يا الله يا الله"

كم أفقدها هذه الكلمات من رجال الشام حينما يهيمون بالدخول إلى بيوت غير بيوتهم ليحفظوا أبصارهم من أن تلمح أسراراً أو جمالاً مستوراً أو عيباً مخفياً أو رزقاً محفوظاً. فهنا وهناك في رحلاتي لم أجد عند الكثيرين هذا الخلق ولم أجدهم يحفظون خاصية بيوت غيرهم كما حفظها علينا رجالنا في الشام قبلاً. حتى أن بعض النساء المسلمات من (الأسبويات) يضعن على أكتافهن دائماً شالاً ليغطين رؤوسهن بسرعة عند دخول رجل ما، وغالباً لا يغطي الشال كامل الرأس عند وضعه بسرعة وتبقى الغرة والجداول الطويلة متنفساً لمن أراد اختلاس نظرة.



De Dubai....

Je me suis trouvé dans cette ville comme des centaines de gens, poussée par la misère de la vie au Liban. C'était une ville caractérisée par le multiculturalisme et avait des couleurs divers dont il était impossible de différencier chaque couleur de peau. J'aurais voulu retrouver mes traces là-bas et cherché ma place inspirante, J'aurais voulu rencontré mon homme de rêve, ou bien réalisé moi-même et crié qui j'suis.

Certains m'ont affirmé que dans la vie, on fait ce qu'on peut, pas ce qu'on veut mais je n'y ai pas du tout cru, et heureusement, j'avais écrit tous mes buts sur un cahier depuis que je fusse adolescent pour me rappeler qu'il n'y aurait pas de rêve interdit.

Je suis tellement tombée par les défis de cette ville, parce que je n'avais assez consciente. Mais peu à peu, tout marchait mieux.



اشمئزاز، قرف، تقزّر، عدوى، وباء.... كم أثرت البيئة المتسخة في نفوسنا دون أن نشعر!! الآن أحسست بعد أن خرجتُ من تلك البيئة المتسخة المليئة بالحشرات كم كان لها أثرٌ سلبيٌّ على حياتي، وكم باعدتُ بيني وبين طبيّاتٍ كدت أن أنالها بالحلال. فكثرة الصراصير وسوس الخشب والعُتّ والعناكب والغبار جعلت في رأسي وسواساً هاماً أعيشه ليلاً نهاراً ونسيت مقابل ذلك أشياء جميلة ليست متسخة، حتى وصل بي الوسواسُ إلى أن أشعر بالاشمئزاز من ملامسة البشر أو ملامسة أغراضهم.

كنت أرى ذلك طبيعياً لأن معظمهم حولي هكذا، هم أيضاً يعيشون مع الحشرات والحيطان المتقشرة والبلاط المتكسر، ولديهم نفس الشّعور بالقرف. ويا ليت التنظيف كان نافعاً بل كان مجرد مسكّن وباعث مؤقت على الاطمئنان ما يلبث أن يزول.

الآن وبعد أن صرتُ في بيئةٍ أخرى نظيفة وفي بيت خالٍ من الحشرات، أحسستُ بمشاعرٍ مختلفةٍ وانفتاحٍ على طبيّاتٍ أحلها الله ما كنت أدري حلاوتها. وأتمنى لكلّ إنسانٍ أن ينال حقه من النظافة والعيش في بيئةٍ صحية.

(عن لبنان -ببالغ الأسف- أتحدّث)



للسوريات التائهات في طرابلس قصص ومغامرات تستحق أن تكون موضوعاً يحكى عنه ويهتم له... فهل من مهتم! هل من مهتم لأحوالهن! ومعاناتهن! هل سيقضين السنين بحثاً عن المأوى! وبينين حياتهنّ بالألم والتّرحال وحمل الأثقال!؟

يا من لم تعرف عن السوريات في طرابلس.... تعال إلى شوارعها وستراهن في كل مكان... عاملات... طالبات... سائحات¹⁴.



Struggling

هذه -باختصار- أدقُّ وأفضلُ كلمةٍ توصفُ بها حالةُ الشّام.

¹⁴ يمكن مراجعة قسم "فتاة مكسورة الجناح" لقراءة المزيد.

السِّيَاحَةُ وَالرَّحَلَاتُ



*15

"رحلتُ وحيداً. لم أجد أحداً يؤنس وحدتي بلفتاتٍ وُدِّيَّة، ولا مجموعةً مسافرينَ أنضمَّ لهم. مدفوعاً بحُكمِ ذاتيِّ من داخلي، ورغبةً عارِمةً طالَ انتظارُها لزيارة تلك المُقدَّساتِ المَجدِدةِ قررتُ الابتعادَ عن كلِّ أصدقائي، ونزَعَ نفسي بعيداً عن بلادي. وبما أنَّ والديَّ كانا على قيدِ الحياة، كان الابتعادُ عنهما حملاً ثَقِيلاً علي. عاتينا جميعاً من الحُزنِ الشَّدِيدِ."¹⁶

¹⁵ ديرة، دبي، أيلول 2019.

¹⁶ ابن بطوطة.

أينما ذهبنا " ...فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ" ¹⁷ وأينما ذهبنا نتجّه للكعبة ونرفع تكبيرة الصلاة مُعلنين إخلاصنا له وإسلامَ نفسنا لرضاه، كأنّها دعوةٌ إلى العمل الدؤوب الخالص لوجه الله أينما ذهبنا وأينما حطّت الرّحال. فاستبقوا الخيرات.

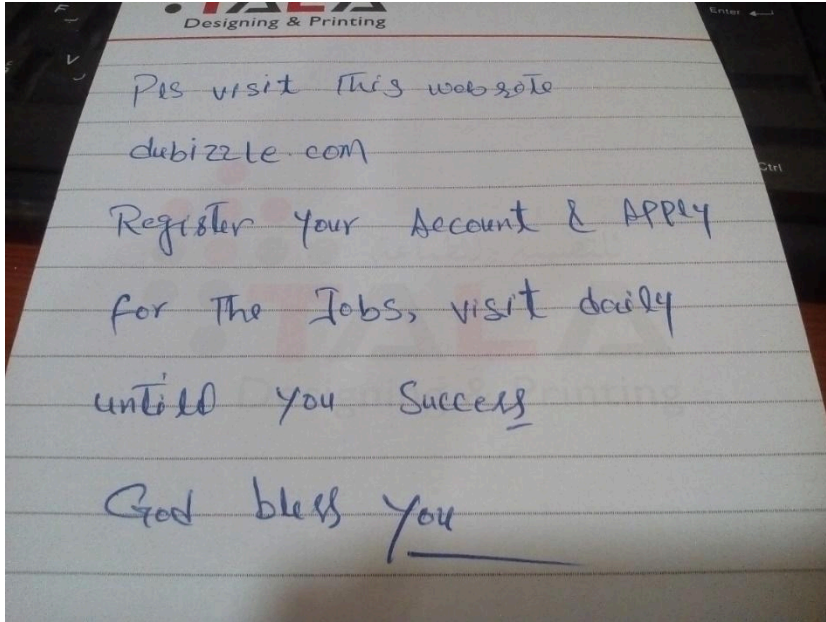


اللهم إني نذرتُ لك رحلتي، فتقبل مني إنك سميع الدعاء.



اللهم أنت الصّاحب في السّفر...

ستشعر بالأنس كلّ الشعور عندما تقضي أسفاركَ وحيداً في البرّ والبحر، لا يتردّد على مسامعك صوتُ رفيق، بل يتردّد: "اللهم أنت الصّاحبُ في السّفر...." فتتمنى لو يبقى جسدك معلّقاً في السّماء بين يدي الله وحده.



نصيحةٌ من باكستانيّ، في بلدٍ غريبةٍ... لأنّه مسلمٌ فقط، أحسّ بواجبِ النّصيحةِ لي كأختٍ مُسلمة!



وموقفٌ من مصريّ حدّث حين أحسستُ ذات يومٍ مع زميليّ في العمل بالاضطهادِ وهضمِ الحقّ من صاحبِ العمل، فقام المصريُّ ببيع بضاعة من مكان عملنا للانتصار لحقه بالحلال، وأعطاني ما تيسّر من قليل المال رفقاً بحالي كأختٍ له وزميلةٍ في العمل لم تسطع لهفته الإنسانيةُ أن يدعها. كان ذكياً وقويّاً وإنسانيّاً ولا زلتُ أتمنى له الخير حيثُ كان.

¹⁷ سورة البقرة، الآية 115.



ومواقفُ لا أنساها كدتُ أشعر فيها أنني على وشكِ الضياع أو التسوّل لكن قدرةَ العزيز على تأليف القلوب كانت أثبتت وأقرب.



ما أعظم إسلامنا! عندما يكون هو الرابط الوحيد بيننا في سياحتنا.



“My heart loves you” a simple sentence makes a huge difference in a foreign place.



"يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74)"

عندما تسيح في الأرض باحثاً عن فضل الله، مجاهداً في سبيل الله، فلا تظنّ يوماً أن الله لن يبشرك بالعزة والتمكين.

وإن كنت بين غرباء، فهذا لا يعني أنك لن تكون أميرهم ومتولّي أمورهم لأن الله إن اختصك بفضله فلا أحد يسلبك هذا الفضل ولا يدّ ستكون أعلى من يدك إن رفعها الله.



قد تتغيّر مبادئ حياتك بتغيير البيئة التي أنت فيها، فاهرب من الأرض التي تنتشام منها إلى الأرض الصالحة عسى الله أن يصلح حالك. وقد تكره المسكن أو تحبه لوجود أحدٍ ما فيه جعل فيك ذلك الشعور، لذلك جرّب غيره وامنح نفسك فرصة التغيير ورؤية أفق جديد.



ومما يعين على تغيير نفسك مقابلةً غرباء من بيئة مختلفة، قد يكون لهم طباعٌ ما ألفتها وأفكارٌ ما خبرتّها، فنتذكر قول ربنا "وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا"¹⁸ ، ذلك التعارف ما كانت غايته يوماً إضاعة الوقت وإنما اقتباس المواقف والطباع. وربما وجدت في ثقافة الغريب خلقاً حسناً غاب عن أهل ملّتك وربما وجدت خلقاً قبيحاً تتجنّبه وتعرف قيمة ثقافتك.



¹⁸ سورة الحجرات، الآية 13.

وَلَا تَكُنْ مِنْ فِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ	ارْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضِ تُضَامٍ بِهَا
وَفِي التَّغْرِبِ مَحْمُولٌ عَلَى الْعُنُقِ	فَالعَنْبِرُ الخَامُّ روثٌ فِي موطنه
فِي أَرْضِهِ وَهُوَ مَزْمِيٌّ عَلَى الطَّرْقِ	والكحلُّ نوعٌ مِنَ الأحجارِ تنظره
فَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ	لَمَّا تَغْرَبَ حَارَّ الفِضْلُ أَجمعه

19



من المفترض أن نلتقي في غربتنا بغرباء، لكن أحياناً نلتقي بمن هم أقرب من أقربائنا.



وكلّما تكرّرت السّياحة يتبادر إلى مسامعنا أن: ربّ ابنِ عندك بيتاً في الجنّة! ²⁰
فاجعلنا يا ربّ ممكن استحقّها لننال من بيوتها.



وبعد كلّ ترحالٍ في كلّ شهر أدعو أن يا ربّ: أخرجنا من دارٍ دنيا لا دارَ لنا فيه.



من أولى قواعد السّياحة أن ترمي الذكرياتِ عنك أو تودّعها في جحورِ الزّمن، فلا مجالٍ لحملٍ مزيدٍ من الأمتعة.



والقاعدة الثّانية ألا تحلمَ بمفتاحِ بابٍ تملكه في جيبيك وتفتح به منزلاً أنى شئت الركونَ إلى منزل.



أمّا القاعدة الثّالثة فعليك حفظها واستذكارها وستلمسها أينما حللت، وهي أنّ الإنسانية فطرة.



إنّ أقصى ما أتمناه في زمن الحروب هذا: وسادةٌ وسريّرٌ وغطاءٌ، أحملهم أنى رحلتُ وحيثما كان النّزوح.

¹⁹ من ديوان الشافعي.
²⁰ سورة التحريم، الآية رقم 11.



تتناثرُ الطموحاتُ من أمتعة النَّزوح وتتساقط الأحلام عندما لا تجدُ بين الأمتعةِ لها مكاناً.



كلُّ بقعةٍ أرضٍ أغادرها أتركُ فيها أحلاماً كادتُ أن تكونَ خيراً وكادتُ أن تكونَ شراً...
وهكذا تتناثرُ أحلامي في بقاع الأرضِ وأتناثرُ أنا في بقاعِ أخرى، وأنتظرُ بشوقٍ أن تتناثرَ روعي وأن تحييَ ما تناثرَ من أحلامي عسى أن تحيا وتتشرَّ بعد أن أندثرَ.



عندما تريد أن تعمل في أي مدينة جديدة فأهم ما يجب أن تتعلمه هو كيف تصل وتتصل، ثم ستغدو المدينةُ مهما كبرت شبكةً صغيرةً تجوبها عبر التطبيقاتِ التقنيَّةِ ومركباتِ النقلِ العامة.
وإياك أن تسأل من جلس في منزله وأوقف سيارته في كراج البناء، بل اسأل الجالسين على جانبي الطريق والساعين جيئةً وذهاباً في دروب الأمل.



الأجسام أقرب مما تبدو في خرائط غوغل.



ربما تجد نفسك عالقاً في الصحراء، في مكان ما أردت المكوث فيه وبين أشخاصٍ ما ألفت طابعهم، وتراك تتوق للعودة إلى منزل تستتر فيه وتمارس فيه رياضةً نفسك لكنَّ رمالَ الصَّحراءِ تحولُ بينك وبين خطواتك.



كيف تعجبين من كثرة سياحتك في الأرض وكثرة أسفارك وأنت من كنتِ دعوتِ قبلاً ورجوتِ الله كثيراً أن يجعل حياتك على خطى الصحابة والرسول! فتلك كانت مسيرتهم حقاً؛ يهاجرون من أرضٍ إلى أخرى باحثين عن الحقيقة وناشرين الحق والعدل والسلام في أرض الله التي ورثوها بإيمانهم وفتحوها في كل أصقاعها ينشرون دينهم وعلمهم ويعمرون بأيديهم حتى غدت لهم منازل ومقامات في كل جبلٍ ووادٍ وسهلٍ وساحلٍ، وما عاش شعبٌ بعدهم إلا اغترف من فضلهم وشرب من خيرهم ونهل من علمهم، وما زال فضلهم حياً في قلوبنا وفكرنا... نذكرهم وندعو لهم بالرضا والدرجات العلى وأن نكون رفقاءهم في أعلى مقامات الآخرة حيث لا يحزنون ولا نحزن ولا تغلبننا وعتاء سفرٍ أو مشقةً سياحة.

أبعدَ كلِّ ذلك تعجبين ولا تفرحين؟



حاول ألا تخمّن مقدارَ صعوباتِ السّفر، فهو حتماً أكبر بأضعافٍ ممّا تخمّن والصّعوباتُ أكبرُ من أن تتخيّلها.



"التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَيَبْشُرِ الْمُؤْمِنِينَ"²¹

لا يقلّ السّائحون فضلاً عن أقرانهم لما للسياحة في سبيل الله من منافع لهم ولدينهم، ولما لها من فضلٍ في التخلص من آفاتٍ وذنوبٍ وعادات. فالأرضُ الجديدةُ هي حياةٌ جديدةٌ وهدفٌ جديدٌ ومعالمٌ جديدةٌ تبني في نفوسنا ما لا تبنيه الأرضُ السّابقةُ وتفتح رؤى قد تكون أوسع أو أضيق من السّابق وفي كلّ الأحوال لنا خير.



أهو تعبٌ أم نعاسٌ أم صداعٌ تسوقه لنا دروبُ السّفر؟



عجباً لهذه الحياة حين ترمي بك في بيوتٍ من مختلف الطبقات، وبالمصادفة... ترى نفسك في قصور الوجهاء أو في منازل البسطاء أو في خيم البؤساء، فتسمع من كلّ حكاياتهم وتنام معهم على أسرتهم وفرشهم وأرضهم مستغرباً مما لم تألفه ومستمتعاً بمواعظ تراها على غيرك لتكون لك زاداً في حياتك.



شعوباً وقبائل...

لا تعجب في سياحتك من النوم مع أناسٍ من قارةٍ أخرى، آسيا أو إفريقيا أو أوروبا... إلخ. ولا تعجب من العجائب فكلّ دينٍ مختلف فيه من الاستقامة والاعوجاج ما يثير التساؤل: هم أم نحن على صراطٍ مستقيم؟ ومن هم الفائزون؟ وتبقى حكمة الله: "إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم"²².



في الغربة مع الغرباء والأجناس والأمم والأجانب....

تختلط الأخلاق بين الواجب والذوق والوفاء والحياء، حيث نقابل في مواقفنا غرباء على غير ديننا، نحسبهم أشراراً وهم في المعاملات أتقن منا إنجازاً، وفي مدّ العون أشدّ لهفّة، وفي المنزل ألطف مساكنةً، وفي مخالطتهم اليومية أحسن أخلاقاً، فيتبادرُ إلى ذهننا أن كيف هم على هذه الأخلاق؟ ومن أين أتوا بها ومن علمهم؟ وما الذي ينقصهم ليكونوا أناساً صالحين كاملين؟

²¹ سورة التوبة، الآية رقم 112.

²² سورة الحجرات، الآية رقم 13.

أولئك الغرباء أنفسهم، نراهم في الصّباح صالحين وفي المساء سكارى، وفي يمينهم صدقةٌ وفي شمالهم شوكة، وفي إعلاناتهم خليطٌ بين حقوقِ إنسانٍ ونضالٍ وفُحشٍ وانحرافٍ، ويمضون أياماً كمنابرٍ للخير وأياماً هم للفتنة أصداء عالية.

هنا نعرف حقَّ المعرفة قيمةَ إسلامنا الذي أتى ليتمم مكارم الأخلاق²³، فأى شعبٍ على وجه الأرض قد ورث من الأخلاق والقيم وإنما "الأمم الأخلاق ما بقيت"²⁴، وجميعهم على فطرة واحدة، لكنَّ التربية والتوجيه هما ما يفرّق بينهما، وديننا هو ما يجمع بين الأخلاق أحسنها جميعاً ويوجهها. فيكون الكرم في مكانه، والعفة في مكانها، كذلك الحياء والإحسان والعدل والصبر والصدق والرفق واللين والتواضع وكلُّ ما عُرف من خُلقٍ وسجّية. كما تتجلى قيمةُ إسلامنا في أنه محى السذاجة والمكر من الأخلاق كليهما، فلا السذاجة مطلوبةٌ ولا المكر محمودٌ، ولا حماقةٌ ولا البله على حدّ السواء.

"الأخلاق جمع خلق، والخُلق -بضمّ اللام وسكونها- هو الدّين والطبع والسجّية والمروءة، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخُلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها. وقال الرّاعب: (والخُلقُ والأصل في الأصل واحد... لكن خص الخُلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة)"²⁵



لا أكثرُ تُ أنّي يمتت قدامي، المهم أن أجد ما يعينني على الطّهارة ثم على الدنيا السلام.



يصيبني الضيقُ كلّما تذكرتُ أنّ بعدَ عدّة أيامٍ سيحيئُ موعدُ "البحث عن منزلٍ جديد"، كذلك الضيق عندما يحيين موعد "البحث عن عملٍ جديد".



في السّفَر... لا تجدُ غالباً كتفاً تسند رأسك إليه، إلا كُرسیاً أو زجاج نافذة.



لست متعباً إلى هذا الحدّ، إلا أن ظهري قسمته الحياةُ إرباً.



حال المهاجرين والهاربين من الحروب في بعض الأصقاع...

سفرٌ للبحث عن بلدٍ مضيّفٍ...

وترحالٌ للبحث عن منزلٍ آمن...

وعملٌ للحصول على الكرامة...

²³ مستوحى من الحديث الشريف: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق". رواه: أحمد، ومالك، والبخاري في ((الأدب المفرد))، والحاكم، والبيهقي في ((الشعب))، وعند بعضهم: ((لأنتم صالح الأخلاق)).

²⁴ أحمد شوقي.

²⁵ مقدار بالجين، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص75.

وبحثٌ عن عملٍ جديدٍ...
وطلبٌ علمٍ طمعاً في الرقيّ...
وفي آنٍ واحدٍ يجب على ذلك الإعصار أن يدور بكل تلك العناصر.



ومنذ أن بدأت رحلة الغربة أصبحت نقطة الصفر تلاحقني من أرض إلى أخرى، وكلما بنيتُ هنا تهدم هناك.



آه على غرباتٍ فقدنا فيها العنوان وأصبحنا بلا سكن.



روحي إليك.. تسافرُ
وتذوب فيك.. تفاخرُ
وأسير أيامي وأشدو
من للحبيب.. يجاورُ

.....

يا هائماً.. قلبي يطير
يا غائباً.. عمري قصير
فلنغدوا في عمل جليل
لنقابل المولى الجميل²⁶



Citations sur les voyages²⁷

“Le plus beau voyage d’ici-bas, c’est celui que l’on fait l’un vers l’autre” (Paul Morand)
“Voyager, c’est partir à la découverte de l’autre. Et le premier inconnu à découvrir, c’est vous.” (Olliver Follmi)
"Voyager, c'est donner d'un coup à la distance ce que le temps ne pourrait nous donner que peu à peu." (Paul Morand)
"Le voyage est un retour vers l'essentiel" (proverbe tibétain)
“Voyager, c’est voir le monde tel qu’il est et pas tel que l’on voudrait qu’il soit”. (Damien Personnaz)
“Voyager, c’est aimer découvrir et apprendre, c’est se rendre compte que les cultures sont toutes belles et riches”. (Tahar Ben Jelloun).

²⁶ أنشودة "روحي إليك"، كلمات الدكتور علي العمري، أداء وألحان: عبد الرحمن محمد، كانت مقدمة برنامج "مذكرات سائح".

²⁷ Anne-Laure, Atelier oral, Alliance Française, cours d’été de 30 Juillet, Dubai, UAE, 2018.

“Le seul véritable voyage, le seul bain de Jouvence, ce ne serait pas d’aller vers de nouveaux paysages, mais d’avoir d’autres yeux, de voir l’univers avec les yeux d’un autre, de cent autres” (Marcel Proust)



ما يميز بعض الشعوب العربية... أن تعقلهم وغباءهم يخرب عليهم وعلى جيرانهم.



لكل مدينةٍ مُترفوها، وما زادني العيش مع بعضهم إلا كرهاً للترف.



في كلِّ مطارٍ وحدود،

هناك غرفٌ منعزلة لا يراها المسافرون، يُحتَجَرُ فيها الهاربون والمطلوبون والمخالفون، يعلقون في تلك الغرفِ أياماً حتى يأتيهم فرجٌ من الله. منهم الرجال والنساء، ولكلِّ مشكلاته.



رحلات المسلمين في طلب العلم والحديث وفي سبيل الدعوة

قام المسلمون برحلاتٍ من أجل جمع الحديث، وبدأت هذه الرحلات من عصر الصحابة وزادت قوة على مرّ الأيام، فجابر بن عبد الله سافر على راحلته شهراً، ليسمع رواية محدّث، ورحل إلى بيت المقدس، ليسمع حديثاً من أبي الدرداء، ومكحول تجشّم السفر بين مصر والشام والعراق والحجاز، لسماع الحديث، وسعيد بن المسيب كان يواصل الأسفار بالليل والنهار، لسماع حديث واحد أو عدد من الأحاديث. وبذلوا لطلبهم الحديث كل غالٍ وثمين، فالزهري أنفق ما عنده في طلب الحديث، وأنفق ابن المبارك في طلب الحديث أربعين ألف درهم حتى لم يبقَ له نعلٌ، فكان يمشي حافياً.²⁸

قبل رحلات المسلمين تلك نتذكر رحلات الرسول X الدعوية، ومنها رحلته إلى الطائف حيث كانت مليئة بالدروس والعبر التي يستقي منها الدعاة أعظم دروس الصبر والرحمة والشفقة بالعباد، وأن الرحلة الدعوية قد لا تأتي بالنتائج التي كان يروجها الدعاة وأن المعول في كل جهد يقوم به يجب أن يكون ابتغاء ما عند الله وفق مراده جل في علاه²⁹. "إن في قصة هجرته إلى الطائف وما لاقاه من أذى من سفهاء ثقيف لعظة وعبرة للدعاة الذين يتأسون بسيرة الرسول X، فإذا كان الرسول X لقي ما لقي من المشاق في سبيل إقامة الدين، فمن باب أولى أن يلقي الدعاة أشد من ذلك، فعليهم أن يتهيأوا لذلك، لأنه طريق الأنبياء والصالحين، ولأن حكمة الله اقتضت أن لا ينتصر هذا الدين بدون عمل وجهد البشر"³⁰

"وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث رسله يتفرقون في شتى الجهات، وخاصة في جنوب الجزيرة العربية لتعليم الناس مبادئ الإسلام وأحكامه، فقد انتشر أمر الإسلام في الجزيرة في مختلف أطرافها،

²⁸ عبد الجبار فتحي زيدان، "الرحلة في طلب الحديث"، شبكة الألوكة، آخر تحديث 17 تشرين الثاني 2013. مقال إلكتروني. تاريخ الزيارة 16 شباط 2019.

للاطلاع على قصة رحلة النبي X إلى الطائف مفصلاً، انظر السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق السقا وآخرين، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، د ط، 1/420. وأيضاً: البداية والنهاية لإسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار عالم الكتب، د ط، 1424هـ، 4/337.

²⁹ عبد العزيز الرشيد المحلّسي، "رحلات نبينا صلى الله عليه وسلم الدعوية"، موقع الرحلات الدعوية، آخر تحديث تموز 2018. Pdf.

³⁰ مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1412هـ، ص232.

وأصبحت الحاجة داعية إلى معلمين ودعاة ومرشدين يشرحون للناس حقائق الإسلام، حتى يستقر في قلوبهم بعد أن انتشر في ربوعه³¹

لقد اجتمع في الصحابة رضي الله عنهم الذين بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم دعاة صفات أهلتهم لأن يكونوا ممثلين له في الدعوة إلى الله فقد كانوا أقوياء أشداء في الحق، حكماء في الدعوة، صبروا على البلاء وتعاملوا مع كافة المواقف التي تعرضوا لها بالحكمة والدهاء، فلم يعرف مصعب بن عمير رضي الله عنه الانفعال في مواجهة التعنت والإيذاء، بل كانت الرقة والسماحة والصبر منهجه مع الصغراء قبل الكبراء.³²

"ولم يفقد جعفر رضي الله عنه رباطة جأشه حينما رأى وفد قريش يجلسون مع النجاشي، ويوجهون له الأسئلة في تحدٍ واستفزاز، وإنما كان متخلفاً بخلق الإسلام"³³.

"لقد كان إرسال الدعوة إلى شتى أنحاء الأرض في جزيرة العرب المظهر الواضح للرحلة لنشر الإيمان والعلم، لأن مهمة هؤلاء كانت واضحة، ألا وهي نشر العلم الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى من الدعوة إلى الله وتوحيده، ومن التشريع الرباني الذي جاء به الإسلام لينظم كافة مناحي الحياة الفردية"³⁴.

إن أهم ما ينبغي على المسلم أن يفهمه من أمر هؤلاء الرسل وأمثالهم الذي بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر الدعوة إلى الإسلام وتعليم مبادئ الإسلام وأحكامه، أن مسؤولية الإسلام في أعناق المسلمين جميعاً في كل عصر وزمن وليست من السهولة واليسر كما يتصور معظمهم اليوم، فلا يكفي أن ندعي الإسلام بألسنتنا المجردة، كما لا يكفي أن يكون نصيبه من حياتنا بعض أعمال يسيرة، كانت في أصلها جلييلة، ثم تحولت في حياتنا إلى عادات وتقاليد لا ترتفع مسؤولية الإسلام عن أعناق المسلمين حتى يضيفوا إلى هذا القيام بواجب الدعوة إليه، والتبشير به، والسفر في سبيل ذلك إلى شتى الجهات والقرى والبلدان، تلك هي الأمانة التي ألقاها رسول الله في أعناقنا"³⁵.

وعلى هذا فسياحة الدعوة ورحلتهم للدعوة إلى الله أمرٌ دأب عليه السلف وحثوا الدعوة عليه كما كان من قوتهم صلى الله عليه وسلم الذي كان يبعث أصحابه ليسيخوا في البوادي ويبلغوا أمر الله، وبعد وفاة النبي، انتشر الصحابة في أصقاع الأرض ليبلغوا دين ربهم³⁶.

يقول زياد الزبيدي -الذي كان في جند عمرو بن العاص-: "فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا ثم نخيره بين الإسلام والنصرانية فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرتنا حين تفتح القرية... من حرصهم على دعوة الناس"³⁷.

وكان ابن شهاب الزهري يخرج إلى الأعراب ليفقههم في الدين³⁸.
إن في سير الدعوة المرتحلين من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن تبعهم بإحسان صفحات مشرقة تكتب بماء الذهب وهي دليل قاطع وبرهان ساطع على صدق الغاية وعلو الهمة وسمو القصد جهود تبعث على شحذ الهمم وتثير غيرة الدعوة وحميتهم والأمة اليوم بأحوج ما تكون إلى رحلة الدعوة الصادقين إلى أرجاء المعمورة وكل بحسب قدرته وعلمه.

³¹ محمد سعيد البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط10، 1411هـ، ص471.

³² عبد العزيز الرشيد المحلسي، "الرحلات الدعوية الصحابة والتابعين رضي الله عنهم"، موقع الرحلات الدعوية، آخر تحديث تموز 2018.

.Pdf

³³ أحمد غلوش، سلسلة تاريخ الدعوة إلى الله تعالى، 2/507.

³⁴ صالح رضا، "الرحلة للدعوة ونشر العلم"، بحث محكم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها (ع25 شوال 1423هـ،

15/447)، ص469.

³⁵ محمد سعيد البوطي، المصدر السابق، ص473.

³⁶ عبد العزيز الرشيد المحلسي، المصدر السابق.

³⁷ جريز الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، الأردن، عمان، د ط، د ت، ص671.

³⁸ سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، 1422هـ، 5/341.

إن على المنشغلين بأمر الدعوة والدعاة من مؤسسات وأفراد إعادة النظر في الجهود القائمة فيما يختص بالرحلات والبعوث الدعوية والاستفادة من المنهج العظيم الذي تركه الصحابة والتابعون في ذلك، إذ وبالرغم من النتائج المباركة التي تحققت للرحلات والبعوث الدعوية المعاصرة من قبل دعاة الحق إلا أننا نجد بعض الرحلات الدعوية التي يغلب عليها العشوائية وعدم التخطيط والجهل بطبيعة البلدان المرتحل إليها، وأن هناك ممارسات من البعض تركت سلبيات كبيرة وخطيرة جراء التعامل معها بمنظور ضيق بالرغم من أن الشريعة أفسحت فيه.³⁹

إن الرحلة قديمة قدم الإنسان، وما كان البشر في يوم من الأيام ساكنين إلى الأرض مطمئنين إليها، وترحال الإنسان وتنقله بين موطن وآخر هو ما عمر الأرض كما نراها اليوم، ويذكر العلماء أن البشر ما زالوا في ترحال دائم منذ أن وجدوا على الأرض، وربما تعد رحلة قدماء المصريين عام 1493 قبل الميلاد من أقدم الرحلات التي دونها البشر ووصلنا خبر عنها، كما يذكر الباحث الفرنسي مودوي. فمنذ اختراع الكتابة أصبح بمقدور البشر أن يدونوا تاريخ حركتهم على هذه الأرض. يقول مصطفى بن فتح الله الحموي مؤلف كتاب فوائد الارتحال والسفر: "إن موضوع الرحلة والترحال والسفر والغربة عن الأهل والأوطان، موضوع استغرق كتب المصنفين، وامتألت به صحائف المدونين، تصف ترحالهم من بلد إلى بلد، واجتهادهم بين أيدي العلماء على الركب، فتنوعت أخبارهم وتعددت أساليبهم، حسب ما قصدوا من ترحالهم، حتى أصبح في عصرنا الحديث نوع خاص الأدب يسمّى أدب الرحلات.⁴⁰

ومن أنواع الرحلات أيضاً رحلات الحج، وكثير من هؤلاء الرحالة كانوا من أهل الأندلس "المغرب"، يقول الدكتور محمود علي مكي: "ذلك أن الرحلات التي كان يقوم بها أهل المغرب -بمعناه الواسع- وإن كانت في المبدأ من أجل فريضة الحج فقد كانت في الوقت نفسه تتيح الفرصة لطلبة العلم من أجل التزود بالثقافة الإسلامية في مختلف أمصار المشرق"، حتى أن الدكتور محمود حسن زيني ألف كتاباً أسماه "أدب الرحلة الحجازية عند الأندلسيين من القرن السادس حتى سقوط غرناطة"، ومن أشهر من قاموا بهذه الرحلات ابن بطوطة وابن جببر وأبو مروان الحاجي، ويعتبر ابن بطوطة وكتابه «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» من أشهر كتب أدب الرحلات التي دونت في العالم الإسلامي.

ومن أدب الرحلات، الرحلات السياسية وهي تلك التي تمت بتكليف من الملك أو الخليفة، ومن أشهرها رحلة سلام الترجمان إلى بلاد القوقاز للبحث عن سد يأجوج ومأجوج، وذلك بتكليف من الخليفة العباسي الواثق، كما كلف الخليفة المقتدر ابن فضلان برحلة إلى ملك الصقالبة بعد أن بعث هذا الأخير رسالة إلى أمير المؤمنين يسأله فيها أن يرسل إليه من يفقهه في الدين ويعلمه شرائع الإسلام.⁴¹

يقول أليوت مخاطباً البشر: ارتحلوا... انطلقوا أيها الرحالة، فأنتم لستم نفس الأشخاص عند بدء الرحلة!

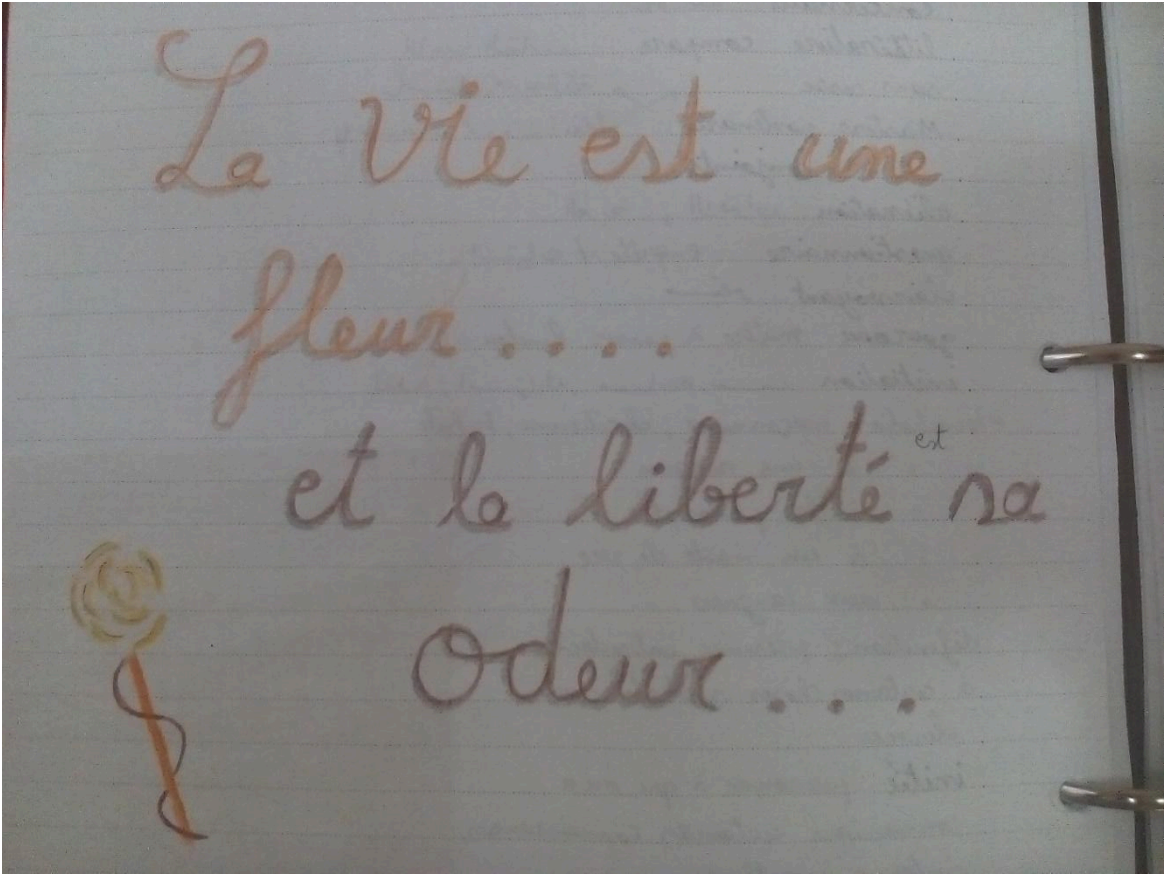
³⁹ عبد العزيز الرشيد المحلبي، المصدر السابق.

⁴⁰ عبد الرحيم درويشة، "أدب الرحلات والسيرة المروية للإنسان غير المستقر"، ساسة بوست، آخر تحديث 25 آب 2015. مقال إلكتروني.

تمت الزيارة في 16 شباط 2019.

⁴¹ عبد الرحيم درويشة، المصدر السابق.

الحياة



يصعب اختيار الحياة عندما يكون الأهل في مكان، والعلم في مكان، والهوى في مكان،
والرزق في مكان، وبين كل مكان ومكان مسافات من الصبر والسفر.

هل سينقضي عهد شبابي على هذه السنن؟
أترأه عهد القوة مختلفاً؟



أحلى الحيات أبسطها.



ها قد بدأ العقد الثاني من عمري كما انتهى الأول، في سفر وترحال وعمل وصبر على قدر مجهول.



رحمك ربي بكل من أعياء تعب النهار حتى قصم الوجع ظهره فما استطاع النوم ليلاً!



مسارك هو ظنك بالله، سيصدق عليك حتماً.



تربية ربانية...

لإن كنت على أبنائك أن يعيشوا بعيداً عن والدهم في ظروف فرضتها قوانين دولية حمقاء، فاعلمي أن تربية الله لهم هي أحسن وأكرم من تربيتك أنت، ولربما هيأهم الله لمقام عالٍ لا يستحقه إلا أبناء تربوا كما تربى هؤلاء...

كما تربى النبي صلى الله عليه وسلم.



احمدي الله حمداً كثيراً عندما تحاطين بصراخ أطفالك، فذلك أفضل ألف مرة من أن تحاطي بأصوات الغرباء وصفارات الإنذار وتنبيهات الانطلاق وعويل المساكين.



قدّر لأولئك الأشخاص أن يولدوا ويروا الحياة على حساب حياتنا، فقدّر الله وما شاء فعل. ورغم دموع تعبنا بسببهم نرجو أن يقدر الله الخير في حياتهم كباراً وأن يكونوا لنا عوناً وأنساً في كبرنا.



عندما تشتكي الوهن والضعف، وتتمنى قصر الحياة فتعلم أولاً ما الفرق بين الضعف والوهن والاستكانة⁴²

الفرق بين الضَّعْفِ والضعف: أن الضعف بالضم يكون في الجسد خاصة وهو من قوله تعالى "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ"⁴³ والضعف بالفتح يكون في الجسد والرأي والعقل يقال في رأيه ضعف ولا يقال فيه ضَعْفٌ كما يقال في جسمه ضَعْفٌ وضَعْفٌ.

الفرق بين الضعف والوهن: أن الضعف ضد القوة وهو من فعل الله تعالى كما أن القوة من فعل الله تقول خلقه الله ضعيفاً أو خلقه قوياً، وفي القرآن "وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا"⁴⁴ والوهن هو أن يفعل الإنسان فعل الضعيف، تقول وهن في الأمر يهن وهناً وهو واهن إذا أخذ فيه أخذ الضعيف، ومنه قوله تعالى "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ"⁴⁵ أي لا تفعلوا أفعال الضعفاء وأنتم أقوىاء على ما تطلبونه بتدليل الله إياه لكم، ويدل على صحة ما قلنا أنه لا يقال خلقه الله واهناً كما يقال خلقه الله ضعيفاً، وقد يستعمل الضعف مكان الوهن مجازاً في مثل قوله تعالى "وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا"⁴⁶ أي لم يفعلوا فعل الضعيف، ويجوز أن يقال إن الوهن هو انكسار الحد والخوف ونحوه، والضعف نقصان القوة، وأما الاستكانة فقيل هي إظهار الضعف قال الله تعالى "وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا" أي لم يضعفوا بنقصان القوة ولا استكانوا بإظهار الضعف عند المقاومة، قال الخليل: إن الوهن الضعف في العمل والأمر وكذلك في العظم ونحوه يقال وهن العظم يهن وهنا وأوهنه موهنة ورجل واهن في الأمر والعمل وموهون في العظم والبدن، والموهن لغة والوهين بلغة أهل مصر رجل يكون مع الأجير يحثه على العمل.

الفرق بين الضعف والوهن: قد فرق بينهما بأن الوهن انكسار الجسد بالخوف وغيره، والضعف نقصان القوة. ويدل عليه قوله تعالى في وصف المؤمنين المجاهدين: "وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا" إشارة إلى نفي الحالتين عنهم في الجهاد.



ربما بعد كل ذلك التحت على الصَّخْر، يظهر تمثالاً من المجد يستحق الخلود.



عندما تحلم بشيء من متاع الدنيا، وتظل تحلم به وتحلم، ثم تطيل الحلم، فيسكنك الحلم، ثم يعظم، ثم لا تجده، فتكرهه، ثم إن حصلت تنبذه.



ما أتفه العيش لولا فسحة تعلم.



⁴² معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (1316-1318).

⁴³ سورة الروم، الآية رقم 54.

⁴⁴ سورة النساء، الآية رقم 28.

⁴⁵ سورة آل عمران، الآية رقم 139.

⁴⁶ سورة آل عمران، الآية رقم 146.

أن تُولفَ كتاباً...

يعني أنك تخاطب الناس جميعاً بفكرك الحقيقي الذي تتمنى أن يسموه صادقاً كما نبع من فكرك، يعني أن تخاطبهم بكلماتك التي خطتها يديك لتفتح معهم آفاقاً للبحث عن حقيقة، يعني أن تخاطبهم بقلبك لتعبر لهم عن مشاعر ربّما لم تسعفك الظروف في البوح عنها مباشرة وإنما كانت الكلمات مراسلاً حمل الشعور ووقر في القلوب.



يعدّ صدور وخروج الكتاب من المطبعة من أجمل اللحظات بالنسبة للمؤلف ليصبح جاهزاً للنشر والقراءة، إن هذا الشعور مشابه لشعورك حين ترزق بمولود، ويجب عليك العمل الآن على كتابك أكثر من أي وقت خالده الراجحي، من كتاب كيف تُولفَ كتاباً.



الحمد لله أن كلمة كتبتُها، قطعت الأرض ووصلت إلى مسامع من كنت أتمنى أن تصل إليه.



عندما انتهيت من كتابة أول جزء في كتابي "قبيل عهد الشباب" في السابعة عشرة من عمري، غمرتني سعادة عارمة وكأنه طفلي الحبيب الذي خلق لي نور الدنيا وقرّ عيني والدته، وبادرت حينها مسرعة لعرض الكتاب على معلمة اللغة العربية في مدرستي. ثم فوجئت بردّها القائل: "عزيزتي أسماء، أنت مبدعة وكتابك رائع، لكن عليك الآن الاهتمام بالثانوية العامة فقط" لا بارك الله بك ولا بارك في الثانوية العامة ولا بارك بكل من سار على نهجك، وأدعو الله أن يمحى البركة من صفوف تعلمينها، فإني أحشى على أجيال أن تقتلهم كما قتلتني. أجل، تلك المعلمة وأمثالها ممن قتلوني، جعلوني أدفن في سنين شبابي، وكم احتجت سنين بعدها لأستعيد ما أفقدوني إياه. يكفيني أنني بقيت بعد كلمة تلك المعلمة تسع سنوات أحاول إيقاظ الأمل في نفسي، ولن أسمح لمعلمة بعدها ولا بشر أن يؤذيني.



لولاك كتابي كيف كنت أعلل النفس وأسليها؟



الترجمة...

"النص المترجم انعكاس لشخص يتقن لغتين قرأ ففهم وكتب فأفهم"

Najla Mrabet



الستر..

ما زلت أفتقد تلك النعمة في أغلب البيوت التي سكنتها في رحلاتي.
وما زلت أنادي أن استروا عوراتكم في كل حال ومهما بلغ الحرُّ وأمام أيِّ كان.



الحُبُّ

سعادةٌ تتجلى شفاهاً مبتسمةً وصوتاً ضاحكاً وقلباً نابضاً.



الرفاهية...

ليست دائماً باباً للإسراف وقد يمنحنا الله إياها للإغاثة على الخير.
والطيباتُ والمالُ والثمرُ والجمالُ كذلك، كُلُّها نِعْمٌ من ربِّنا الكريم لتكون لنا عوناً على البرِّ والأمر
بالمعروف وإسداء الخيرات. اللهم إلا أن نغرق بها فتكون نقمةً علينا وتلهينا عن الباقياتِ الصَّالحاتِ
والمسارعةِ إلى المغفرةِ والجناتِ.
ويبقى شعارنا "الْمَغْفُورَةُ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ"⁴⁷، فما تجمعون من نعيم الدنيا ليس إلا
حطاماً في الآخرة، وسُئِّسَ أَلْوَنَ عن ذلك الحطام.



الانتظار...

لم أجد له إلا تعريفاً واحداً: قاتلُ الحَمَّاسِ. ولو كان رجلاً لقتلته.



الشوق

هو فراغٌ في القلب يجتاح النَّفْسَ كُلَّما تذكَّرتُ ما فقدتُ أو رغبت، يأخذ أحياناً شكل ابتسامةٍ شاردة،
وأحياناً دمعاً بطيئاً وأحياناً غصةً عميقة.



صَنَّاكُ العيش

أن تفقد السعادة في البيت.



الكسل

لا يعني فقط كسلُ الجسد، بل الكسلُ أيضاً كسلُ العقل.

⁴⁷ سورة آل عمران، الآية رقم 157.



التَّمْرُدُ*48

هو فعلٌ محمودٌ في نظري، ودافعٌ لتحقيقِ الهدفِ والنجاح.



السَّجْنُ

من أهمِّ وأقسى محطات الحياة التي ندخلها بشخصيةٍ ونخرج منها بشخصيةٍ مختلفةٍ حتماً، مهما طالَت تلك المحطةُ أو قصرت.



العاطفي....

لا يبكي فقط عند كلِّ حُزنٍ... بل عند كلِّ غضبٍ أيضاً. ومن فقد الذكاء العاطفي فقد التحكَّم بجميع مشاعره، سواءً إن كانت مشاعرٍ محبوبةً أو مذمومةً.



بعضهم يجلسون في مواقف الحافلات، يراقبون العالم ويقطعون الساعات... بدلاً من المكوثِ في منزلٍ مَقِيَّت.



عندما أسمعهم يتحدثون عن لَذَّةِ النومِ وقصصِ النومِ الطويلة، أحمد الله على قلةِ النومِ منذ فتوتَي وكم أكسبتني مدداً في عمري وبركةً لأنال خيراً كثيراً.



السري السقطي*49: "من استعمل التسوييف طالت حسرته يوم القيامة"

*48 تَمْرَدٌ: (فعل): تَمْرَدَ على يَتَمْرَد، تَمْرُدًا، فهو مُتَمْرِدٌ، والمفعول مُتَمْرَدٌ عليه. تَمْرَدَ على أهله: عَصَاهُمْ وَتَجَاوَزَ طَاعَتَهُمْ. تَمْرَدَ الجُنْدُ في المُعَسْكَرِ على أوامر الضَّبَّاطِ: أَعْلَنُوا العِصْيَانَ وَالتُّورَةَ. تَمْرَدَ على الرَّاحَةِ: اِعْتَادَهَا. تَمْرَدَ الغُلامُ: بَقِيَ أَمْرَدًا. تَمْرَدَ الغُلامُ: مَرَد. ولد متمرِّدًا: ولد عنيد. تَمْرَدَ على الشرِّ: طغى.

تَمْرَدٌ: (اسم): مصدر تَمْرَدَ. أَعْلَنُوا التَّمْرَدَ عَنِ السُّلْطَةِ: العِصْيَانَ، التُّورَةَ. مَرَدٌ: (فعل): مَرَدَ يَمْرُد، مَرَدًا، مُرَوِّدًا، فهو مَرِيدٌ. مَرَدَ الشَّخْصُ: مَرَدَ، طغَا وَعَتَا، جاوز حدَّ أمثاله. مَرَدٌ: (فعل): مَرَدَ يَمْرُد، مَرَدًا وَمُرْدَةً وَمَرُودَةً، فهو أَمْرَدٌ؛ والجمع: مُرْدٌ. مَرَدَ الصَّبِيُّ: خلت لحيته من الشَّعْرِ. مَرَدَ الغُصْنُ: خلا من الورق. مَرَدَ فَلَانٌ: داوم على أكل المَرِيدِ: التمر المنقوع في اللبِنِ.

مَرَدٌ: (فعل): مَرَدَ / مَرَدَ على يَمْرُد، مُرَوِّدًا، فهو مَارِدٌ، والمفعول مَمْرُودٌ عليه. مَرَدَ الشَّخْصُ: طغَا وَعَتَا، جاوز حدَّ أمثاله، عَصَا. مَرَدَ المُعْدِنُ: صَنَعَهُ، لَبَّثَهُ. مَرَدَ الصَّبِيُّ نُذِيَّ أُمِّهِ: مَرَسَهُ، مَصَّهُ. مَرَدَ النَّوْبُ في المَاءِ: عَرَكَهُ. مَرَدَ فَلَانٌ: مَرَقَ عِرْضَهُ. مَرَدَ الدَّابَّةُ: ساقها سوقًا شديدًا. مَرَدَ المَلَأَحُ السَّفِينَةَ: دفعها بالمُرْدِي.

مَرَدٌ: (فعل): مَرَدَ يَمْرُد، تَمْرِيدًا، فهو مُمْرِدٌ، والمفعول مُمْرَدٌ. مَرَدَ الغُصْنُ: جَرَدَهُ من الورق. مَرَدَ البِنَاءُ: سَوَاهُ وَمَلَسَهُ. مَرَدَ البِنَاءُ: طَوَّلَهُ. مَرَدَ الصَّخْرُ: مَلَسَهُ، نَحَثَهُ. مَرَدَ لِلْحَمَامِ: جَعَلَ لَهُ التَّمْرَةَ، أَي بَرَجًا صَغِيرًا.

المصدر: قاموس المعاني الجامع. <https://goo.gl/Saz92K>

49 السَّرِيُّ بِنُ المَعْلَسِ السَّقْطِيِّ: الإمام القدوة، شيخ الإسلام أبو الحسن البغدادي. ولد في حدود الستين ومائة. وحدث عن الفضيل بن عياض، وهشيم بن بشير، وأبي بكر بن عياش، وعلي بن غراب، ويزيد بن هارون، وغيرهم بأحاديث قليلة. واشتغل بالعبادة، وصحب معروفًا الكرخي، وهو أجل أصحابه. روى عنه: الجنيد بن محمد، والنوري أبو الحسين، وأبو العباس بن مسروق، وإبراهيم بن عبد الله المخرمي، وعبد الله بن



قمة الغباء أن تحرق صلاةً مقابلَ تجارة، وأن تحرق الوقت الكثير مقابل منفعة واحدة، ثم تسمي نفسك "شاطر".



لا يعلن النَّصَابُ حين ينصبُّ عن نصبه علناً، للنصبِ حِيلٌ كثيرةٌ وأكثرها ما يتخذ الدينَ أو الأخلاقَ حُجَّةً ليظهرَ النَّصَابَ نفسه شريفاً ويترك من ظلمه في غمرة من الحيرة وتأنيب الضمير. فلا تلتمس العذرَ لمن أخذ حَقَّكَ وألف الحجاجَ لفعلته.



إذا احتملت كثيراً من الأذى والافتراء من شركاء السكن، لا تقتط من الخير فيهم ولا تظنن فيهم سوءاً في فترة من الوحدة والوهن وتحمل الأعباء لكم جميعاً، فقد يعودون بعد حين معتذرين متسامحين.



عندما تبحث عن شريك صالح للمنزل، احرص على أن يكون صالحاً داخل المنزل، ولا يهتمك أن ترى منه الصلاح خارجاً وفي الداخل يضنيك بقلة الذوق والأخلاق. فكثير من الشركاء يساعدونك في المنزل كإخوة لك، وفي الخارج ربما يفعلون ما لا تتوقعه من سوء أخلاق، لكن الأهم لديك هو الذوق، والأهم هو الطهارة في البدن والقلب.



لكل سكنٍ مذاق، فهناك السكَّن مع الزوج، والسكَّن مع العائلة، والسكَّن منفرداً، والسكَّن تشاركاً مع الأصدقاء، والسكَّن تشاركاً مع الغرباء، وتتعدد الأسكان. وفي كل سكن قد تنمو مشاعرُ الألفة والطمأنينة، أو قد تنمو مشاعر الكره، أو قد يحتمل الواحد الآخر على مضضٍ مع استعداد للعراك عند أتفه الأسباب... أسباب تجعل السكن جنَّةً أو ناراً.



شاكِر، فروى ابن شاكِر عنه، قال: صليت وردي ليلة، ومددت رجلي في المحراب، فنوديت: يا سري، كذا تجالس الملوك! فضممتها، وقلت: وعزتك لا مددتها. قال أبو بكر الحربي: سمعت السري يقول: حمدت الله مرة، فأنا أستغفر من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة. قيل: وكيف ذاك؟ قال: كان لي دكان فيه متاع، فاحترق السوق، فلقيني رجل، فقال: أبشر، دكانك سلمت، فقلت: الحمد لله، ثم فكرت، فأريتها خطيئة. وقال الجنيد: سمعت سرياً يقول: أشتي منذ ثلاثين جزرة أغمسها في دبس وأكلها، فما يصح لي. وسمعت يقول: أحب أن أكل أكلة ليس لله علي فيها تبعه، ولا لمخلوق فيها منه، فما أجد إلى ذلك سبيلاً. ودخلت على السري وهو يجود بنفسه، فقلت: أوصني، قال: لا تصحب الأشرار، ولا تشتغلن عن الله بمجالسة الأخبار. قال الفرخاني: سمعت الجنيد يقول: ما رأيت أعبد الله من السري، أنت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعاً إلا في علة الموت. قال الجنيد: وسمعت يقول: إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مخافة أن يكون وجهي قد اسود، وما أحب أن أموت حيث أعرف، أخاف أن لا تقبلني الأرض، فأفتضح. وسمعت يقول: فاتني جزء من وردي، فلا يمكنني قضاؤه، يعني لاستغراق أوقاته. قال أبو عبد الرحمن السلمي: كان السري أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد، وتكلم في علوم الحقائق. وهو إمام البغداديين في الإشارات. قلت: وممن صحبه العباس بن يوسف الشكلي، ومحمد بن الفضل ابن جابر السقطي. توفي في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين. وقيل: توفي سنة إحدى وخمسين. وقيل: سنة سبع وخمسين. المصدر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشر، بيروت، لبنان، 1422 هـ/ 2001م، ج12، ص186-187. قال عنه ابن عساكر في كتاب تاريخ مدينة دمشق: أحد الزهاد الأتقياء العباد، قدم دمشق. (20/165).

أشكّ في نظافة ملابس أولئك الذين طالت أطافرهم.



في السكّن المشترك...

يمكنك استعارة ما تشاء، إلا غطاء السرير، فإن بقّة واحدة عالقّة به قد تنعّص عليك عيشك.



نسمة خير وظلّك خفيف...

ما أجمل أن ينعتك شركاء السكن بهذا اللقب، وما أجمل أن تحافظ عليه في كلّ سكن.



لا تضع نفسك في المكان الخاطئ ثم تقول: "افتروا عليّ كذباً"
أنت وضعت نفسك بين أناس تختلف مبادئهم عن مبادئك.



قالوا: "من عاشر القوم أربعين يوماً صار منهم"

وهي مقولة منسوبة إلى عزيز بن عبد الملك منصور أبو المعالي الجيلي القاضي والذي كان يلقب باسم شيدله⁵⁰.

كنت أخالف ذلك القول وأقول إن الذي يحافظ على نمط حياته ومبادئه لن يغيّره أبداً مهما عاشر القوم. لكنني عرفت لاحقاً وبالتجربة أن نمط الحياة يختلف كلياً حين تعاشر قوماً ما رغماً عنك وأحياناً باختيارك، لأن لكل نمط عوامله النفسية والمادية وسترضخ حتماً لتلك العوامل ما دمت تعيش ضمن ذلك النمط (وليس فقط ضمن المكان). على أن التغيير الأكبر يكون على المحيا وما تعلق به، أما الحياة الروحية قد لا تتغير بمعاشرة كائن من كان إلا بتغيير من الذات.



لكلّ بكاء مذاق، فهناك البكاء من خشية الله، والبكاء ندماً، والبكاء حسرةً، والبكاء من فقد، والبكاء اشتياقاً، والبكاء ألماً، والبكاء غيرَةً، وتتعدد المذاقات.



قد لا تنتهي الهموم كما تمنينا، لكنّها جميلةٌ عندما تنتهي.



في البلد الأم قبل الحرب، كنا نصادف وداع السفر أو وداع الموت مرةً كلّ عدة سنوات، أما الآن.. في هذه البلدان الاصطناعية التي نقطنها، نصادف الوداع كلّ يومٍ حتى صرنا نتعجّب من أن يدوم اللقاء طويلاً.

⁵⁰ حسب ما تخيره الموسوعات الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية، ومنها: الموسوعة العربية الشاملة <https://www.mosoah.com>

وكم صار سهلاً الوداع!! حيث لا دموع ولا مراسيم ولا عناق، بل أمنياتٌ سعيدةٌ فقط نجهرُ بها أو نخفيها أحياناً... ونكتفي بحسرة القلب.



كما كنا نرى في الأفلام فتاةً وخاطبها يجتمعان في مطارٍ واحدٍ أو حدودٍ بريةٍ دون أن يُسمحَ لهما باللقاء، واليوم نعيشها حقيقةً واقعيةً في ظروفٍ حربيةٍ.



لا تتخيلي أن الزواج هو فسحةٌ للتمتع، بل هو في زمن الحرب فسحةٌ جديدةٌ للتعب، خاصةً مع الإبعاد والغربة، سيكون ألماً جديداً يضاف إلى قائمة الآلام.



لم أكن أعلم أن لضوضاء المدينة أثراً خطيراً على النفس على المدى البعيد، وكنت قبلاً أحسها ضجةً أنيةً نرتاح منها بعد العودة إلى المنزل لكنها تجلّت واستشرت في جسدي بعد أن جعلتني عجوزاً لا تطيق سماع صوت دبيب النمل يمرّ أمامها. "يمكن تعريف الضوضاء على أنها عبارة عن أمواج صوتية متولدة عن اهتزاز غير منتظم في المادة، ضارة بسلامة الإنسان تسري إليه عبر الهواء فتؤدي سمعه وأجهزته وتتلّف أعصابه وتقلق راحته سواء حلّت بصورة فجائية أو متقطعة أو مستمرة. وللضوضاء الزائدة عن الحد نفس تأثير خطورة تلوث البيئة في مكان العمل الناتجة عن المواد الكيميائية السامة. وتسبب العديد من المشاكل الاجتماعية والصحية والعضوية والنفسية للإنسان".⁵¹



لا ينفع الطبيبُ عندما نعلمُ الداءَ ولا نملكُ الدواءَ.



لا يزال الغراب عندي مثلاً لكل حاكمٍ ينقُ بمجلسه الذي لا يسمع إلا دعاءً ونداءً، وهو الرئيسُ فيهم والأكثرُ بهماً.



من أصعب أنواع الانتظار: أن تنتظر مصيراً لا تطيقه وتكره مجيئه وأنت تدري أنه قادم لا محالة، وأنتك ستعيشه وحيداً بكل جرأةٍ دون إمكانية للتهاون أو الاستكانة، لأنك إن تهاونت خسرت نفسك بكل بساطة، وما من أحد يمكنه تقديم عونٍ أو ردّ ذلك المصير عنك ولا ينفعك إلا أن تطلب من الله الاستعانة.

⁵¹ يوسف الطيب، "آثار الضوضاء"، المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية، السلامة المهنية وتقليل المخاطر، آخر تحديث 21-1-2012. مقال إلكتروني تمت مراجعته من خلال الرابط: <https://goo.gl/xwL4x8>



أفعال الظنّ توقعنا في مشاكلٍ قد تقلب أيامنا رأساً على عقب...
"ما توقّعت ذلك"

"لم أظنّ أن الأمور ستصل إلى هذا الحد"
وتستمرّ الظنون بلا حسابات، ونحلم بعيداً عن أرض الواقع، حتى تأتي المشكلة وتعيدنا إلى رشدنا،
فيعمل العقل مجدداً مع ألم شديد وحسرة على الظنون.



الدّمعة... هي أعظم معلّم للحكمة.



ماذا كان حلّ بنا لولا نفحاتٍ رحمةٍ من ربنا، وعَوْضٍ يرسله لنا ويُسرّ يسوقه لنا ورزقٍ ما كنا نتمنّاه
وكلمةٍ طيبة نتمناها في أحلامنا فنسمعها من أحدٍ لم يخطر في بالنا أن يقول طيباً.



تلك هي الحياةُ عسرٌ ويسرٌ...

ولن يأتي فيها يومٌ واحدٌ تفرج فيه جميع الهموم، بل تفرج الهموم عندما ترضى أنفسنا بأقذارها.



كيف أحببت ولما تعاشر؟!

وجعلتها تعيش في حالةٍ من تأنيب الضمير على صدك دون أي ذنب منها، فإنك لم ترَ منها معاشرَةً ولا
انسجاماً ولا مخالطة، وكنت لم تعرف عنها إلا اسمها وسمعة أهلها، فلا تلمها الآن.
هي لم تكن سبباً في كسر خاطرك بل أنت أحببتها في أحلامك.



أيها القوم! فليعلم القاصي والداني أنّ من طلبَ الملكة فعليه أن يملك سوطاً من حقّ لو ضرب به
الأرض لسمع أهل السّماء.



إن سأل عني، فبلّغوه رسالتي:

إن كان يريدُ حباً فليس زماننا لأهل الحبّ، وإن كان يريدُ سكناً فليؤمّن لي السكن، وإن كان يريد حياةً
فليقتضِل لنتكلم، فإن رأينا وفاقاً كنا شركاء في تلك الحياة، وإن لم نتفق فعليه السلام.
اللهمّ إلا أن يأتيني عاشقاً دون أن أدري من أين جاء العشق!



"أترفضين الزواج بي لأنني بوذي؟"

من القضايا التي نقابلها في حياتنا اليومية هي موضوع تحريم زواج المرأة المسلمة بغير المسلم والتي ازداد النقاش حولها مع توسع الاتصالات بين الناس واحتكاكهم في مجالات العمل والسياحة والدراسة، حيث ظهر نتيجة لذلك مفهوم "التعايش" وتجاهل بعض المسلمين الحدود التي شرعها لهم الشارع لتنظيم حياتهم، فصاروا يتقربون من غير المسلمين ويُسرون إليهم ويسمحون بالمقابل بأن يتقرب غير المسلمين منهم ويدخلون في تفاصيل حياتهم. ذلك ما أدى إلى استساغ فكرة الزواج بغير المسلمين وتأسيس عائلات على أسس اجتماعية فقط غير دينية. إن الإسلام ينظر إلى العائلة على أنها مؤسسة متكاملة قائمة على ميثاق بين الزوجين وحقوق لهما وعليها وعلى المودة بينهما، فلذلك شرع أن يكونا مسلمين أو أن تكون الزوجة فقط كتابية ليتمكن كل منهما من إقامة أسس العائلة واحترامها ليستطيع كل منهما إتمام حياته بعد الزواج بحرية وانسجام مع الطرف الآخر دون وجود عائق العقيدة والممارسات الدينية وما يجر ذلك من تسفيه للأراء وحجز للحرية. أما القضية الأكثر أهمية هي قضية تنشئة الأولاد، الذين يولدون وهم في حاجة لبيئة سليمة خالية من التضارب بالرأي والتيه في العادات، وذلك يتحقق فعلاً عندما ينشئ الآباء أبناءهم على عقيدة سليمة لا على أفكار اجتماعية تتغير حسب التيارات الفكرية. من المهم أيضاً في هذا المجال الحديث عن فكرة مهمة حول ممارسة كل من الزوجين لممارساتهم الدينية، فحين يكون أحد الزوجين مؤمناً بعقيدته ومطبّقاً لتعاليمها فإنه يميل إلى أن يداوم عليها ويجعلها منهج حياته، كما يميل لأن يشاركه زوجه نفس الممارسات، فهنا يقع الاختلاف ويظهر الشقاق حين تستأثر التعاليم بمنهج الحياة مع غير ارتياح أحد الطرفين لها، حين ذلك لا ينفع التفاهم حلاً ولا التجاهل يؤلف قلبين افترقا فكراً وعملاً.



ضحايا الزواج عبر الإنترنت من ثقافتين مختلفتين:

تجربتي الشخصية مع عائلتي "عجاج والقصير"^{*52}

جاءني ابن عائلة "عجاج" في عام 2014 خاطباً بعد أن كان زبوناً لعملي الخاص وشريكاً في نشاطات ثورية في دمشق، فقد جاء في زيارة من السعودية إلى طرابلس عام 2013 حيث قابلته أول مرة في مقهى بناءً على طلبه ليشتري بعض الإكسسوار الثوري، ثم أبدى طلبه بالخطبة بعد ذلك بسنة كاملة عبر مكالمة هاتفية طلب مني فيها أن يتقابل أهلي وأهله في دمشق. لقد كان طلبه جاداً وكان دافعه الأساسي لذلك ما رآه من إبداعي ووداعتي -على حدّ زعمه- وربما أعجب بقوة شخصيتي وتعاملي معه بالمال ولأنني من بنات الثورة السورية، لكن هي الصفات نفسها كان يكره أن يلقاها في زوجته ولا أدري لم أفتع نفسه أنني يجب أن أنجب على جبلته وأن أغير طباعي كلها وفق ما يريد. على أن هذا الأمر لم يكن الخطأ الأساسي، بل كان خطؤه أن بدأ الخطبة عبر الهاتف واستمرت عبر برنامج سكايب للدراسة، حتى طالت شهوراً وانتهت بالمفارقة دون أن نلتقي. حيث أنها كانت فترة يعيبيها الانتظار ولا يُسمح لنا فيها بالتفاهم إلا عبر الصوت وحسابات التواصل الاجتماعي المزيقة، كما كانت

^{*52} عائلة القصير وإخوتهم من عائلة عجاج: من العائلات الدمشقية التي يعيش بعض أفرادها في حي الميدان الدمشقي وبعضهم في السعودية، وكلٌّ منهم يتمثل ثقافة البيئة التي يعيش فيها.
معنى اسم عجاج: هو اسم علم مذكر عربي، معناه الدخان، الغبار مع الريح. والعجاج: الأحمق، رعا ع الناس. المصدر: قاموس المعاني.

أخثه وبنائها حينها - وهم من عائلة القصير- يراقبون حسابي على موقع الفيس بوك ويظنون بي الظنون جزاء صور ما أعجبهم أو تعليقات أصحابي رغم أنها كانت ضمن حدود الأدب والدين - ولم يكن فيها أبداً صوراً شخصية- إلا أنّ ثقافتهم المتوسطة وقصر فهمهم للدين جعلهم ينظرون إليها على أنها متجاوزة الحدود وأنها تعبّر عن شخصيتي الغير ملتزمة -بنظرهم- مما شجعهم على تحريض ابن عائلتهم المدلل لمفارقتي بحجة أنني لا أناسبه فكراً واستقامةً، علماً أنني لم أكن أشعر من التزامه أنه قدوة لغيره أو مستقيماً بالحدّ المرضي، بل كنت أرى دائماً أن التزامه بالدين في حدود الاقتصاد ويميزه الهوى أحياناً، وأن ما يميّزه فقط نشاطه وحماسه للتغيير دائماً. ثم إنه كان حافظاً لقرآن كما كنتُ حافظاً -بفضل الله- وتربّي كما تربّيت بين حلقات المساجد وله فكرٌ هندسيّ كفكري لذلك كان من الغريب أن يفاضلَ أهله بيننا وأن يفضلوه.

خلال فترة الخطبة الإلكترونية تلك والتي لم ألبس فيها خاتم الخطوبة ولم يحتفل بي أحد ولم تصلني أية هدية إلا مبلغاً من المال أرسله العجاج لي معتقداً أنه يكفي كمصروفٍ لسنة شهر، خلالها كان يشرح لي دائماً عن نظريات في الزواج والمملكة الزوجية بناءً على قراءته لبعض الكتب وما استخلصه من دوراتٍ تابعها في تلك المواضيع والتي اعتبر نفسه بعدها خبيراً اجتماعياً بأمور الأسرة، وأنا كنت أراها نظرياتٍ قد تُطبّق أو لا تُطبّق على أرض الواقع، خاصةً أنه كان يعيش في بيئةٍ مُترفةٍ وبين إخوة ذوي ثقافة متواضعة لا سيّما النساء منهم على عكس بيئتي. فنساء الخليج يختلفن تماماً عن نساء الشام في نمط حياتهنّ ولكلّ طباعه ووجهات نظره.

من ناحيةٍ أخرى، طلب مني في تلك الفترة أن أتوقّف عن جميع أعمالِي، وأنا التي كنت مشرفةً على عملٍ تستفيد منه ما يقارب 50 امرأةً من عائلاتٍ سورية نازحة وكنت أشرف على بعض المشاريع في مخيمٍ للاجئين، وسعادتني بتلك الأعمال الاجتماعية الراححة والخيرية لم تكن تساويها سعادة، لكنّ أناانيته وقصور تفكيره حطّم تلك الأعمال، وأنا أعتزّ أني كنت كالبهاء عندما وافقت على إيقاف تلك الأعمال -قبل أن يعقد قرانه- وجعلت أضاعف جهودِي وأسهر وأتحامل على نفسي كي أنهى حساباتي وأماناتي وعلاقاتي جميعها في سبيل أن يرضى ذلك العجاج. ويا ليتته رضي، بل ظلت الشكوك تسكن نفسه وتتضاعف مع مضي الأيام حتى قضت على عواطفه وقرّر فجأةً وبجدةٍ أن يفارقتي محتجاً أنني "طموحة، وأنا لا أستطيع أن أحقق طموحاتك ولا أريد أن أقف في وجه سعادتك" تلك العبارة التي أنهى فيها علاقتنا وجعلني أرتمي أرضاً كسيرة القلب بعد أن خسرتُ أعمالِي وأوقفتُ دراستي وغيرت مسار حياتي.

اختلاف الثقافة بيننا كان من أسبابه الفارق المعيشي، حيث أنه كان من المُترفين الذي يحسبون أنهم بالمال يتفضّلون على البشر ولم يكن يحملُ همّ المعيشة أبداً، أما أنا وأهلي فكنا في عداد اللاجئين الذين خسروا أموالهم في الحرب ويعيشون كدّ الحياة بالصبر بعد أن كانوا من عزيزي قومهم، على أنني كنتُ وما زلتُ مؤمنةً أن المستوى المعيشي لا يتبارى مع النسب، فأنا بفضل الله ابنة بيروت وابنة دمشق ومن سكان طرابلس الشام وممن أُخرجوا من ديارهم بغير حقّ، ولم يكن يهمني المستوى المعيشي بقدر ما يهمني أن أتزوج ممن يكافئني نسباً.

كان هناك أسبابٌ أخرى أيضاً لاختلاف ثقافتنا وهو نمط الحياة المستقرة لديه والمتغيرة لديّ، ومرحلة الفتوة المختلفة لكلّ منا، وظروف العمل التي لازمتني منذ الفتوة والتي لم يجربها إلا بعد شبابه، وغير ذلك من تربية الأهل والمدرسة.

ربما لا يفيد الخوض في تفاصيل تلك التجربة أكثر من ذلك، ويكفي أني أتذكرها تجربةً سوداء، لذلك سأنقل إلى المرحلة الأهم والتي جرى فيها عقدٌ وشقاقٌ عبر الإنترنت!

إذ عاد العجاج عام 2018 بعد أن كانت أخباره مقطوعة عني تماماً وبعد أن كنتُ أذكره دائماً أمام الناس بشرٍّ ما فعله بي، اتصل عاشقاً ولهاناً مصرحاً بحبه ويصرخ عبر الهاتف أن "اشتقت لك، وسوف أتيك في عطلة نهاية الأسبوع"، فاستقبلت اتصاله بدهشةٍ عجيبةٍ وأصابني غباءٌ عاطفيٌّ أنثوي جعلني أتناسى جرحه لي وأهله، وسارعتُ إلى استشارة أهلي ثم الموافقة على طلب خطبته الجديد.

بعد ذلك بدأت سلسلةً أعذاره بعدم القدرة على المجيء إليّ لزيارتي، فمرةً لم يُسمح له بإجازةٍ من عمله ومرةً لم يسمح له الوقت، ومرةً لم تسمح له ظروف الأهل، ومرةً لم يسمح له الوضع الأمنيّ بدخول لبنان، وهكذا حتى عقدنا في محكمة بيروت غيابياً على أن يكون مهري حفظه للقرآن. ثم مضت تسعة شهور وأنا أتلوّ من أعذاره وهو يتخبّط في محاولاته للقاء حتى كان الطلاق هو المحاولة الحاسمة. ولم يكن في حيلتي خلال تسعة الشهور إلا أن أنجّه للحياة الزوجية الجديدة كما كان يتجهّز هو، وقمنا بعقد القران غيابياً وقمت كالبهاء بتثبيت ذلك العقد في دائرة نفوس بيروت كما قام هو بتجهيز منزلنا الجديد وطلب تأشيرة عائلية لي، إلا أن الأقدار أنقذتنا من زواج مريّر.

التحليل النفسي والاجتماعي لتلك التجربة:

"ع. عجاج" شابٌ دمشقيّ الأصل والجنسية، وُلد في مكّة المكرمة واكتسب سحنةً أهلها وسجيتهم، وتربّى فيها حتى صار في الثامنة عشرة من عمره فغادرت به والدته مع إخوته إلى دمشق للتعرف على إخوتهم من زوجها المتوفى من عائلة القصير، ثم توفيت الوالدة فجأةً أثناء عودتها إلى مكّة. وتابع العجاج دراسته في جامعةٍ خاصّة في مجال الهندسة النفطية حيث بقي خمس سنواتٍ في دمشق ينتقل بين منازل إخوته وبين السكن الجامعي، مما جعلهم يعدّونه ابنهم المدلل وبالمقابل كان يستقي منهم عاطفة الأمومة وعاطفة العائلة اللتين افتقدتهما بوفاة والدته وبتعرّبه عن بلد منشئه. بعد ذلك عاد إلى مكّة وتوظّف في شركةٍ أجنبية وصار يعتني بوالده الكبير في السنّ إلى أن توفي ذلك الوالد بعد سبع سنواتٍ تقريباً من عودة العجاج إلى مكّة. إلى جانب وظيفته كان يهتم كثيراً بعالم الأعمال ودفعه ذلك إلى السفر إلى تركيا لتأسيس مشروعٍ ربحيٍّ فيها، ودلّني سلوكه في الأعمال وإدارته لوظيفته أنه ناجحٌ في أعماله وأنه إنسانٌ مدفوعٌ بالإنجاز، وظهر أيضاً هذا الدافع لديه في معظم أقواله وسلوكياته. كما أنه مدفوعٌ بالانتماء، ويهتم اهتماماً مبالغاً فيه بالتودّد إلى الناس سواءً كانوا من عائلته أو الأصدقاء أو الزملاء، ويمكنني القول إنّ دافع الإنجاز لديه يساوي تماماً دافع الانتماء أما أنا فدافع الإنجاز عندي أقوى من الانتماء ولا دافع لديّ أبداً بالنفوذ. (وقد أقرن بيني وبينه ها هنا على اعتبار أنّنا كنا سنصبح شريكين حياة في فترة ما) والحمد لله أنّ ذلك لم يحدث، فقد عرفتُ بعد أن عقدنا القران أنّه من أصحاب برج العقرب، وقرأتُ فيه مواصفاته تماماً كأنّه عقربٌ حقيقي، كما قيل لي أن برج العقرب والثور -الذي هو برجي- لا يتفقان في حال، إلا أن يقع القدرُ ويتفهّمهما اختلافاتهما. فجعلتُ أبحثُ عن نقاطٍ مشتركةٍ في أنماطٍ شخصيتنا ووجدتُ بيننا تكاملٌ كبير، لكن لم يعترف هو بذلك الاختلاف للأسف، بل كان يعدّ كلّ ما يراه في شخصيتي أخطاءً وليس اختلافاً طبيعياً عنه:

- هو إنسانٌ محبٌ للاستقرار، وأنا أحبّ التغيير، وذلك نوعٌ من التكامل أما في نظر العجاج كان حبُّ التغيير خطأً لا يغتفر.

- هو إنسانٌ تشغله التفاصيل وأنا أهتمّ بالرؤية الكلية، وذلك نوعٌ من التكامل أيضاً إلا أنه كان في رأيه قلة اهتمام.

- أنا أميلُ للإِنْهاء وهو يميلُ للبدء، ومن المفترض أن ذلك يحقق توازناً في الحياة، لكن العجاج رآه هَوَّةً بيننا ولم يفتنع أن من الواجب إنهاء الأشياء، بل كان يتهمني بالقلق كلما طالبتُه أن أمراً ما يجب أن ينتهي. أوضح مثال على حبه للبدء أنه بدأ بمشروع خطبة عدة مرات وكان الأسرع في بدء الطلاق.

- أنا أحبُ واعتدْتُ على ترتيب الأمور وإصلاحها وحسمها على عكس عاداته، فهو يحب أن يستمتع بمراقبة الحياة وهي تمر، وقد كنتُ متفهمّة تماماً لذلك، أمّا هو فكان مقتنعاً أن الأمور يجب أن تسير هكذا دون تخطيط مسبق وأن التخطيط والحسم يعينان الاستعجال.

- أهم اختلاف بيننا كان الانطوائية والانبساط، وهذا ما أرقه كثيراً واعتبره خطأً كبيراً لا يمكن أن يتعاش معه، مع أنه كان بالإمكان وببساطة أن يتفهّم أن الانطوائية لا تعني الانعزال. للأسف، لقد رفض مدة تسعة الشهور أن يسمعني وأن يعلم أنني انطوائية غالباً في الليل وأبسط ما أكون في النهار. أما عن وصف نفسيّته كمولودٍ من مواليد برج العقرب، فقد نقلت ما كتبتُ في الموسوعات المختصة بصفات الأبراج لأنه تمثّل تماماً برَج العقربِ بإيجابياته وسلبياته حتى دفعني لتسميته بالعقرب بدل العجاج:

"يعتبر برج العقرب برج مائي وأهم صفاته الثبات والعقلانية، ولا يتوافق مع برج الثور خاصة، ولونه المفضل الأحمر القاني. تتسم شخصية مواليد هذا البرج بأنها متوازنة وهادئة، وهي مليئة بالعواطف والانفعالات والانفعالية، مولود العقرب شغوف وطموح ويسعى للوصول للحقيقة، وهو ماهر في إخفاء مشاعره على الرغم من ثورانها، بارع في القيادة والمكر والحيل. سمات القوة التي يتمتع بها أصحاب هذا البرج تتمثل في أنهم عاطفيون، وعنيدون، وشجعان، وأوفياء للصدّاقة، ويتسمون بجمال الشكل والمظهر والعيون، يحبون الأصدقاء ويقدمون الصدّاقة، ويحبون الحق والصواب، أما من نقاط ضعف أصحاب هذا البرج فإنهم غيورون جداً، ويكتمون مشاعرهم، وهم لا يتقنون بأحد بسهولة، وهم لاذعون في نقدهم. يقدّسون الأمانة ولا يخونونها، وهم متفائلون دائماً، ويمكننا حفظ أسرارنا عندهم." أخالف في تلك الصفات ثلاث صفات هي الجمال والقيادة وتقديس الأمانة، لأنني لم أكن أراه جميلاً، ولأنني لم أر منه أبداً حسن القيادة، ولأنه لا يحافظ على أمانة ما يودع عنده أو يقال له بل يستخدم الكلام الصادق الذي يقال له كسلاحٍ ضد الطرف الآخر. وأضيف -اعتماداً على وصف مستشارة علاقات أسرية- أنه يقدّس العائلة ويعيش في دوامة من الشكوك قد تؤدي به إلى الجنون أو الطلاق أو قتل فريسته أحياناً.

لقد أخطأ العجاج عندما اعتقد أن شعور الحب لديه يحتم عليه أن يكون واعياً بي بقدر الإمكان وأن عليه أن يراقبني حتى يدرك كل ما يصدر عني من تعبيرات، وينصت إليّ حتى لا تفوته ولو كلمة تافهة، مع أنّ ذلك لم يكن بالضرورة، لأنه بالغ في الاهتمام بكل إشارة تصدر مني، حتى انتهى الحال أنه شعر بالغضب والانفعال إزائي وبالغ في تفسير وتأويل ما يسمعه من تصرفاتي وصار يهذي بكل أنواع الاستجابات السلبية.

هو من الأشخاص الذين ينتهجون مبدأ "قواعدي من أجلك ومن أجلي"، ولطالما كرّر عليّ عبارة "أنا عم بعمل هيك كرمالنا" وكان عليّ أن أوافق وإلا يعتبرني "خارجة عن الطاعة". على أن منهجه ذلك أحدث خللاً كبيراً في علاقتنا وجعله يعتقد أن الطريقة التي يؤدي بها الأشياء هي الطريقة التي من المفروض أن أعتقد أن الأشياء ينبغي أن تؤدي بها.

في مقابل ذلك كلّ، كنتُ أعاني -بحكم ظروف الغربة- من مرحلة خطيرة من التحفيز السلبي إلى درجة أنني قبلتُ بالزواج خوفاً من أن أصل إلى مكانة اجتماعية وضيعة، ولم أكن أحلم بالحياة الوردية التي كان يحلم بها هو دائماً. وقد شرحتُ له مراراً أنني بحاجة إلى تغيير بيئة الحرب كي أستعيد

محفظاتي الإيجابية إلا أنه لم يكن يبالي بما أشعر به، وكان يطلب مني أن أتغير في نفس البيئة التي سببت لي المتاعب النفسية ثم بعد ذلك ينقلني إلى البيئة التي يعيش فيها والتي تنعم بالسلام. فأني كان للتغيير أن يتحقق في أرض لا تصلح للحياة كأرض لبنان التي جبرني على انتظاره فيها؟

من وجهة نظر دينية (أذكرها هنا على اعتبار أنه يرى نفسه رجل دين):

باختصار، وبعد ما أثبتت مواقف العجاج بسلوكياته وأقواله يمكنني القول إنه يمثل مع بعض من أهله ما جاء في الحديث الشريف: "أربع من كنّ فيه كان منافقاً، ومن كانت خصلة منهن فيه كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا أوّتمن خان".

كما يمثلون فكراً إسلامياً متطرفاً لا يمكن التعايش معه إلا ضمن عائلتهم المغلقة ومن وافقهم في فكرهم.

نقاط الاختلاف وتحليلها من وجهة نظره:

أكثر خلافاتنا سببتنا ابنة أخته الساذجة "ي. مقصورة" والتي كانت تعشق خالها العجاج عشقاً جعلها تتقمص شخصيته بحسناتها وسيئاتها وتصاب بمرض الغيرة فلا تسمح له أن يحب فتاةً ما أو يخطر في باله أحد. كما أنها كانت تعاني من آفات الثرثرة وكثرة السؤال وقيل وقال والنزق والتدخل فيما لا يعينها، لكن كل أولئك لم يكن ليؤثر على علاقتنا لو أن العجاج وضع حداً لتدخلاتها المزعجة، فهو -على العكس- سمح لها بمعرفة كل أسرارنا متجاهلاً قلّة وعيها بأمر الحياة.

قالت لي تلك الساذجة مراراً أن خالها حنونٌ إلى درجة خيالية، ولم تكن تعي أنه حنون عليها وعلى أخواته البنات لأنه ليس له أن يأمرَ عليهنّ أصلاً وليس هو وليّ أمرهنّ، أما على زوجته والتي هو وليّ أمرها فكان كالسيف، يقطع لسانها إن هي تحدّثت بما لا يريد أو فعلت ما لا يرضيه. إضافةً إلى تلك الظنون، اعتقدت أنّ خالها أخٌ صديق ولم تعلم أنه صديق لإنات عائلته وحاكمٌ منكبّرٌ على أنثاء الزوجة التي اعتقد أنها إحدى ممتلكاته (أي كأن الزوجة بمقام المنزل الذي يملكه أو كقطعة أثاث).

أما في الحديث عن أخواته وبناتهنّ -لا سيّما والدة "ي. مقصورة"- فينطبق عليهنّ ما وصفه "محمود توفيق" في منشور له عبر موقع الفيس بوك:

"هناك نوع من أخوات الأزواج يكون لديهن الكثير من النشاط، والطاقة، وفرط الحركة، والطبيعة الشديدة الغيرة، مما يجعلهن عقبة أساسية في سبيل الاستقرار الأسري... مشكلة الأخ نفسه وبسبب الثقافة السائدة، أحياناً ما يعتبر حنانه مع أخته قوة ورجولة وشهامة، لكنه في ذات الوقت يظن أن الحنان مع الزوجة ضعف وخنوع وهوان وضعف شخصية. وتفهم الأخت ذلك، وتبتز أخاها به، وتوحي إليه بنظراتها بأن مجرد التفكير في أن تساوي بيني وبينها هو يعني أنها ركبتك وسيطرت عليك، وأنستك نفسك وأهلك، فأنا أصيلة، وهذه دخيلة. ويبدل الرجل في هذه الفوضى الاجتماعية جهداً لإثبات أنه ليس ضعيفاً، وأنه ليس متعلقاً بها بالدرجة اللازمة، كل هذا دفاعاً عن نفسه، حتى لا يكون محل تهكم. وكثيراً ما تقوم الأخت بهذه وهي في ذات الوقت ترفع أسوار بيتها وتتأى بزوجها وأبنائها عن أي عين لديها فضول، وأي أنف يريد أن يندس، لدرجة إنها يمكن أن تخفي أشياء هامة إلى آخر وقت، مثل خطوبة بنتها، أو دخول ابنها لكلية ما، ومع ذلك هي مصرة على أن تعرف آخر خاتم اشتراه أخاها لزوجته. وأنا أقول للرجال أنهم يجب أن يتحرروا من أسر هذه المريضة المنهكة، بغير تحطيم العلاقات الإنسانية، ليس لأحد أن يتدخل في كل شؤون بيتك، وهو في ذات الوقت واع تماماً لخصوصية بيته، ولا يخجل من إخفاء أي شيء. مثلما أن حنانك مع أختك وسعة صدرك معها وتلطّفك

بها هو قوة ورجولة وشهامة، كذلك فإن حنانك مع زوجتك وسعة صدرك معها وتلطّفك بها هو قوة ورجولة وشهامة. فاعدل بهدوء وترفق بأختك، وعرفها بثقة بأنك لا تحب هذا"

الحقّ يقال إنني عندما حادثتهنّ عبر تطبيق الواتس اب لقيتُ منهنّ وداً واهتماماً، وكنت متفائلةً بالاندماج معهنّ مستقبلاً، ولا أدري إن كنّ في غيابي يتحدّثن عنيّ بخير أو سوء، فخطبتنا إلكترونية ولقاءاتنا وعزائنا كذلك، لكنّ المشكلة الأكبر كانت معه هو، حيث ظلّ مصرّاً على كسر خاطري ليعرّفني بمكانة أهله، وقلت له مراراً: "ليس من الضروري أن أنكسر كي أعرف مقامهم عندك" لكنّ كلامي لم يلقَ صدى ولم يعترف بأنني أهله كما هم أهله، اكتفى بقول "أنا أعرف ما أنت" ولا أدري ما ضرّه لو قال "أنت أهلي"، فهو لم يرني ولم يضمّني إلى صدره ولم يشعر بعاطفة المودّة تجاه الزوجة بل كان يقابلني بفضاطةٍ دون أية رحمةٍ كلّما جاء ذكرُ أهله. فهو الملامّ الأوّل والأخير على تشويبه صورته في خاطري.

ردّة فعل العجاج أثناء الخلافات كانت كمبيوترية، فقد كان يبدو وكأنه لا يشعر بشيء ولا يستجيب عاطفياً، ويتجاهل المشاعر مع نزوعه نحو الاستخفاف بالأمي عن طريق تقديم أسباب منطقية تفسّر مبالغته في ردة الفعل. لقد كان يتفاعل مع المشاكل بعقلانية مبالغ فيها، وكان يبرّر بوضوح وبهدوء لماذا كانت القسوة خياره الوحيد.

يمكنني إثبات ذلك أيضاً من خلال تجربته مع ابنة خاله التي خطبها قبلي وعقد قرانه عليها لمدة تسعة شهور ثم لسعها بالطلاق لأسباب تافهة رواها لي بلسانه كما روى كيف تجاهل مشاعرها وكسر خاطرها وقطع علاقتهما في فجأةٍ حطمت مشاعرهما دون أن يعطيها فرصةً للتجاوز والتفاهم.

في آخر محادثةٍ بينه وبين زوج أختي، أبدى العجاج تأويلاتٍ لاعتزازه بنفسه وتمسّكه بكبريائه وإصراره على الانفصال فكانت النتائج التالية:

- اعتبر أن من حقّه هجران زوجته عندما يكون منزعاً منها، وأنها يجب أن تعلم بعلم الغيب أنه منزعج، وأن عليها طلب رضاه في جميع الأحوال حتى لو كان هو المخطئ دون أي اعتبار لكرامتها أو حقّها.
- ليس لزوجته الحقّ في التحوار للحصول على ما تريد، فهو الذي يحدّد حاجاتها ورغباتها ويحقّقها لها وفقاً لمزاجه.
- معرفته السابقة لي نكرها وأنها لم تغن من الحقّ شيئاً، وصار يحكم عليّ في الفترة التي سجنني فيها في لبنان فقط.
- حكم عليّ أنني كنتُ مخطئة في الست والعشرين السنة الماضية من عمري وأنه الآن جاء لإصلاحي وتغييرني، وأن انفصالي عني سببه رفضي للتغيير.
- اعتبر حسابي على موقع الفيس بوك أنه مصدر إثم وانزعاج، مع أنه تعرّف عليّ أصلاً عبر ذلك الموقع.

- أصرّ على أنّه برّاً ضميره من هجراني عندما سمح لأخواته بالتدخل والتحدّث نيابةً عنه وأوكل أموره لهنّ، ولم يقتنع أن النساء لا يملكن إلا الثرثرة في المنازعات وأليس لديهنّ القدرة على الفصل.

- اعتبر أن النفقة التي أرسلها لي كانت فائضةً عن حاجتي وأنها كانت تكفي لجميع معاملات زواجنا ومصاريف معيشتي مع أنها كانت دون الحاجة الأساسية. وأنا كنت أستحي من التصريح له بحاجتي (ثم إن حرصه على الريال أعماه عن أن يحسب حساباته جيداً). هنا يكمن سؤال أن ما هو السبب الذي دفعني للاستمرار في علاقتنا رغم كل ما ذكرت من اختلافات وسلبيات؟

الجواب الحقُّ أن سمات شخصيته لم تكن بهذه الحدة في أول الخطبة كأخرها، وكان كلامه المعسول دائماً يشفع له كلما أخطأ أو قصر في شيء، فقد كان حسبي التواصل، سمعيّ التلقّي، وبهمه كثيراً إبراز مشاعره في الكلام والاستماع إلى مشاعر الطرف الآخر. بالإضافة إلى أن مديح أهله له لعب دوراً كبيراً في تزييف شخصيته الحقيقية لجعلها شخصية نادرة الروعة أو ربّما هي فعلاً نادرة الروعة بينهم وضمن عائلتهم وفي بيئتهم فقط. كما أودّ الاعتراف بمدى حبه للسلوكيات الحسنة، ومدى تمسّكه بالذوق واللباقة -علماً أنه يخرقهما عند وقوع المشاكل- وكان يحبّ أن يرسم لي منهجاً أسير عليه برفقته للوصول إلى سلوكيات حسنة نتميز بها عن كلّ من حولنا. لذلك قرّرت متابعة الدرب معه أملهً بتخطّي السلبيات والوصول إلى تربية حسنة لي ولأبنائي مستقبلاً. فضلاً عن أنه كان -تقبّل الله منه- ممّن ضحّى بماله في سبيل بلده الأصلي سورية وساعد كثيراً من أبناء بلده النازحين بعلمه وماله.

أمّا السبب الأهم الذي من أجله صبرت هو أنّه كان زوجي شرعاً وكان من واجبي احترامه رغم أخطائه، وكان من واجبي السعي للإصلاح بيننا امتثالاً لأمر الله "والصّالح خير"⁵³، فضلاً عن الميثاق الغليظ بيننا والذي زينته كلمة القرآن، فقد كانت سعادتني لا توصف بأن القرآن مهري واشترطت ذلك المهر كي يعاملني بأخلاق القرآن لا لأن يظنّ حبراً على ورق. لم يكن في خاطري أنه كان بخيلاً وأنه اعتبر ذلك المهر فرصة للربح وادخار بعض الدولارات في حساباته المصرفية.

كل تلك الاعتبارات والتحليلات كادت لتتغير لو أن الخطبة لم تكن إلكترونية، وكنت أعدّها تجربةً سوداء لأجل اتهامات العجاج وأهله التي انهالت عليّ ومسّت أخلاقي وشرفي دون أي اعتبار لعلمي الشرعي أو الدنيوي، ولأنهم ظلّوا مصرّين حتى آخر لحظةٍ عليّ أنني لا ألتزم حدود ديني في الطاعة الزوجية وهم لا يفقهون تماماً مفهوم الطاعة وأليس لديهم ميزانٌ حكيم في الحكم على اختلاف الثقافات. كنت أتمنى أن يقف آذاهم على حدّ سوء الظنّ، بل تجاوز ذلك ووصل إلى ضررٍ ماديّ كبير لحق في الخطبة الأولى والخطبة الثانية، وحتى عند الطلاق أضروا بي وتركوني كالمعلقة طمعاً بالمال، فقد طمعوا جميعهم بالمال وصاروا يساومون على كل فليس ويساومون على عطاياهم الشحيحة، ربّما ليتقاسموها فيما بينهم ويسدّوا بها جوعهم. لقد أدوني أذى شديداً يشابه ذلك الأذى عندما أخرجت من موطني وحكموا عليّ بسوء ظنّهم وقصور نظرهم ولم أستطع إلى الآن أن أقول في حقّ واحد فيهم: سامحك الله.

⁵³ سورة النساء، الآية رقم 128.

ولم يكن ذلك موقفي مع أحدٍ من الخاطبين الذين تقدّموا لي على مدى السنين الماضية، بل كانت لديّ تجارب فشلت بسبب اختلاف وجهة نظر أو ظروف قاهرة وانتهت بأن دعوتُ للطرف الآخر بالرضا والغفران والنجاح والعوض من الله. ولم يأتني في حياتي خاطبٌ اضطرني لأن أدعوَ عليه كما اضطرني العجاج، ولم يؤذني أحدٌ كما أذاني ولم يصرّ أحدٌ على ما فعل كما أصرّ هو، وأرجو من الله أن ينصرني على من ظلمني وكسرتني ودمّر فترة شبابي وأن يأخذ منه ثأري.



اعلم أيها الثائر أنّ الثائرة التي أحببتّها لقوتها لم يقمعها نظامُ الإجماع لتقمعها ذكورتك.



"أسوأ ما في المحادثات الكتابية أنه لا يوجد فيها نبرة صوت ولا لمعة عين ولا تعابير وجه... تتمدد الكلمات لتسبح في بحر (مكتوب لم يقصد) و (مقصود لم يفهم) فتبدو أقسى بكثير مما هي عليه في الواقع لتتحول تلك الحروف من سوء فهم إلى خصام وأحياناً إلى فراق."

Bayan AlKhatib@



في طباع العرب إبداء آرائهم دون أن يطلب منهم ذلك، وفي آرائهم نظرة إلى كل شيء سلبى لهدف مجهول، ربما يكون تحطيم الطرف الآخر أو إثبات وجود لا أكثر.



ابحث وفتش ونقب عن مكامنٍ داخلك ومهاراتٍ قديمةٍ قد حان الوقت لإطلاقها الآن.



احذر أن تتحامل على نفسك أو أن يتحامل أحدُهم عليك، ففي كليهما ظلمٌ لنفسك.



ها قد تجاوزتُ الخامسة والعشرين من عمري وما زلت في كل لحظة من معاشي أشكر أبي الذي رعاني وأدعو له بالمراتب العالية على كلّ ما زرع فيّ من قيم عالية كفتني وأغنت روحي وفكري.



لا أعلم ما هو الأمان الذي يجعلني أنام لساعاتٍ متواصلةٍ في منزل أبي.



لن يتساوى يوماً حنانُ الأخ مع حنانِ الزوج أو مع حنانِ الأب...
للأخ والأب مكانةٌ ساميةٌ تفوقُ مراتبَ البشرِ قاطبةً.



وَأُمَّهُ

وَأَبْتَاهُ

وَأَخَاهُ

وَأَخْتَاهُ

واحسرتاه على بعدنا... وهل بعدكم من غال أو عزيز!



أحترق يا أبتاه حين أراك منكسراً، ووالله إن انكسارك أشدَّ على قلبي من انكساري.



أستحقّ كل اللوم عندما أخالفك يا أمي وأنت التي احتملتِ مني ما احتملتِ وصرختُ في وجهك مراراً
طوال طفولتي دون أن أدري كم أبكائك الصراخ.



كلُّ دمعَةٍ من عيني أمك ستندرفها أنت يوماً ما.



رضيعٌ وديعٌ أو طفلٌ صغيرٌ... هو حقاً قرّةُ العينِ والسرور الذي يزيّن حياتنا رغم عتمتها وشقوتها.





54



أشكركِ أمي على أفرحنا أيان كنا صغاراً، فقد غلبت التعازي شبابنا وكبرنا.



هو الآن في الثلاثينيات من عمره ولا يملك حرية القرار ولا يعلم إلى أين تسير حياته... ذلك أن أمه الصارمة كانت تسخط عليه كلما أخطأ ولا تلقي لرأيه اهتماماً، وكانت كلما أراد أحد أخذ رأيه أخبرته أنه ولدٌ ولا يدري ما يقول. ثم كبر الشابٌ ولم تنزل الأم تعاقبه عقاباً قاسياً على الخطأ والصواب، حتى صار فاقداً للقرار ويواجه الحياة بكدٍ شديد، فهو لا يملك من الحرية ما يتجاوز به الصعاب على الرغم من ذكائه وثقافته.

والآن تمر في حياته ظروف ضاغطة في العمل تنغص عليه كل ثانية من شبابه، ولا يدري كيف يخرج من حالاته المعقدة. قال لي مراراً: لا أدري ما أفعل وأرى الضباب فقط، وأخشى أن تعلم والدتي بما أريد...

إلى الآن يخشى والدته!! ماذا فعلت أيتها الأم العنيدة!!



عائلة الأرباب*55...

⁵⁴ غنى بريز، فتاة في عمر الزهور من دمشق، وكاتبة مستقبلية إن شاء الله.
⁵⁵ الرب: اسم الله تعالى. ويعني المالك والسيد والمصلح والمدبر. "رب الدار" أي سيد الدار. ورب الأرباب هو رب العالمين. تستخدم هذه الكلمة في دولة الإمارات بين عامة الناس للدلالة على صاحب العمل مديراً كان أو مالكا.

ها قد ناهزتُ السبعين من عمرها وعلى مدى تلك السبعين عاماً ما انفكت تملأ عينها من نعيم الدنيا، وإلى الآن لا تسمع على لسانها إلا ذكريات قصورها وخداماتها... وملاعقها الذهبية وأعطيتها وأدواتها... والفنادق التي زارتها...

والخراف التي ذبحتها على موائدها... والمجالس والضيوف والحفلات التي أقامتها... والأغنياء الذين قابلتهم والهدايا التي نالتها...

والكثير مما ندعه بكلمة واحدة "متاع"، حيث أن ذلك المتاع هو ثقافتها، ومعلوماتها لا تتجاوز وصفات الطعام وأسماء عائلات المترفين. هو ذلك المتاع الذي قد يفنى في طرف عين والذي يزين حياتنا ليلهمنا عن الباقيات الصالحات وعن المكاره التي تحفّ جنان النعيم الخالدة.

تقول تلك الشيخة إنها أضنت عمرها في قتالات مع أبناء زوجها ومع جميع البشر لتحافظ على حقوقها، وتغافلت عن أنها كانت في الحقيقة أنثى وحش تركض في غابة الحياة الدنيا وتبحث بين حناياها على كل قرش أو فلس أو غنيمة.

لا أنكر أنها امرأة عفيفة وتلتزم فروضها وترضي ضميرها ببعض الصدقات لكن حبّ الفسحات والزينات أعماها طوال عمرها عن إكمال تعليمها وعن التقرب إلى رازقها بالأعمال الصالحة حيث أن كل ما أهمها هو أن تدرّ السماء عليها مالا يغنيها ويرفعها ويسعدّها.

أما عن ابنها فإذا نظرنا إلى عين الغلط في حياته لوجدنا أمّه الجاهلة التي تزوجت من جاهل وأنجباه وأرادا له أن يكون طفلاً مدللاً ثم شاباً مترفاً، حتى صار رجلاً غيبياً. والآن نراه في قمّة الطيش والبله حين يدير أعماله ويصرف أمواله، كأن الدنيا أمامه ملهى والناس خدم لحاجاته. وفي كل قرار من قراراته يفيض الجهل الذي ورثه عن أبويه والغفلة التي غرقوا فيها طوال حياتهم.

تلك الطبقة من البشر يعتبرون أن غيرهم وجب عليه أن يخدمهم إذا هم قدّموا له المال، ويحبون أن يأتي غيرهم ويحكّ جلدّهم ثم يشتكون أن جلدّهم لا يُحكّ ولا تسير أمورهم كما يرام. هم لم يقدّروا معنى "ما حكّ جلدك مثل ظفرك، فتولّ أنت جميع أمرك" ولم يقدّروا أن المال ليس مقابلاً لكرامة البشر.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾⁵⁶... ليسوا بفاسقين لكن ترفهم يهددهم بالفسوق، ولا هم بعاصين ولا أصحاب سوء لكن أعمى حبّ المال قلوبهم. كما هم ليسوا ببخلاء ولديهم من الكرم ما يبشّر بحياة طيبة لهم ولذريّتهم شرط أن ينفقوا بنور الله، وأشهد أن ما دخل منزلهم زائرٌ إلا خرج مُكرماً وأنا كنتُ أولَ المُكرمين وأحمل في قلبي امتناناً عظيماً لهم لا أعرف للتعبير عنه سبيلاً. لذلك أظنّ أتمنى لو تنمو فطرة الخير فيهم فتقضي على مرض الترف في عقولهم، وأتمنى أن ينير الله بصيرتهم بما قدّموه من عطاء بنية صالحة أو بغيرها. أتمنى حقاً أن يصدق ظنّ الخير فيهم وأن يعودوا لرشدّهم وأن تطلّ أموالهم باب رزقٍ وخيرٍ لهم ولغيرهم فلهم في ذلك أجرٌ كبيرٌ عند ربّهم وفي إعانتهم لغيرهم عونٌ لهم من الله.

فما أجمل المؤمن القوي الذي يستطيع أن يعين الناس من حوله وأن يبسط يده لرفع الكرب عن حوله... ذلك المقام الذي أرجوه لعائلة الأرباب.

خدامتهم...

كان لدى عائلة الأرباب خادمة، تعمل جاهدة في أعمال التنظيف نهائياً وتعمل جاهدة لتحفظ حروف اللغة العربية وتتعلم الحديث النبوي ليلاً، كل ذلك عبر شاشة الهاتف المتواضع الذي كانت تحمله وتجد فيه باباً لكسب العلم والارتقاء.

⁵⁶ سورة الروم، الآية رقم 7.

وَقَفَّكَ اللهُ يَا عَزِيزَتِي لِمَا يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَرَفَعَ بِالْعِلْمِ مَقَامَكَ إِلَى أَسْمَى الدَّرَجَاتِ.
كِرْمِهِمْ وَأَيْدِيهِمُ الْبَيْضَاءَ...

إِنَّ كِرْمَ عَائِلَةِ الْأَرْبَابِ هُوَ مَا حَفِظَ عَلَيْهَا نِعْمَهَا، لَا سِيَّمَا ذَلِكَ الْإِبْنَ الرَّجُلِ الَّذِي وَرَثَ الْمَالَ وَلَمْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنِ مَسَاعِدَةِ كُلِّ مَنْ عَرَفَهُ، الْأَهْلَ وَالْأَقْرَابَ وَالْأَصْحَابَ وَالْقَرِيبِينَ وَالْبَعِيدِينَ.
لَقَدْ قَدِمْتَ عَائِلَةَ الْأَرْبَابِ الْمَاعُونَ لِمَنْ جَاوَرَهُمْ، وَالْمَنَافِعَ لِمَنْ دَخَلَ دَارَهُمْ، وَأَعَانُوا بِمَالِهِمْ مِنْ أَحْتَاغِ بِالْمَالِ جَلْبِ مَصْلِحَةٍ وَدَفْعِ غَمَةٍ، وَكَأَنَّيْ أَرَى أَرْضَهُمُ الثَّابِتَةَ يَقِفُ عَلَيْهَا عَشْرَاتٌ مِمَّنْ اسْتَفَادُوا مِنْ فَضْلِهِمْ. فَذَلِكَ حَفِظَ اللهُ عَلَيْهِمْ رَغْدَ عَيْشِهِمْ وَأَرْجُو أَنْ يَدِيمَ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ وَالصِّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ، وَأَنْ تَظِلَّ أَيْدِيَهُمُ الْبَيْضَاءَ تَمْتَدُّ لِنَزِيحِ الْهَمِّ عَنْ كُلِّ مَنْ جَاءَهُمْ مَهْمُومًا.



إِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَصْمَمَ أذْنِيكَ عَنِ سَمَاعِ الْحَقِّ فَلَا تَغْلُقْ عَيْنِيكَ كَيْ لَا تَخْرَّ هَاوِيًا.



كَلِمَةُ الْحَقِّ مَرِيحَةٌ لِكُلِّ الْأَطْرَافِ فِي السَّلْمِ وَالنِّزَاعِ، لَيْتِنَا لَا نَتَكَبَّرُ عَنْ قَوْلِهَا دَائِمًا.



لَا تَكُنْ أَحْقَادُكَ الْبَاطِنِيَّةَ قَوَاعِدَ تَبْنِي عَلَيْهَا أَقْوَالُكَ وَتَنْصَحَ بِهَا مِنْ حَوْلِكَ.



لَمْ يَعْدهُ هُنَاكَ مَعْنَى لِأَنَّ أَصْرَفَ الْمَالِ عَلَى سَفَرٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ رِفَاهِيَةِ حَيَاةٍ، فَالْإِحْسَاسَ بِالشَّيْخُوخَةِ بِدَأْ
يَسْرِي مَتَغْلِغَلًا فِي الْأَعْمَاقِ وَلَمْ يَعْدهُ هُنَاكَ إِلَّا هَدْفٌ وَاحِدٌ: الْهَرُوبُ مِنْ تِلْكَ الشَّيْخُوخَةِ!



خَبْرَةُ الْعَامَّةِ مِنْ غَيْرِ الْمُتَعَلِّمِينَ أَقْرَبُ إِلَى الْوَاقِعِ مِنْ خَبْرَةِ الْمُتَعَلِّمِينَ.



حِينَ يَصِلُ الْأَمْرُ إِلَى الْإِسْتِغْنَاءِ عَنْ أَحَدِهِمْ فَإِنَّ الْإِخْتِيَارَ يَقَعُ أَوَّلًا عَلَى الْغَضُوبِ أَوْ النَّزَقِ ذِي الطَّبَعِ
الْحَادِ مَهْمَا كَانَ مُجَدِّدًا وَقَدْ يَبْقَى الْكَسُولُ الْهَادِيَّ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَسَلِهِ وَعَلَلَهُ كُلُّهَا.



مَنْذُ مَتَى كَانَ دَخَانُ السِّجَائِرِ دَلِيلًا عَلَى الْجَاهِ؟



الغبيّ والماكر في مقام واحد، كلاهما يجلب الضرر.



لأنّها عروس... تغدق عليها الهدايا والعطاءات من أوسع الأبواب، ولأنك عانس... لا تستحقين هديةً إلا الشفقة والصدقة.



ولأجل حفلة الزفاف تُقطع المسافات الطويلة لأجل ساعتين من التصفيق والغناء، وترسل الهدايا عبر الحدود لأجل مولودٍ أو عيد ميلاد. أما حفلة النجاح في دراسة أو عمل أو حفلة توقيع كتاب فربما حدثت وانتهت دون حضور أحد، وربما لو علم بها أحد لاكتفى بقول "مبارك" عبر الهاتف. تلك هي حالنا في مجتمع قاحل يعاني شحّ الأخلاق.



لماذا ينتظرون المُتعب حتى يفرح ليجتمعوا على فرحه؟ وفي تعبهِ كانوا عنه في صمم؟ أيطمعون في أكل الحلوى والتصفيق؟ أم أنّ خللاً أصاب أخلاقهم فضاعت في الجهل؟



أنت مجاهدٌ، أخرجت من ديارك وأهلك، وجاهدت في الله وصبرت وصابرت ورابطت، فلماذا الآن تخشى الضياع؟ ولماذا تضيق بك الأرض بما رحبت؟ ألم تتفكر في وعد الله لك؟ "قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ" إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ⁵⁷ "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ"⁵⁸ فانطلق في أرض رحبة واسعة، دُللت للصادقين أمثالك، وشقّ دربك مطمئناً فرحاً بما آتاك الله من سعة الإيمان. وإن أغلق باباً للرزق في وجهك فالأبواب المفتحة كثيرة، وإن أغلق باب العلم فالأبواب المفتحة أيضاً كثيرة، اللهم إلا أن يُغلق باب الرضا والتوفيق.



تالله الذي لا إله إلا هو ولا أوفى بوعده منه...
ستنال ذلك الرزق الذي قسمه لك ولو كان في جزيرة في بحرٍ يجاور الصحراء.



فانتبِ عظيمًا، ولا تتعب من التَّسَبُّثِ في أعلى القمم...

⁵⁷ سورة الزمر: الآية رقم 10.
⁵⁸ سورة العنكبوت: الآية رقم 69.

لا تختار المناصب المتدنية إذا كنت في أعلاها، ولا تتعب من أن تكون في موضع القرار أو أن تكون سيداً في القوم بخدمتهم أو أن تكون إماماً أو قاضياً أو راعياً. فإنك ما صرت في تلك المواضع إلا بفضل من الله منحك إياه على صبرك لتهدى الناس بأمره وتهدبهم إلى كلمة الحق وإفشاء المعروف.



لست كئيبةً، لكنني أشعرُ بالعطش كلما مرَّ يومٌ دون عملٍ صالح.



ما زال يدهشني خوف الرجال من طموح المرأة!



لم أعتد أن يقف أحدٌ في وجهي، فلا تحاول ذلك الآن كالأبله! أو ابتعد!



أي نوع من الحيوانات هذا النوع الذي نحياه أمواتاً، ونعيشه مرهقين ونخرج منه أشلاء؟! اللهم إلا أن يكون بك علينا غضب، بعد ذلك لا نبالي أياً كانت الحياة.



عندما تسلّم عليّ وتسالني عن أخباري، فاكثرث بإيماني إن كان بخير، ولا تكثرث بأمر دنياي إن كانت بخير، فإن أحسن أحوالي عندما أغدو بقلبٍ مطمئنٍ وإيمانٍ في زيادة.



"أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت"

هذا الحديث هو حديث المعية، فيه إثبات صفة المعية لله سبحانه وتعالى وأن العلم باتصاف الله بهذه الصفة أنه أفضل الإيمان فدل على أن العلم بأسماء الله وبصفاته هو أفضل الإيمان ذلك لأن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

والاعتقاد هو الاعتقاد في الله تعالى يعني في أسمائه وصفاته واستحقاقه للربوبية والألوهية وللأسماء الحسنى والصفات العلى. فجعل عليه الصلاة والسلام أفضل الإيمان العلم بمعية الله العامة لخلقه، والمعية الخاصة للمؤمنين لأنه قال هنا (أفضل الإيمان أن تعلم) يعني أفضل الإيمان علمك لأن (أن تعلم) موصول حرفي مع الفعل فيقدر بمصدر فأفضل الإيمان علمك أن الله معك حيثما كنت.

وهذا دليل على أن العلم بصفات الله جل وعلا من أفضل مقامات الإيمان بل هو أفضل مقامات الإيمان لأن الإيمان أركانه ستة وأعلى هذه الأركان الإيمان بالله جلّ جلاله والعلم بالصفات هو العلم بالله فهو راجع إلى أفضلها وهو الإيمان بالله.

والله جعل معيته عامة وخاصة في القرآن، فقال في المعية الخاصة "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ"⁵⁹ وذكر أن معنى المعية في لغة العرب هي الاقتران.

(مع) يعني اقترن هذا الشيء بذاك الشيء، فقولهم (الرجل مع القبيلة) يعني مقترناً بهم، و(الزوجة مع زوجها) يعني لا زالت في عصمته مقترنة به، وقد قال سبحانه وتعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ"⁶⁰ يعني كونوا معهم في الاقتران بإيمانهم وأخلاقهم وكونكم معهم في ما اتصفوا به من الصدق في المعاملة مع ربهم".

أما المعية العامة فهي معيته سبحانه وتعالى للخلق بالعلم والإحاطة فلا تغيب عنه منهم غائبة كما قال تعالى "وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ"⁶¹ وشهود الله لعمل جميع الخلق هذا من معيته العامة لهم فهي معية علم وإحاطة وإطلاع ورؤية سبحانه وتعالى. أما المعية الخاصة فهي معيته لأهل الإيمان بتسديده وتوفيقه وإعانتة ونصره لهم فإنها معية مقتضية لذلك.⁶²



يا رب! رضيت بالجرح مريباً، ورضيت بالمصاعب رافعاً للمقام، ورضيت بالألم معلماً.... وإن كنت قد كتبت علي رفع الدرجات فأهلاً بما يرفع الدرجات ومرحباً.



ربما تأتي مصيبة من جنس سابقتها – وكنا قبلها نظن أنها ستكون الفرج- فنقول: يا رب! لم حدثت؟! ولم ابتلينا؟ أما كان يكفينا المصيبة الأولى؟! حينئذ لنفهم حكمة الله وكم خفف عنا بنسيان مصائب بمصائب أخرى، تأتي فجأةً لتسليتنا وتربينا الحياة على واقعها، وتزرع بدلاً من الأمان وعياً ورضاً ورجاء.



لا تذنب المرأة عندما تذنب وحدها، بل تجر وراءها امرأة أخرى أو رجلاً أو شعباً!



ربما ذنب كذلك يحتاج إلى أيام من الصُداق والبكاء الحادّ وغصة جارحة في الحلق، عسى الألم أن يكون رادعاً.



كذلك تكون عاقبة من عبثت بحيائها وحاولت أن تُعير من أنوثتها للغرباء، كذلك يكون بكاؤها وكذلك تتعسر سعادتها وتُهين كرامتها.



⁵⁹ سورة النحل، الآية رقم 128.

⁶⁰ سورة التوبة، الآية رقم 119.

⁶¹ سورة يونس، الآية رقم 61.

⁶² من كتاب شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس.

ما أقبَحها من متعةٍ عندما تأتِيك من غير الحلال، وما أمرّها من طعمةٍ عندما تذوقُها من حرام. هو نفسه الطَّعمُ وهي نفسها المتعة، لكنّها في الحلالِ أحلى وفي الحرام طامّةٌ كُبرى.



ما ضرَّكَ الجوعُ إن كان يشبه جوعَ أصحابِهِ وتابعِيهِ عليه أفضلُ الصَّلَاةِ والسَّلَامِ.



مناجاة

قال الفضيل بن عياض ليلة: "أجعتني وأجعت عيالي، وأعريتني وأعريت عيالي، ولي ثلاثة أيام ما أكلت ولا أكل عيالي، ولي ثلاث ليال ما استصبحت، فبما بلغت عندك حتى فعلت بي هذا، وإنما تفعل هذا يا رب بأوليائك، أفتراي أنا منهم؟ اللهم إلهي، إن فعلت بي هذا يوماً آخر علمت أني منك على بال. قال: فلما كان يوم الرابع، فإذا داق يدق الباب، فقال: من هذا؟ فقال: أنا رسول ابن المبارك، وإذا معه صرة دنانير، وكتاب يذكر فيه أنه لم يحج في هذه السنة، وقد وجهت بكذا وكذا. قال: فجعل فضيل يبكي، ويقول: قد علمت أني أشقى من ذلك أن أكون عند الله بمنزلة أوليائه".⁶³



لا يخفى علينا أن العظمة مسؤولة، وأثقالها أصعبُ من أن تحمل على أكتافٍ مُنحنية. فمن بلغ العظمة لا شك في أن يكون بلغها بشقِّ النفس وطول الصِّبر ورمى على أطراف السَّبيل أحمالاً وأمتعة. العظمة هي تلك السنين الفاسية، وهي ذلك الحصار الذي تصرخ فيه داعياً بالفتح والفرج القريب، وهي الارتقاء عن كلِّ صغيرةٍ وسافلةٍ، لأنّها بكل بساطة حياةٍ أخرى غير عادية، تجعل من الظلام نوراً وتجعل من الإنسان أمةً.



القرار هو الحرِّيَّة...
والحرِّيَّة هي المسؤولية...

فلا تعجب ممَّن هرب من الحرِّيَّة وتكاسل عن اتخاذ القرار.



بعد أن قابلت الكثير من التائهين في هذه الحياة، أحمدُ الله على نعمة اتخاذ القرار، ومهما ثقل حمل القرار عليّ يبقى أفضل من الضياع. وقد هدانا ربُّنا سنة الاستخارة، لنستخيرَه بعلمه ونستقدرَه بقدرته ونسأله من فضله العظيم أن يرشدنا إلى ما فيه خيرٌ لنا في ديننا ودنيانا وعاقبة أمرنا، ثم أرشدنا إلى قول "حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"⁶⁴. فاعقلوا وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلاً.

⁶³ المجالسة وجواهر العلم للدينوري، رقم الحديث 2386، حديث مقطوع. تم الاطلاع عليه من خلال موقع إسلام ويب

<https://goo.gl/oCTfom>

⁶⁴ سورة التوبة، الآية رقم 129.



لا أحب المفاجأة في الأمور التي يخصني اتخاذ القرار فيها.



شابٌ دون صنعة

كان طالباً متواضعاً يطلب العلوم الشرعية دون طلب علم دنيوي، ثم التحق بجيش الأحرار حين قامت الثورة في بلاده ونام في أحضانهم إلى أن انتهى الزواج وقرّر بناء عائلة تحت الحرب والحصار، وكان يعتمد دخل تلك العائلة على التبرعات وأموال الجيش. فأمضى مع زوجته سنوات على تلك الحال، لا يسعى في طلب رزقه ولا في طلب علاجه لينجب الأولاد، بل في الجهاد وحده والدراسة بلا منهاج، حتى إذا بلغ السادسة والعشرين من عمره هاجت الحرب وحن موعد النّزوح، فحمل عائلته (التي لم تكن إلا زوجته) واضطّر للهجرة إلى بلدٍ أجنبي لا مأوى له فيه ولا عمل ولا صنعة. سألت زوجته: ما صنعة زوجك؟ علنا نجد له عملاً.

فقالت: زوجي مجاهدٌ ولا صنعة له!

تخيّلوا -رعاكم الله ورزقكم الفهم- كم سيعاني وكم ستعاني معه زوجته في غيابات الغربة.



أيقنتُ عينَ اليقين ألا رجل يملأ الخاطرَ جبراً ويملأ القلبَ مواساةً ويملأ النفسَ تسليّةً، بل ربُّ رحيمٌ ودودٌ جبارٌ.



شرطي الوحيد لقبول فارس الأحلام هو أن يكون فارساً رجلاً.



إن أعجب ما قد تظنّينه أن فارس الأحلام هو من سيحقق أحلامك... فتعلمي أن فارس الأحلام هو -واقعيّاً- صديقٌ أو شريكٌ، لا مُنقذٌ ولا مُسعفٌ ولا وكيل.



أفضّل شاباً "مقطوعاً من شجرة" على ابن العائلة العريقة....

لماذا تفضّل فتياتنا هذا النوع من الشبان للارتباط؟ أي معقّدة؟ أم بلهاء؟ أم أن ثقافتنا ربّتها على أن تكون معقّدة؟

لقد صارت فكرة الارتباط لدينا هي بدايةً لمراسيم معقّدة تكاد تكون غير متاحة إلا للمترفين الذين يملكون من الأموال ما يستطيعون به جعل عروستهم مزهريّة تصمد على الطاولات أينما ذهبت.

وتبدأ الحكاية من الزيارة الأولى التي تتطلب من الفتاة أن تكون في قمة الهدوء والأناقة وراحة البال، دون النظر إلى أحوالها وظروفها التي تجعلها أحياناً تفتقد راحة البال وشفاء الوجه من كثرة الهموم.

ثم إن تم القبول فهذا إعلان ببده المصاريف وبدء العزائم وذبح الخراف ولبس الجديد، كما على العروس كتمان أي فكرة قد توحى لأم العريس بأن لها شخصية قوية أو أنها فقط تستطيع الكلام. وأكثر ما على الفتاة كتمانها هو الإيحاء بالطموح أو التفكير بالمستقبل لأن ذلك سيجعلها في عينيهم طامعة طامحة غير قابلة للعناية بنظافة بيتها وترفيه زوجها، مع أن الفتاة قد يكون هدفها الأول إرضاء زوجها العزيز، لكن مجرد كلامها عن مستقبل وطموح سيفهم منه أنها لا تعرف حق زوجها. تلك فقط فكرة موروثة عمياء، تتوارثها أمهاتنا وتورثها لأبنائها الصبيان، فيكبرون ويتعلمون أن على الفتاة أولاً أن تحافظ على العادات بما في ذلك طريقة العزيمة وطريقة السلام وكيفية ارتداء الحذاء ثم بعد ذلك ينظر إلى أفكارها، فإن هي كانت ذات ثقافة فإذاً هي عاقلة لزوجها، وإن كانت غافلة فهي الخيار الأنسب.

تلك هي الحقيقة المؤسفة، أننا أصبحنا نخاف من الارتباط كي لا نكون مقصرين في إتمام العادات البالية. والحقيقة أن من يظلم في ذلك الفتيات اللواتي يطمحن لمستقبل أفضل أو الفتيات اللواتي لم يقدر لهن في هذه الحرب أن يتقدم إليهن الشبان في بيوت أهاليهن، بل هن وحيدات أو في بيوت غريبة أو بيوت الأقارب، ففي تلك الأحوال عليهن أن يواجهن العادات البالية وحيدات يتصرفن كما علمتهن أمهاتهن صغاراً، وربما نجن وربما فشلن في إقناع أم العريس العنيدة أنهن مهذبات. أما الأسوأ من ذلك أن تبدأ المراسيم ثم تفشلها أم العريس لأنها لم تجد في الفتاة الطموح الذي توقعته منها، طموح التزين والترفيه والتمتع، بل وجدت طموح العلم والنجاح، فتحرق قلب الفتاة مرتين ثقيلتين؛ مرة لأنها رفضتها كعاقلة واعتبرتها فاشلة في تطبيق العادات والأصول، ومرة لأنها فسخت عقد خطبتها.

لا تتهموني بالمبالغة، فقد رأيت ذلك من أقرب أقاربي وغيرهم في بلدي وفي البلاد التي تعربت إليها، يقولون قبل الخطبة نريدها متعلمة مثقفة متفهمة، ثم حين يذهبون لرؤيتها لا يصفون إلا جمالها وعادات أهلها والضيافة التي قدمونها.

قال لي أحد المتقدمين الأغبياء:

- سأجعل منك سندريلا وسأكسيك ك "باربي" ...

- شكراً لك أنت رائع...

- وهل لي أن أكمل دراستي فقط؟

- هذا طموح صعب.

عندما يتقدم الشاب لخطبة الفتاة يدفع لها كل ما رزقه الله من أموال وذهب وهدايا ونزهات وحرير ونعيم، ثم يفرش لها ما تطلب من أثاث وزينة، ومهما طلب أهلها يظل صابراً متعباً نفسه كي يرضيها ولا "يقصر عليها". وهي إن طمحت لقصور ومزيد من المتع فيعتبر هذا الطموح إشراقاً في نفسها ومرحاً في ذاتها ويجب أن تلبى طلباتها بكل رضى. أما إن هي طلبت من الشاب فقط أن يسمح لها بطلب علمها ويساعدها على تحقيق طموحاتها في علمها وعملها فستكون مرفوضة حتماً من الشاب وأهله وستنهال عليها الاتهامات بالتخلف والانطوائية، وأول جواب ستلقاه من الشاب أن الدراسة مكلفة!

كأنها مكلفة أكثر من قطع الذهب والحرير والمفارش.

لا أقوى على شرح العادات البالية في هذا المجال أكثر، فالحديث مثير للانفصام أكثر من الحديث عن الانفصام في حد ذاته.

واختصاراً، أفضل شاباً مقطوعاً من شجرة لا أرى أهله ولا أعاني لأنال إعجابهم بالعادات البالية أو لأغرق معهم بأصول سميت أصولاً وهي ليست إلا ممارسات ابتكروها لملء فراغ عقولهم.



عادتنا البالية...

ومن عادتنا أن نطلق لقب "مسكين" و "مسكينة" على من لم ينل من نصيب الدنيا الحظّ الوفير...
سامحك الله يا من كرّرت هذه الكلمة على مسامعنا حتى سكنت بواطننا وجرّت علينا عقداً نفسية لا
تترك لراحة البال مكاناً...



تركتكم وجمالكم...

الحمد لله أنني أبعدت عن مجتمع يعلو فيه مقام الجميلات بين النساء وتُذكر فيه الأنثى بجمالها فقط.



MAK U3:U7



تزوجت في الأربعين، وأنجبت القاسم، وعبد الله، وزينب، ورقية، وأم
كلثوم، وفاطمة،
وكان زوجها سيد الخلق صلى الله عليه وسلم 😊
خديجة بنت خويلد رضوان الله عليها ❤️
(عن أي تأخر تتكلمون ؟)
واحنا مجتمعاتنا تصل الفتاة 25 تنعت بلقب عازبة والفاط أخرى

MAR 06:41



Ahmad Kharouf



كلّما مللتُ من تعب الحياة تذكرتُ أن "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا"⁶⁵ وأنه عاش التعبَ رضيعاً وطفلاً وفتى وشاباً ورجلاً، وبدأ بعد الأربعين حياة
جديدة بعقيدته وعمله وإقامته وزواجه، ثم كان الصحابةُ على خطاه حيث عاشوا من التعب دهرًا طويلاً
وبدؤوا بعده جهاداً عظيماً وبناءً في دولةٍ عظيمةٍ امتدت بفضل الصبر والرباط والتوكل على الله.
ألا أشعرُ بالخلج من يأسِي؟! وأنا التي لم تصل بعد إلى الثلاثينيات من عمري وأراني أبكي شوقاً
لقبري.... من قلة حيلتي وضيق حالي.
لكن الآن سأبدأ بروحٍ جديدةٍ معلقةٍ بالله، لأنّه لو لم يكن لنا في رسولِ الله أُسوةٌ حسنةٌ لما كانت نزلت
علينا الآية ولا كنا دعونا أن نسير على خطاه.



أصبحت الحالات الشخصية على وسائل التواصل الاجتماعيّة تشكّل أزماتٍ اجتماعيةً...

⁶⁵ سورة الأحزاب، الآية رقم 21.

لا أدري كيف بدأ هذا السُخفُ ومتى سينتهي.



ما التضادّ بين أن تكون المرأةُ أمّاً تُنشئُ الأجيالَ وأن تكون عاملةً أو معلّمةً تنشرُ علماً وتآزرُ شعباً؟ ما التضادّ بين أن تكون طامحةً وأن تكون صالحةً مطيعةً؟



من أعظم الابتلاءات زوجٌ خائنٌ يدمرُ أسرته بخيانتته، ويقف في وجه سعادةِ بناتِهِ ومستقبلِ أولاده، لا يقدرّون على إقصائه أو الشعور بالأمان معه، وزوجته صابرة ترفع الشكوى كلّ يومٍ وترجو رحمتِ ربّها ليسترّهم من أن يكونوا لقمةً في أفواه النَّاسِ.



((فما أوتي العبدُ بعد يقينٍ بالله خيرٍ من العافية!))
ميسون قصّاص⁶⁶



الحمدُ لله على كلّ قدرٍ يُبعدني عن الدنيا.



الحمدُ لله على نعمةِ النَّومِ والنسيانِ، الحمدُ لله على أوقاتٍ نغيبُ فيها عن وعينا ونخرجُ من واقعِ أليم.



الحمدُ لله على نعمةِ زالت، لو أنّها بقيتْ لكان السؤال عنها أثقلَ من العيشِ فيها.



الحمدُ لله على كلّ عملٍ صالحٍ أبدلنيهِ اللهُ بزينةِ الحياةِ الدُّنيا.



⁶⁶ كاتبة وقاصة وشاعرة سورية، مجازة بالقراءات العشر عام 1996 م وعلوم مصطلح الحديث الشريف عام 2006، ورياض الصالحين وصحيح البخاري بين عامي 2004 و2005، حاصلة على إجازة في اللغة الإنجليزية عام 1990، نجحت وتألقت وتخطت الكثير من العقبات أبرزها تغلبها على متلازمة اضطراب حركي أعدهتها لمدة عامين في طفولتها وبقيت مستمرة إلى يومنا هذا.. قدمت محاولاتها الشعرية الأولى لكبار الكتاب المتخصصين فأجابوها بـ" اكتبني أي شيء ما عدا الشعر"، فلم تستسلم لتلك الرسالة السلبية، واجتهدت في هذا الميدان فأنجبت حوالي 300 قصيدة للطفولة. تعمل في المجال التطوعي، وهي عضوة ناشطة في أكثر من منتدى إسلامي. نقلت عن منصة استكتب ضمن سلسلة لقاءات مع أبرز المهتمين بصناعة المحتوى في العالم العربي، "لقاء مع الكاتبة والشاعرة ميسون قصاص"، آخر تحديث 28 نيسان 2018. يمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط: <https://goo.gl/MPDC82>.

الحمدُ لله على شبابٍ أبلاه كدُّ العمل.



الحمد لله على ساعةٍ في جوف الليل أعلل فيها النفسَ، وبالذعاء أسلّيها، فلا يغسل أحزاني كدموع تلك الساعة ولا يروّح قلبي كالرجاء فيها.



الحمد لله على مجلسٍ علمٍ أبدلته بمجلس تصفيقٍ، والحمد لله على دعوةٍ للعلم أبدلتها بشريطٍ أغنية.



أستغفرك ربّي وأتوبُ إليك على لحظاتٍ قنوطٍ انهمر فيها دمعي، وجزع فيها فؤادي أسأ على طول انتظارٍ وبلاء. وأقولُ رحماك ربّي بفراغ فؤادي وإليك أرفع رغبتي، فاربط على قلبي واهدني سبيلَ الرّشاد.



أحمدك ربّي على حظّ من الدنيا قليلٍ، قد فهمتُ سنةً حياتي، ولا أرجو المزيد من عيش رغيد، بل نعيماً في الجنة مقيم.



لا عجب من قدرٍ غيرٍ عاديٍّ تمنّيته في طفولتي وأراه الآن يتحقق، فإله بما تمنّيته درى من قبل أن أتمناه وكان القديرُ على تحقيقه.



بفضل الله ومنةٍ منه ألهمني أن أبيعَ ما أملكُ من ذهبٍ لطلبِ علمي في زمن اعتاد فيه مجتمعي على كنز الذهب والفضة.



أشكرها على أخلاقها...



فيما يتعلق بعمل المجموعة:

أنشأتنا المجموعة كمحاولة لتغطية طلبات تعليمية واستشارات حول الدراسة للسوريين والعرب بشكل عام منذ عدة سنوات وبشكل مجاني، وخاصة بالنسبة للتواجد السوري بمصر عملنا في وقت كحلقه وصل بين الدارسين قبل مجيئهم والجامعات وتم التقديم لأكثر من شخص وامداده بالمعلومات الدراسية اللازمة. بعد استقرار أغلبية الدارسين في دول وانتظام الدراسة بها أصبح هناك سهولة كبيرة في الحصول على المعلومات من الأماكن الدراسية مباشرة.

بخصوص أخبار الدراسة بالغرب يوجد في الأرشيف معلومات كثيرة مجمعة عند بداية هذا الاتجاه بدأنا منذ سنوات، وتم استخدامها من العديد من الناويين للسفر، حتى استقر أغلبية الناس بدول والتحقوا بالدراسة وأيضاً انتقل الكثيرين من مصر لدول مختلفة وتعددت المصادر حول المنح الدراسية ومتابعتها بشكل أكثر اتساعاً. لهذا لا يوجد تفاعل بالشكل السابق على المجموعة لعدم وجود سبب له، وتم قصر التفاعل على الأدوات الميينة الجديدة والتي من أهم الانتقال لها عدة أمور أخرى تتعلق بطرق التواصل ومنها:

ضمان جدية المراسلات وتحقيقه استخدام البريد الإلكتروني لوجود العديد من- المراسلات عبر الفيسبوك بعد استيفاء المطلوب منها يتم تجاهلها تماماً بعد بذل الأدمنز المجهود في الرد واعطاء الدعم الدراسي المطلوب وتجميع ما يخصه، هناك أدبيات للمراسلة والاستقبال لا يتم استخدامها وما يحدث من اختفاء التام لصاحب الطلب بعد توفير له إجابات وافية شيء سيء جداً ويدل على عدم الجدية.

وصول مراسلات تتعلق بالبحث عن عروس مرة سورية ومرة مصرية من خلال مراسلات وأكوتنات وهو شيء غير لائق بالمره وليس هذا مكانه ولم ندعو أحد للتواصل الدراسي لهذه الأسباب وحتى ما تم الرد عليه بجدية ثبت عدم جديته في هذه الأقوال.

وصول رسائل متقطعة معظمها خارج سياق الموضوع مما يهدر أوقات وطاقات المتلقين.

لذا فأدوات الإفاده ميينة بوضوح لمن يرغب في استخدامها وغيرها يوجد الكثير من التطور في مجال الدعم الدراسي في مختلف الدول الذي بوجوده تمت تغطية هذا المجال.

وفي جميع الأحوال نحن قدمنا ما تمليه علينا ضمائرنا في فترة كانت تحتاج لما قدمناه ولا نعتقد أنها مستمرة بنفس الصورة كديانتها،

وأشكر صاحبة الفضل الأول في هذا الأمر الأستاذة أسماء غير كل ما قدمته من جهود أشكرها على أخلاقها قبل أي شيء، لأن قد تكثر أعمال الناس ولكن أن نجد فيهم الخلق قليل أن نجده،

ونسأل الله التوفيق والقبول لجميع الجادين الحريصين على دراستهم ومستقبلهم المهني.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

67

وأشرك يا غاليتي نورا نجم على أخلاقك...

علمتني صدق النية وصدق الوعد، وأن خير الكلام ما قل ودل. ولقد كنت دالّة لي على الخير دائماً ومعينة لإخوانك المسلمين وقائلة الحق أبداً. لن أنسى وقوفك إلى جانب سورية، ولن أنسى وقوفك إلى جانبي حين كنت أول المتصلين بي يوم إبعادي وأبديت حينها مساندة بكل ما تستطيعين. كل ذلك ولم تريني ولم أعرفك إلا من خلال حسن معاملتك وحسن تنظيمك الذي جعلني أتبع اسمك أينما وجدته.

أتمنى أن يجمعني الله وإياك على البرّ والطاعة والمبادرات الحسنة... وهنيئاً لمصر بأمثالك.



لَمْ الصيَّامُ دُونَ السُّحُورِ وَكِلَاهُمَا سُنَّةٌ؟*68

67 من مجموعة تدريب الشباب العربي للاستشارات التعليمية والمهنية.

نورا نجم: مهندسة مصرية وصاحبة مبادرات إيجابية في العالم العربي والعالم.

*68 المقصود هنا هو صيام الناقلّة.



كثيراً ما سُئِلْتُ: لماذا تنامين مبكراً؟؟ ألا تحبّين جلسات السّمَر والسّهْر؟؟ وما كان جوابي في نفسي إلا أنني مشتاقّة! مشتاقّة إلى تلك الساعة! إلى عبادة التّفكّر وإلى لذّة الليل.

← ((لذّة الليل

♥ كان الإمام أحمد بن حنبل إذا رأى طالب العلم لا يقوم من الليل؛ يكفُّ عن تعليمه وقد بات عنده أبو عصمة ليلة من الليالي، فوضع له الإمام ماءً للوضوء، ثمّ جاءه قبل أن يؤدّن للصّبح فوجده نائماً، والماء بحاله، فأيقظه؛ وقال: "لم جنّت يا أبا عصمة؟ فقال: جنّت أطلب الحديث. قال: كيف تطلب الحديث وليس لك تهجّد في الليل؟! اذهب من حيث جنّت" ⁶⁹.

♥ وكان الإمام الشافعي يقول: "ينبغي للعالم أن يكون له خبيئة من عمل صالح فيما بينه وبين الله تعالى" ⁷⁰.

♥ ويقول علي بن بكار: "منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا طلوع الفجر!" ⁷¹

♥ وقال الفضيل بن عياض: "إذا غربت الشمس؛ فرحت بالظلام لخلوتي بربي، وإذا طلعت حزنت لدخول الناس علي!" ⁷²

♥ وقال أبو سليمان الداراني: "أهلّ الليل في ليهم ألدّ من أهلّ اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا!" ⁷³

♥ وقال ابن المنكدر: "ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الأحباب، والصلاة في الجماعة." ⁷⁴

♥ قال ابن القيم: "إقبال الليل عند المحبين؛ كقميص يوسف في أجفان يعقوب!" ⁷⁵

صلاة الليل أنسّ ونعيمٌ لا يعرفه إلا المقرّبون
اللهم اجعلنا منهم))

وأنا أقول —ويا ليتني أسكن على أعتاب من سبق قولهم—: تلك الساعة أو الساعات الصافية المظلمة التي تجالس فيها نفسك؛ تحادثها وتسليها وتعاتبها، هي أكثر ما يملك على الصّبر في حياتك. فتلك هي ساعة التّفكّر، وبها عرف الأنبياء ربّهم وبها استدلّ المهتدون على أسرار الحياة. إنها ليست ساعة السّهْر!! فالسّهْر متلفّة للأبدان والعُقُول، تجاهدُ فيها فكرك وتقرّب أعصابك من الانهيار. بل ساعة الليل تبدأ حين تتبعد عن فراشك مشتاقاً للوقوف بين يدي الله راجياً وداعياً خوفاً

⁶⁹ العهود المحمدية للشعراني، ص 642.

⁷⁰ العهود المحمدية للشعراني، ص 643.

⁷¹ موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين لمحمد جمال الدين القاسمي، ص 89.

⁷² نفسه.

⁷³ نفسه.

⁷⁴ نفسه.

⁷⁵ بدائع الفوائد لابن القيم، (3/219).

وطمعاً وحباً وحياءً. حينها يعمل التفكير وتمرّ أمانك أحداث النَّهارِ على حقيقتها، فتفرحُ لما كان إحساناً وتندم على ما رايك وظننتَ أنَّه إساءة، وتراك تتذكّر ما قالوا وما قلتَ وما كان واجباً أن يقال، دون أن تزعج نفسك أو تحزن، فأنتَ فقط تتفكّر وتبتسم وتحرزُ لوحك، مع خالقك الذي يسمعك وتستهديه. نصيحة! عندما تطلب المشورة من أحدهم، فانظر في قيامه بالليل وانظر إلى مدى تفكّره في حياته. فإن كان له خلوة مظلمة مع نفسه فهو قادرٌ على نصحك، وأما إن كان غارقاً في ضجة النَّهار ولا يعلم من الليل إلا النَّوم فأغلب الظنُّ أن سيأخذك إلى الصّياح.



سُنَّة مَنْ يَتَّبِع مَنْ أَلغى النَّوم ليلاً؟
أهي سُنَّة حياة أم حيوانات أم سُنَّة مجتمع متقدم؟



ما شعورُ السّامرين حين يأخذهم السّهرُ بعد العشاءِ إلى ضياح الفجر؟

قال صلى الله عليه وسلم: (لَا سَمَرَ إِلَّا لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ: لِمُصَلٍّ، أَوْ مُسَافِرٍ) رواه أحمد (3907) وصححه الألباني بمجموع طرقه.⁷⁶

⁷⁶ يكره السهر والسمر بعد صلاة العشاء - وإن كان في الأمور المباحة - ويدل على ذلك ما رواه البخاري (568) ومسلم (647) عَنْ أَبِي بَرْزَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَالْحَدِيثُ بَعْدَهَا. قال النووي: "وَأَتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى كَرَاهَةِ الْحَدِيثِ بَعْدَهَا إِلَّا مَا كَانَ فِي خَيْرٍ". انتهى "شرح صحيح مسلم" (5/146). وقال الحافظ ابن رجب: "ومتي كان السمر بلغو، ورفث، وهجاء، فإنه مكروه بغير شك". انتهى "فتح الباري" (3/377). قال النووي: "وسبب كراهة الحديث بعدها أنه يؤدي إلى السهر، ويخاف منه غلبة النوم عن قيام الليل، أو الذكر فيه، أو عن صلاة الصبح في وقتها الجائز، أو في وقتها المختار أو الأفضل. ولأن السهر في الليل سبب للكسل في النهار عما يتوجبه من حقوق الدين، والطاعات، ومصالح الدنيا". انتهى "شرح صحيح مسلم" (5/146). وقال الحافظ ابن حجر: "والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن الصبح، أو عن وقتها المختار، أو عن قيام الليل. وكان عمر بن الخطاب يضرب الناس على ذلك ويقول: أسمرًا أول الليل ونومًا آخره؟". انتهى من "فتح الباري" (2 / 73). وهذا هو الموافق لسنة الله في جعل الليل محلًا للنوم والراحة، والنهار للعمل والكسب، كما قال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ، وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ). وقال: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) ففي الليل سكونة وقرار ونوم وراحة، وفي النهار نشاط وعمل. قال القرطبي: "وقد قيل: إن الحكمة في كراهية الحديث بعدها أن الله تعالى جعل الليل سكوناً، أي يسكن فيه، فإذا تحدث الإنسان فيه فقد جعله كالنهار الذي هو متصرف المعاش، فكأنه قصد إلى مخالفة حكمة الله تعالى التي أجرى عليها وجوده". انتهى من "تفسير القرطبي" (12 / 138) بتصريف. وهذا هو الهدي النبوي، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (مَا نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَلَا سَمَرَ بَعْدَهَا)، رواه ابن ماجه (702) وصححه الألباني. وقال الشيخ ابن عثيمين: "وإذا أطال الإنسان السهر، فإنه لا يعطي بدنه حظه من النوم، ولا يقوم لصلاة الصبح، إلا وهو كسلان تعبان، ثم ينام في أول نهاره عن مصالحة الدينية والدينية. والنوم الطويل في أول النهار يؤدي إلى فوات مصالح كثيرة، وقد جرب الناس أن العمل في أول النهار أبرك من العمل في آخر النهار، وأنه أسد وأصلح وأنجح، فإن البكور مبارك فيه، وهؤلاء الذين يسهرون الليالي، لا شك أنهم لا يستطيعون البقاء بدون نوم، فلا بد للجسم من النوم، وطول السهر يحول دون ذلك". انتهى "اللقاء الشهري" (1 / 333) ثانياً: يستثنى من الكراهة ما إذا وجدت الحاجة للسهر أو كانت فيه مصلحة راجحة. لقوله صلى الله عليه وسلم: (لَا سَمَرَ إِلَّا لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ: لِمُصَلٍّ، أَوْ مُسَافِرٍ) رواه أحمد (3907) وصححه الألباني بمجموع طرقه. وذلك لأن المسافر قد يحتاج إلى مواصلة السفر ليلاً، فأببح له ذلك، والمصلي يسمر في طاعة الله. ويقاس على هذا: كل ما كان فيه مصلحة أو هناك حاجة داعية إليه. قال النووي: "قال العلماء: والمكروه من الحديث بعد العشاء هو ما كان في الأمور التي لا مصلحة فيها.

--> أمّا ما فيه مصلحة وخير فلا كراهة فيه، وذلك كمدارسة العلم، وحكايات الصالحين، ومخادنة الضيف، والعروس للتأنيس، ومخادنة الرجل أهله وأولاده للملاطفة والحاجة، ومخادنة المسافرين بحفظ متاعهم أو أنفسهم، والحديث في الإصلاح بين الناس، والشفاة إليهم في خير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإرشاد إلى مصلحة ونحو ذلك، فكل هذا لا كراهة فيه، وقد جاءت أحاديث صحيحة ببغضه، والباقي في معناه". انتهى "شرح صحيح مسلم" (5/146).

والحاصل: أن السهر بعد صلاة العشاء مكروه، إلا لمصلحة، أو حاجة تدعو إليه. والله أعلم. فتوى من موقع الإسلام سؤال وجواب، 150519، آخر تحديث 18/8/2010، تمت مشاهدتها عبر الرابط: <https://goo.gl/KX751w>



"أتدري من يجيبُ العبدَ أبدى السوءِ أو وارى؟ ومن يجزي على المعروفِ جناتٍ وأنهاراً؟
أتدري من هدى الإنسان، بالإحسان يوصيه؟ ولا يرضى له العصيان، فانظر كيف تعصيه...." 77



أنتِ متميزٌ في شيءٍ ما... ولديكِ رسالةٌ تبتئها للناس... وإبداعٌ في خاطركِ أن تنهضَ به في مكان
ما...
لا شكَّ في أنكِ أعددتِ نفسكِ إعداداً جيداً يليقُ بتميزكِ، ولا شكَّ أنكِ وصلتِ إلى رسوخٍ في معلوماتك
ما جعلك مطمئناً إلى فهمها وإفهامها، فماذا تنتظر؟ ولم تسألِ نفسكِ كيف السبيل؟
الخطوة الأولى هي أن تخلقِ لنفسكِ منصةً تنطلقُ منها، تنطلقُ منها إلى مجتمع تختاره، تختبرُ فيه
انطلاقك لتنتقلَ إلى مجتمعات أكبر. فالمنصات كثيرة، وأمثلتها غير معدودة، أذكرُ بعضها في تعداد
كما يلي:

□ مسجدٌ قريبٌ من منزلك تجتمع فيه مع أصحابك للمدارسة

□ صالة منزلك

□ مسرحٌ، كبير أو صغير

□ قناة بثّ إذاعي عبر الراديو أو التلفاز ترسل عبرها صوتك

□ نادٍ تلتقي فيه الأصحاب والزملاء

□ صف ينتظرك فيه تلاميذك

□ كتاب تخطه وتنشره

□ موقع إلكتروني تنشر عبره ما تريد

□ قناة إلكترونية للتواصل الاجتماعي

□ إعلانات رقمية

77 كلمات مقتبسة من أنشودة "أتدري من يزيل الهمم" للمنشد مشاري العرادة رحمه الله. <https://goo.gl/8iFpok>

□ منشورات دورية

□ نوادٍ ثقافية

□ منتديات ميدانية

□ لقاءات

□ دورات تدريبية عبر مراكز التدريب

□ دورات تدريبية رقمية

□ تسجيلات صوتية على أقراص وأشرطة

لكل منا عموماً رسائل يودّ أن تصل للناس ولو حقق ذلك من مكانه في المنزل أو العمل، ولو لقي إخوانه بوجه مبتسم، فتلك رسالة عظيمة أيضاً. لكن ما نسلط الضوء عليه الآن هو رسالتك للناس عندما تكون متسلسلة وتحتوي على معلومات أو أخباراً أو نماذج تعليمية، فهنا ينبغي أن نفكر تفكيراً منطقيّاً منتظماً في كيفية إظهار ذلك كله بأسلوب حكيم لا تضيع معه الأفكار ولا تشتت الأذهان.

الخطوة الثانية هي التوسع إلى شريحة أكبر من الأولى، بعد أن اختبرت في الأولى نفسك وبنيت قواعدها، فالتوسع مهم لتحقيق فائدة أكبر، وهو نتيجة تلقائية لأي عمل ناجح مثمر.

مجتمعك هو الشريحة التي هي في أشد الحاجة لمعلوماتك، وهي هدفك الأول، ثم الشريحة الأكبر منها هي التي لديها استعداد لأن تهتم بمعلوماتك، والتي لو استهدفتها لربما حصدت عدداً أكبر من المهتمين والمستفيدين، وعلى هذا المنوال تكبر الشرائح إلى أن تصل إلى الحد الذي تحقق لشرائحك الاكتفاء قد المستطاع.

أما الخطوة الثالثة هي التطوير من نفسك واكتساب المزيد من المهارات والمزيد من المعلومات في مجالك، ومن المعلوم أن العلم بحرٌّ لا ينتهي ومهما استزدت واكتسبت ستبقى في حاجة للمزيد، ودماعك إنما هو حافظة لمعلوماتك ربّما تضعف أو تشتت، فلا بدّ من تغذيتها باستمرار لتبقى غزيراً بالعلم وبالتالي معطاءً أكثر.

ولا تنسى أن من طبيعتك النسيان، وأن الذكرى تنفك، فلا تركز إلى رصيدك القديم من المعلومات أو تحسبه نبعاً، لأن النبع يجف ما لم تغذيه والرصيد ينضب، وربما أصابك الوهن. فلتكن دائماً في استزاد وانهل من بحور العلوم ما يجعلك بحراً.

بعد تلك الخطوات، وبعد أن تكون قد زرعت البذور في أرض ثابتة، فلتبدأ الحراثة حتى يحين موعد الحصاد، أي اعمل مع من اكتسب منك على خلق منصات جديدة وعلى نقل الكلام من الواقع الافتراضي إلى الواقع الحقيقي حيث يصبح مبادرات وخطوات، ولا شك في أن فرحة العمل أعظم من فرحة الكلام، وفرحتك حين ترى أعمالك لا حين تتكلم عنها.

أما مستقبلك ... سيكون ساحةً لإبداعك، ولا أحد سيحدّد خطواتك... بل إنجازاتك التي ستكبر وتكبر معها أنت ومجتمعك ومنصّاتك.

إذا كنتَ تنتظر أن تصل إلى الكمال في مجال تميّزك ومعلوماتك، فأنت تنتظر المستحيل، لأن الكمال مستحيلٌ والعلمُ بحورٌ لا تنفذ، وما أنت في علمك إلا حلقةٌ متصلةٌ مع من جاؤوا قبلك بذات العلم ومن سيأتون بعدك.

قد تبدو تلك الخطوات صعبة المنال إلا في المدينة الفاضلة حيث لا عقبات، ولا حاسدون ولا عراقيل، لكن المدينة الفاضلة غير موجودة، وفي زمن الحروب هذا تتزاحم نواحي الحياة وتتسارع كلّها ويصبح تميّزك أحياناً عبئاً على التزاماتك، لكن الإيمان هو السبيل الأنفع ولا مجال للانتظار رعد العيش كي نحقق ذواتنا.

إن كنت تؤمن بذاتك، وإن كنت تؤمن برسالتك، وإن كنت تؤمن بإبداعك فاعلم بأنك ستصل إلى القمة التي تختارها.



أرى في صورة الخطيب في الإسلام وفي مفهوم الخطابة حثاً عظيماً على إعلان رسالتنا بين الناس، وعلى أن نخلق لأنفسنا منبراً كما المنبر الذي يعتليه الخطيب ليُسمع السامعين. هي مرة في الأسبوع يجهز فيها عرضاً تقديمياً مدعماً بشواهد ومستنداً على أحكام وثوابت، ويزيدها من خبرته، فيتمرس فيه ويهدي للناس علماً، وهكذا يدرّب غيره وتزداد المنابر.



في خاطري أن أسأل وأستشير عن وجهتي وعن مشوار حياتي.... مشواري الطويل حيث مشيت فيه مستقلةً بفكري ومالي، والذي رسمته طموحاتي، تلك الطموحات التي تجاوزت في حجمها حجمي وكبرت عقلي الفتيّ بسنوات وتجاوزت حدود خيالي.. أرى في الوقت ذاته الذي أسير فيه سيرة حياتي وما بنيت فيها وإلى أي القمم نويت الوصول... وتجول ذاكرتي بين تجارب سارة ومريرة وجليلة أخضعتني لواقع الحياة وأراحتني من كبرياء عظيم. ثم أراني الآن أتذبذب بخطوات متعثرة بين مشوار ما زال طويلاً وواقع حقيقي، يفرض عليّ هذا الواقع أن أكون امرأة أخرى، امرأة مسؤولةً مضحيةً سالحة متفانية. لقد كنتُ مستنيرة ومسؤولة وموسوعة، وكنتُ أسبق الزمن دون أن تعترض طريقي حتى الرياح، أما الآن فحالي حالٌّ من الانتظار المقيت والتحرّق إلى ما وهنت النفس عن مناله واستكان الجسد عن السعي إليه. والآن أدعو أن أكون أمةً ربانيةً تمشي بنور بين الناس وتثبت إذا ضعف الساعون ويأتّم بها الصابرون. فاستجب يا ربّ واغفر الذنوب وحسن ظنّي، عسى أن يبلغ حسن ظنّي ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وفضلاً من الله عظيماً.



رحمك ربي بكل شابٍ أبلَى شبابه في كدّ العمل.



كلّما سهرتُ ليلةً تذكرتُ كم أتلّف السهر ليليّ وكم جرّ من أوجاعٍ وقصر طول أمانيّ.



لم يعد طلبُ العلم غايتي، بل كلَّ غاياتي الآن هي لململهُ الآثارِ المتبقية وما علقَ في ذهني من حروفٍ كنتُ قد حفظتُها في فتوتَي وأتمنى ألا يمحوها هَرْمُ الشَّبَابِ.



ومما أفنى شبابي ثلاثة أمور: ضغطُ العملِ مع قَلَّةِ الأجرِ ثم تأخيرهُ.



محمود فارس... من الشَّبَابِ أصحابِ العهود^{*78}...

لم أكن أعرف الكثير عن نشأته أو عن عائلته، لكن عرفته بعطائه! لم تنفكْ يدهُ المعطاءة عن مشاركة الخيرات والنعم والسعادة مع كل من حوله من كبير وصغير وغني وفقير، ولم يبخل على أهل بلده بثانيةٍ من وقته أو بعلمه أو بماله. كنتُ في كلِّ مرة أقابله يحدثني عن مشروعٍ قادمٍ بعيد المنال في طرابلس -التي تتزاحم فيها المشاكل- ثم أراه بعد حين قد وضع الأسس والخطط، ثم نفذ، وأرى ما هدُف إليه منجزاً. والأجمل في إنجازاته أنها ليست له ولرفاهية أبنائه، بل لخدمة الناس والرفي بهم. فمن تجارة ناجحة لمركز طبي ثم مدرسة و.... إلخ. وما زال إلى الآن يخطط لمشاريعٍ قادمة، جعلها الله مباركةً طيبةً، وبارك بكل من أعان على قيامها.



الشيخ أبو بكر الشاطري... من الشَّبَابِ أصحابِ العهود

بفضل الله وبعده تربيةً والدي، حفظتُ سورة البقرة على تلاوة القارئ الشيخ أبي بكر الشاطري وتكرار صوته الشجي كلَّ يوم، ومثلي أمثال كثيرة ممن ترنموا بصوته واستمعوا إلى صوتٍ عذبٍ بتلاوة القرآن الكريم.

صوته يتردد في مسامعي إلى الآن، ويجعلني أبتسم دائماً دون سببٍ واضحٍ إلا أنني حين أستمع إليه أشعر بإيجابيةٍ تنبعث من صوته وتشعري بسعادة تلاوة القرآن! حفظك الله أيها القارئ الشاب وأوصل صوتك إلى كلِّ دار.

"ولد الشيخ شيخ بن أبي بكر بن محمد الشاطري. في مدينة جدة في المملكة العربية السعودية عام 1970م. حصل على إجازة القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم على يد الشيخ أيمن رشدي سويد في عام 1416هـ. والشيخ الشاطري حاصل على شهادة البكالوريوس في المحاسبة عام 1420هـ. تولى الشيخ إمامة العديد من المساجد في مدينة جدة. وشارك في العديد من اللقاءات الدعوية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها."⁷⁹

^{*78} محمود فارس: من أصحاب الهمم في طرابلس- لبنان، مدير مركز الإخلاص الطبي. <https://goo.gl/ir8Xk5>

⁷⁹ نبذة عن حياة الشيخ أبي بكر الشاطري، موقع المقالات، إسلام ويب، 15 نيسان 2009، مقال إلكتروني، تمت الزيارة في 5 آب 2018. قيل أيضاً أنه يمني الجنسية، وأنه حصل على شهادة الماجستير بعد البكالوريوس لكن المصادر الموثقة قليلة، ولمن لديه معلومات موثقة حول الشيخ فيرجى تزويدنا بها على البريد الإلكتروني: asma_alsakati@yahoo.com



دعاء نعمو... من الشابات صاحبات العهد

"كن داعياً لله وأينما زرعتك الله أزهر" هذا شعارها الذي تمتلته وهذا شعار دارها "دعاء الخير"⁸⁰ الذي افتتحه بمساندة أهلها الطيبين في اسطنبول منذ عام 2017، والذي يطابق اسمه لقبها "دعاء الخير" فدعوته للخير بلسانها وأفعالها وأخلاقها كانت السمة التي تحلت بها منذ أن عرفناها أيام المدرسة. المُلفت في قصة حياة دعاء أن إرادتها لم تتعثر عند احتياجاتها الخاصة ومعوقاتها الخلفية، بل تجاوزتها صابرة على ما سببته لها من أوجاع وظلت مثابرة طامحة إلى المجد وإلى رضا الرحمن. فما تركت نجاحاً إلا وحقته في مدرستها وفي حياتها العائلية وفي دراستها الجامعية وعلاقاتها الاجتماعية، حتى أنني أشهد لها بتحمل أعباء السفر في سبيل القرآن والجهد في سبيل الله، ولا أدري إن كان هناك محطات من المجد في حياتها لازلت أجهلها. أما عن أهلها الطيبين فلا أعلم عنهم أيضاً إلا إتقاناً للعمل وإعلاءً للحق وسعيًا إلى المجد، المجد الذي استحقوه بصفاء نيّتهم وصبرهم على أذى الناس ومصائب الدهر ومتاعب الترحال.



حسن الحاج⁸¹... من الشباب أصحاب العهد

"أحلم بأن يكون لي طراز خاص في التصميم يسمّى طراز حسن"، وأرجو له التوفيق في تحقيق حلمك، فقد جاهد وصبر منذ أن تربى يتيمًا إلى أن صار طالباً متفوقاً ثم مهندساً بارعاً. كان من أوائل الزملاء الذين تعرفت عليهم في مهنية القبة في طرابلس وتابعت مسيرته التعليمية وصبره على تكاليف الدراسة وقلة الحيلة وبعد الضيعة عن مكان الدراسة. لكن ثراء أفكاره وغبارة إبداعه أغنياه عن أن يحتاج أحداً أو أن يقف على لوم أحد، فتابع العمل مع الدراسات العليا إلى أن أثبت جدارته في درب التفوق. وها قد صار مُدرّساً في مجال العمارة الداخلية ومدرباً ومساعداً في المشاريع الجامعية للطلاب إلى جانب تدريسه للغة الإنكليزية التي تعلمها بعد العشرين من عمره. أنتظر أن يُعلن رسمياً عن طراز حسن في عالم التصميم الداخلي قاطبة، وأنتظر الفرصة لأعبر له عن شكري على مساندته لي في دراستي.



أبو بكر⁸²... من الشباب أصحاب العهد

هو صاحب عهد في فتوته وشبابه، حيث وهب فتوته للعلم والاختراع والجهد، وبرع في المعلوماتية، ثم تابع المسيرة في شبابه واحتمل الحصار والترحال ومسؤولية القيادة، إلى أن اضطر للخروج إلى بلاد الأناضول ليكمل تنفيذ مبادئه هناك. وعلى الرغم من أنني لا أعلم الكثير عن تفاصيل حياته إلا أن خبرته في الحياة باتت واضحة عندما بادر إلى تأسيس ملتقى للشباب السوري في إسطنبول. كان الغرض من تأسيس الملتقى هو تأسيس مرجعية استشارية للشباب يعتمدون عليها في تحديد مسارات حياتهم التعليمية والمهنية، وكذلك توفير رؤوس أموال استثمارية لهم للقيام بمشاريع صغيرة تخصصية تعينهم على الإنتاج في المجتمعات المضيفة التي يلجؤون إليها. وقد عمل أبو بكر على مدى سنة

⁸⁰ تقع الدار في تركيا، إسطنبول، الفاتح، وتهدف إلى خدمة كتاب الله وعلومه، وتعتني بالتجويد والحفظ وتصحيح التلاوة والحديث النبوي، وتعليم العربية لغير الناطقين بها. <https://www.facebook.com/daalkheer>

⁸¹ للتواصل مع المهندس حسن الحاج عبر بريده الإلكتروني: hh.interiorarchitect2020@gmail.com

⁸² عبد الله الجزائري - كما سمى نفسه.

ونصف تقريباً مع فريق عمل متواضع التعداد على تثبيت أسس المشروع ووصفه والتنسيق بين المؤسسات الشبابية للخروج ببرنامج تدريبي متكامل لمجموعة متميزة من الشباب الكفو، إلا أن عراقيل الغربية وقلة الجهات الداعمة وبعض الظروف أدت إلى ركود المشروع وتأجيل تنفيذه إلى الحين المناسب له.



الأخوات روعة ورولا ورشا المصري.... من الشابات صاحبات العهود

عرفتُ كل واحدةٍ منهنّ بالمصادفة من خلال إنجازاتها، ثم عرفتُ أنهنّ أخواتٌ من إحدى العائلات الحمصية العريقة. وكلّما سألتهنّ عن أخبارهنّ أتين بأخبارٍ سارةٍ وشهاداتٍ جديدةٍ في القرآن وعلوم الحياة، كل ذلك رغم الغربية وظروف المعيشة المتقلّبة فيها. عرفتهنّ مدرّسات وأمهات يرتقين كلّ سنةٍ مع أبنائهنّ من مرتبةٍ إلى مرتباتٍ أعلى، والنور يفيضُ من وجوههنّ جميعاً والرضا والأدب والذوق سماتهنّ المميزة. فما أروع أن تكون الشابةُ ابنةً بارّةً ثم أمّاً عظيمةً ثم معلّمةً جليّة، ترتقي باستمرارٍ وتشدّ معها أبناءها وزوجها وعائلتها وطلابها.



أما الصّفّة المشتركة بين كل الشباب أصحاب العهود هي برّهم بأهلهم وحرصهم على دعم والديهم وإخوتهم قبل أي خطوة أو مبادرة.



عذراً لمن أراد أن يفرح بثوبي الأبيض، عذراً لمن أراد أن يفرح بطفلي، عذراً لأنني خذلتكم، عذراً على هرمي المبكر، فما كان في حيلتي أن أحافظ على شبابي.



عذراً يا سعادتِي، تحاولين أن تملئي قلبي لكن شبح العوزِ يطاردني ويكبّلني ويكتم أنفاسي، فلا أقوى على الابتسام لمحاولاتِك. هو الأقوى والبقاء للأقوى.



كنتُ مصمّمةً كلّ التصميم على ألا أنساك، لكنّ طبيعة النسيان في إنسانيتي كانت أقوى من ذكراك.



انقلع من قلبي...

كنت أظن أن كلمة "انقلع" هي فقط مصطلح محكي بين العامّة، لكنني عرفتُ أنّها كلمة فصحي، وأنّ قول: انقلع من قلبي، معناها انعزل منه وانتزع نفسك!



إذا فُذِّرَ لَكَ العِيشُ مَعَ امْرَأَةٍ مُسِنَّةٍ فَتَذَكَّرْ دَائِماً⁸³:

أشدُّ ما يؤلمها هو تقصيرُ أبنائها في زيارتها، فهي لم تعتد على رسائل الهاتف ولا تألَّفُ وسائل التواصل الاجتماعي، ولا يؤثر فيها أن ترسل لها وجوهاً تعبيريةً أو صوتاً مسجلاً تعبيراً عن حُبِّك وامتنانك بل يؤثر فيها أن تراكَ وأن تراكِ مهما كانت مدة اللقاء. ولقد قابلتُ الكثيرين ممن استحوذوا على رضا والديهم المسنين بسبب "زيارة عشر دقائق" يومية، صبروا عليها ونالوا الرضا دون كلِّ إخوتهم، والعجب أنهم كلُّهم قد نالوا من فضل الله ووهب لهم رزقاً لا يُغلق له باب.

- عندما تكون مع امرأةٍ مسنَّة: لا تستبعد أن توظك في منتصف الليل وهي في قمة النشاط، ثم تقول: تفضّل لنشرب القهوة ☺. ولا تستبعد أن تجهز الشموغ والأضواء كأنه جوٌّ رومسيٌّ أرادت استرجاعه معك الآن، ثم عليك أن تصبرَ على البقاء صاحياً بقية النهار!

كما لا تتم مع العجوز في غرفتها لأنها قد تستيقظ عشرين مرةً في الليلة الواحدة وقد توظك في الثانية عشرة في منتصف الليل لتشاركها تناول الحلوى، دون أدنى شعورٍ منها بإزعاجك. لا تنسى أيضاً أنها ستسألك منذ باكورة الصباح: ماذا ستأكل اليوم؟ ثم ستكرّر هذا السؤال كلَّ ساعة.... واعلم أنّ من أصعب المهام في العالم هو أن تقنع عجوزاً بتغيير فكرتها أو حتى كرسيها الذي تجلس عليه.

لقد أصاب من قال عن المسنين إنهم كالأطفال، في طعامهم ونومهم وعاداتهم وحديثهم.... هم فعلاً أطفالٌ كبار. والمضحك في الحياة مع مسنَّة أنه يمكنك التلاعب معها وتورية الحقائق عنها فهي حتماً تعاني من نقص في السمع أو الرؤية، وستكون هذه فرصتك لإقناعها بأنها ترى خطأً أو تسمع صوتاً لا تريد أن تعرف حقيقته -فيما لا يضرها- أو يمكنك إقناعها بأن طعاماً ما مفيدٌ وأن ترتيب المنزل هكذا جميلٌ.

- أكثر ما يضحكني في العجائز غيرتهنّ إذا طهوت طعاماً على غير طريقتهنّ، فتراهنّ ينقدن الطعام ويسرعن بعد أيام لطهو نفس الطعام لإثبات قدراتهنّ الجبارة وكسر شوكة الطرف الآخر، ثم ليجروا أحداً ما على نقد طعامهنّ!

أما أكثر ما يحزنني هو تحاملهنّ على ألمهنّ والصبر على الفراق والكد والأذى، بإمكانني تقدير مشاعرهن والإحساس بذلك الشعور الغريب الذي يمنعهنّ من التنازل لطلب المساعدة. أستطيع أن أشعر كلَّ الشعور، ربّما لأنني مثلهنّ وأرى كبري في كبرهنّ.



يكاد يكون ضيقُ الحيلة من أسوأ المشاعر التي يجرّها الفقرُ على الإنسان، ذلك أنه يشعر بنفسه محاصراً في حياةٍ دنيا قاسية ومهدداً كل يومٍ بموقفٍ يذلُّ نفسه أو يهينُ كبريائه، فيتجنّب الناس خوفاً من شفقتهم وينطوي عن المجتمع رداءً من أن يُسأل ما لا يملك ويلتزم الصمت كي لا يعدّ بما لا يستطيع الجود به.

⁸³ قبيل عهد الشباب، ص114.

ذلك الإنسان الفقير ربّما يفضحه نعلهُ المتمزّق كلّما أراد الوقوفَ شامخاً وربّما صرخت معدّته الجائعة كلّما أراد أن يتظاهر بالشّبع وهكذا ربّما توالّت المواقفُ يوماً بعد يومٍ حتى تمّنى أن تبلعه الأرضُ أو يقعَ في بئرٍ عميقٍ ينطوي فيه ولا تراه فيه عينٌ ناظر.



"الفقر" من معوقات الحياة الحقيقية

كان ذلك يومَ عرّفة عام 2018 حينما هممتُ بالذهابِ إلى عملي من باكورة الصّباح، وكنت في ليلةٍ ذلك اليوم قد نسيتُ هاتفي الجوّال في المستشفى عندما زرتُ قريبتني المسنة التي كنتُ أمكثُ في بيتها في تلك الفترة. وقبل أن أصلَ إلى موقفِ الباصِ تذكرتُ أنّ بطاقةِ الباصِ -الفارغة إلا من ثلاثة عشر درهماً- قد تركتها في محفظةِ الجوّال أيضاً، ولا مالٍ لديّ لأدفعَ أجرَةَ الباصِ نقداً. لم يكن لديّ خيارٌ إلا أن أعود أدراجي إلى المنزلِ حيثُ أرسلتُ بريداً إلكترونياً إلى مديري عسى أن يراه ويرسلَ لي السائقَ ليقلّني إلى العمل، وانتظرتُ الخادمة حتى استيقظت لتعيرني هاتفها، لكنها لم تكن أيضاً تملك رصيماً كافياً لإجراء اتصال ولم تقبل -من فقرها هي الأخرى- أن أرسل رسالةً قصيرةً إليه. فاكثفينا بإجراء رناتٍ متتالية عسى أن يفهم المدير أنني أريده أن يتصل!

ربّما كانت محاولةً عجيبةً لا يقوم بها إلا الفقراء أمثالنا...

لم يقرأ البريدُ الإلكتروني ولم يتصل، وأمضيتُ الوقتَ أنا في التسبيح والتلبية والدعاء في ذلك اليوم الفضيل، مع مشاعرٍ مختلطةٍ بين الفرح بأن منحني الله وقتاً أطولاً للدعاء، وبين الحزن مما جرى، فالمحزن في الأمر أنني أعملُ لأحفظَ ماءً وجهي، ولو أنني كنت عاطلةً عن العمل لما حزنت، ولو كنت أملكُ فلساتٍ قليلةً لما تغيّبتُ عن العمل.

جعلتُ أفكر، هل سيخضم أجرتي هذا اليوم؟ وكيف سأردّ ديني الذي أجمع له المالَ فلساً فوق فلس؟ وكيف سأخذ أجرتي التي وعدني أن يعطيني إياها في ذلك اليوم؟ فهو أيضاً كان فقيراً ولم يكن يملك أن يعطيني الراتب الشهريّ دفعةً واحدةً.

تلك بعضُ من الأسئلة التي تراود الفقراء...

خرجت قريبتني من المستشفى بعد الظهيرة مباشرةً، وأعطتني هاتفني، حيثُ كلمتُ المدير أولاً معذرةً عن الغياب وملتزمةً السّماح، فكان متسامحاً حقاً ومرّ أمام منزلي بعد ساعات قليلة ليعطيني أجرتي المتواضعة لتكفيني حاجتي وفرحتي في العيد.

لو أنّ ممثّل تلك المواقفِ يمرُّ يوماً في السنة لكان حادثاً عادياً يمرّ مع أي إنسان، لكن أن يتكرّر كلّ يوم وأن يصبح جزءاً أساسياً من الحياة يمنع من العمل ومن السعي إلى عملٍ ومن الدراسة ومن عيادةٍ عزيزٍ ومن زيارةٍ غالٍ ومن إهداء محبوبٍ ومن تذوّق طعامٍ ومن حضور حفلٍ ومن المشاركة بأمرٍ ومن دخول متنزهٍ ومن إشباع أبناءٍ ومن إكساءٍ منزلٍ ومن مخالطةٍ من يملكون الفلوس.... أن يمنع الفقرُ كلّ ذلك حينها نعلم ما معنى الحياة البائسة التي يسببها الفقر والتي تغلب فيها المعوقات على المحفّزات ويضطر فيها المرء للجلوس حائراً بين الخيارات المنقطعة والأبواب المغلقة ومتحسراً على الفرص المتساقطة أمام عينيه، دون قدرةٍ منه على التقاطها دون مال... فلا تسألوا يوماً فقيراً لم لم يلتقط فُرصاً للغنى.



والفقرُ يودي إلى الجريمة كما الترفُ تماماً...
فبالترف تُستأجر الأيدي القاتلة ويُتاجر بالسّلاح وتُباع أعضاء البشر، وبالفقر يتصارع الناس على لقمة العيش كما يتصارع الجرذان. وكلاهما يُخرجُ الناسَ عن المبادئ والأخلاق.



يزداد انكسارها عندما ترى انكسار وليّ أمرها، حينما يكون عاجزاً عن مدّ يد العون لها وغير قادرٍ على منحها ما تقيّم به معاشها.
شديدةٌ هي تلك الحالات حين يمسُّ الفقرُ بالسوء دلالها وحقوقها وكرامتها.



لا يروقُ لي أن أكون الحلقة الأضعف، لذلك أعتزلكم أحياناً عندما أرى نفسي في ذلك المقام.



أحدت نفسي وتحدتني، أقول لها: جائعة!
فتقول: وهل كان لازماً أن تشبعي؟!
- أنتِ على حقٍ يا نفسي! ربّما ما كان الشَّبْعُ قَدري.



أتعلمُ أن ما كان من فقري إنفاقي على علمي؟



لست بحاجةٍ إلى التبرير عندما لا تجدُ كسرةً تسدُّ جوعك... يكفيك عذراً نحوئك.



ربّما على الفقير ألا يسعى لإقامة الأفراح لأنّه سيتعبُ أكثر من أن يفرح، وكما يقال في المثل الشّامي
«يا افتح بابك وافتخر... يا اطبقو وانستر»



أحترأ بين ويلات الفقر... أهي بلاءٌ أم عقابٌ وأخشاها تلك الويلات... أخشاها يا ربّ! أخشاها وترتعد
ضلوعي في كلّ حينٍ تحلُّ فيه ويلة.



ما أبغضه ذلك الوقت الذي يفرغ فيه الجيبُ من فِلس، وما أبغضه حين يتكرّر أحياناً.



لا يجعلك الفقر حزيناً في ذات بينك فقط، بل إنه يحزنك على غيرك الذي يكاد يموت جوعاً أمامك ولا تستطيع إعانتته بكسرة.



ذكريات البرد...

ما أقساها من ذكريات تلك التي قضيناها في شتاء بلا لحاف، وفي عاصفة بلا مدفأة، وفي عمل بلا وهج ساخن يطفئ صقيع الأصابع ويعينها على حمل كدها.



أسوأ الاعتياد أن نعتاد على الذلّ أو المعصية أو الإسراف أو الفوضى....

تلك أربعة يودي بنا كلٌّ منها إلى خراب جزء كبير من حياتنا و -العياذ بالله- بعدٍ عن ربّنا وفجوة كبيرة بيننا وبين عمل المعروف. فلا تقل اعتدنا ولا ترضى لنفسك إلا أن تكون سلطانةً على كلّ ضعفها وسبابةً إلى الخيرات.

إن الخيرات بحاجة لأن تكون عزيزاً، عزيزاً في مالك أو مكانك، وأن تكون طائعاً متحرراً من ندم المعاصي، وأن تكون وسطاً في معاشك وملتزمًا بكل ما استوجب الالتزام من عبادةٍ وغذاءٍ وأهلٍ وواجباتٍ.



من شروط المساعدة أن تساعد بشروط من يحتاجك لا بشروطك وحسب وقتك، فالمساعدة المشروطة من جانبك هي فقط احتكارٌ وفرصةٌ للرياء أو التمنن.



إنّها ليست أشياء جُدّ ثمينة كي أخشى سرقتها، لكنّها كلُّ ما أملك.



لا نستحي من فقرٍ أو ضيقٍ حلّ بنا ليميز صابرنا لكن "ارحموا عزيز قوم ذلّ"^{*84} وكفّوا عن الاستفسار عمّا حلّ بالغني فلان والعزير علان.

^{*84} هذه المقولة قالتها الصحابية سفانة بنت حاتم الطائي بعدما أسرت بيد المسلمين بعد غزوه (لطيء) بجبال (اجا وسلمى) في (حائل) ولما قدمت مع الأسرى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قالت: يا محمد إن رأيت أن تُخلي عني فلا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي وأبي كان يفك العاني ويحمي الذمار ويُقرب الضيف ويشيع الجانع ويفرج عن المكروب ويفشي السلام ويطعم الطعام ولم يرد حاجة احد قط (ف) ارحم عزيز قوم ذلّ) فسألها النبي صلى الله عليه وسلم، ومن هو أبوك؟ قالت حاتم الطائي، فقال لها النبي: هذه صفات المؤمن حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباهما كان يُحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق، فأسلموا جميعاً وكانت سفانة السبب في دخول أخيها (عدي بن حاتم الطائي) الإسلام.



ليس كلُّ من عاشَ في خيمةٍ فقيراً، فالخيمةُ مكانٌ يفضّله البعضُ كما يفضّل البعضُ قصرًا، ومن سكّان الخيم من يخبئ الذهبَ تحت الحصير.



من أعظم حَكَمَاتِ الفقر أنه يحملك على مغالبة سلاطينك: سلطان البطن و سلطان النوم و سلطان الفرج و سلطان الجهالة. وفي يقيني أنّ من تغلّب على سلاطينه عاشَ سلطاناً في عينه وفي أعين الناس.



لا أخشى من الحزن خشيتي من موت المشاعر حزناً.



إذا شبع أبناؤك من الكرامةِ والإكرامِ في طفولتهم وصباهم عفت نفوسهم في كبرهم، ورضوا بنصيبهم من الحياة الدنيا.

فقد تمتلئ ذاكرة الطفولة والصبا بعباءات من والدي الإنسان تجعله في غنى عما في أيدي الناس وفي غنى عما تفتته به الحياة الدنيا، كأن يتذكر منزلاً مزدهراً عمّ بالخيرات والرفاهية في أثنائه ومأكولاته وزيناته ومقتنياته، أو تعليماً ممتازاً حصل عليه في مدارس من الدرجة الأولى، كان يدرس فيها بكل دلالٍ ويستخدم أدوات جميلةً للدراسة تحبّب نفسه إلى التعلّم. كما أن للملابس الجديدة المرتبة متعةً تحبّبها نفس الأبناء وتشتهيها، والأغراض الكمالية والألعاب المتنوعة كذلك، إضافةً إلى الحليّ ومستلزمات الزينة والمأكولات اللذيذة. حتى أن الأدوات التقنيّة لها لذتها، فعندما تسمح لأبنائك باستخدام تقنيات العصر فهناك جانبٌ من الرضا سيمتلئ تلقائياً (أنهم ليسوا محرومين من أمرٍ دارجٍ يحيط بهم). وإلى جانب الرفاهية هناك أفعالٌ تقوم بها لأبنائك تحفر في عقلهم الباطن دون أن يشعروا، وسيشعرون بسعادةٍ ما فعلته لأجلهم في كبرهم، كأن تُقيم لهم الحفلات في مناسباتهم الخاصة كالنجاح في المدرسة والشفاء من عملية جراحية واجتياز اختبار ما والحجاب والتفوق والتخرج... إلخ. كل ذلك باعثٌ على التعفّف، والاعتناء به محمودٌ إلا أن يكون قد جاوز حدَّ الاقتصاد فعندئذ سينقلب على الأبناء مرضاً يصعبُ عليهم التخلّص منه في كبرهم.



تربية الأخلاق...

من أشد أنواع التربية حاجةً للصبر. تحتاج إلى شهور وربما لسنوات، وكلما حسنت ازداد صاحبها مرونةً وقدرةً على العيش في كل ظروف الحياة.



أخلاق الحياة تتفاوت بين سوقٍ ومنزلٍ، ومَنْ أوتي حُسْنَ الأخلاقِ في السَّوقِ ما نالت منه مصائبُ المنزل، وكذلك التفاوتُ بين سلمٍ وحرب، فمن سَمَتْ أخلاقُه على أرزاءِ الحروب كان في سلمِه أسمى. والرجاءُ أخيراً في صلاحِ البالِ أينما كُنّا، سلماً كانت الحياةُ أو حرباً، وما العيادُ إلا من ضلالِ العمل.



«قال ابن المقفع⁸⁵: كان لي أخ أعظم الناس في عيني. وكان رأس ما عظمه في عيني، صغر الدنيا في عينه. كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد. وكان خارجاً من سلطان لسانه، فلا يتكلم بما لا يعلم، ولا ينازع فيما علم. وكان خارجاً من سلطان الجهالة، فلا يتقدم أبداً إلا على ثقة بمنفعة. وكان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بدّ القائلين. وكان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جدّ الجدّ فهو الليث عادياً، وكان لا يدخل في دعوى، ولا يشارك في مراء، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً فهماً وشهوداً عدولاً، وكان لا يلوم أحداً فيما يكون العذر في مثله، حتى يعلم ما عذره. وكان لا يشكو وجعه إلا إلى عند من يرجو عنده البرء. وكان لا يستشير صاحباً إلى من يرجو عنده النصيحة. وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يشتهي ولا يشتهي. وكان لا ينقم على الولي، ولا يغفل عن العدو، ولا يخص نفسه دون إخوانه بشيء من اهتمامه وقوته.

فعليك بهذه الأخلاق إن أطقت، ولن تطيق، ولكن أخذ القليل خيراً من ترك الجميع. واعلم أن خير طبقات أهل الدنيا طبقة أصفها لك: من لم ترتفع عن الوضع ولم تتضع عن الرفيع.»



تعب كلُّها الحياةُ فما أعجب إلا من راغبٍ في ازديادٍ⁸⁶...
وما زال التعبُ أيقونةَ حياتي وما زال زينتِي وسمتي وعنوان معاشي.

⁸⁵ ابن المقفع: هو روزبه بن دادويه، فارسي الأصل. كانت ولادته في البصرة (106هـ/724م) على ما يذكر المؤرخون في خلافة هشام بن عبد الملك. وقتل في زمن أبي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين (142هـ/759م) كما هو مرجح بعد اتهامه بالزندقة. المصدر: عبد الله بن المقفع، الآثار الكاملة لابن المقفع، تحقيق وشرح الدكتور عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1997م، ص98. عيسى إبراهيم السعدي، الأدب العباسي بين القديم والحديث، أمواج للطباعة والنشر، عمّان، الأردن، ط1، 2013، ص56.

⁸⁶ أبو الغلاء المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان (363-449هـ/973-1057م) التنوخي المعري. شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. كان نحيف الجسم، أصيب بالجذري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة. ورحل إلى بغداد سنة 398 هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر. وهو من بيت علم كبير في بلده. ولما مات وقف على قبره 84 شاعراً يرثونه. وكان يلعب بالشطرنج والنرد. وإذا أراد التأليف أملى على كاتبه علي بن عبد الله بن أبي هاشم. وكان يحرم إيلام الحيوان، ولم يأكل اللحم خمسا وأربعين سنة. وكان يلبس خشن الثياب. أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته، فتلاثة أقسام: لزوم ما لا يلزم (ويعرف باللزوميات)، وسقط الزند، وضوء السقط. وقد ترجم كثير من شعره إلى غير العربية. وأما كتبه فكتيرة منها: تاج الحرة، وعبث الوليد، ورسالة الملايكة، وغير ذلك. قال ابن خلكان: "ولكثر من الباحثين تصانيف في آراء المعري وفلسفته". المصدر: الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1971، ج1، ص204. تم الاطلاع عليه عبر المكتبة الشاملة <http://shamela.ws/index.php/author/84>

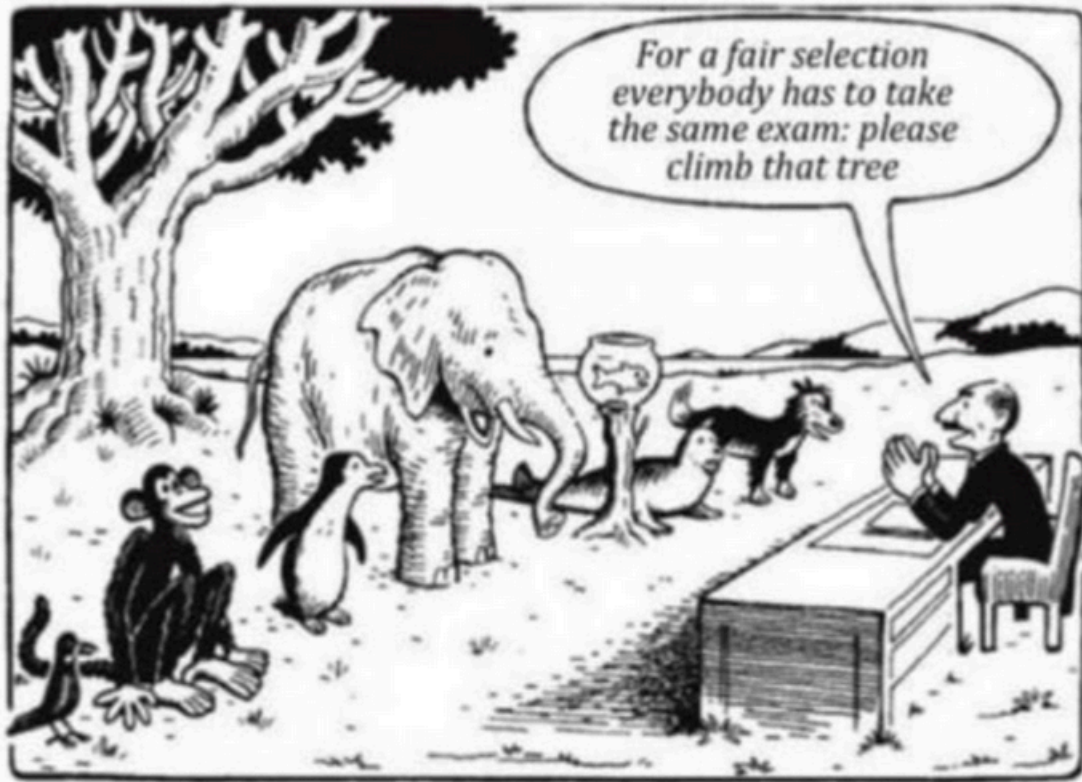
تعليم



Damla Beyaz • 2nd

Senior Product Owner @ MBition GmbH, Mercedes-Benz Innovation Lab

1d



Our Education System

"Everybody is a genius. But if you judge a fish by its ability to climb a tree, it will live its whole life believing that it is stupid."

- Albert Einstein

”التعليم الذي لا يدرس فيه الطالب تاريخ العلوم ولا فلسفتها ولا كيفية توظيفها في الارتقاء بالحياة، يصوغ عقولاً تعجز عن بلورة الرؤى الكلية وتغرق في الجزئيات وتطرب للمماحكات اللفظية“
عبد الكريم بكار⁸⁷



ما أفقرها المصادر العربية! وما أفقر البحث المعتمد على مصادر عربية! وأشك أنه لولا مصادر العصور الوسطى لكننا الآن بلا مصادر.



من محاسن البحث العلمي على نفسك، أنه تقرير في علمك لما رأيته من ظواهر حياتية ومشاهد يومية، حيث يحكي عنها البحث العلمي حقيقةً مدروسةً وتحليلاً منطقياً ونتائج ملموسةً. ومن محاسنه أنه يعرض أمامك الدراسات لتقارن بينها وتتكبر فيما تفكرت به العقول وتقرأ ما استنتجت أبحاثهم، فإما أن توافقهم أو تخالفهم أو تضيف إلى بنودهم بنوداً، بنوداً تغني ما كتبوه وتغني بنودك وتغني الدارسين بعدكم.



فكرة قاتلة لشبان أمّتنا زرعتها فينا أنظمة التعليم الساذجة، ونحصد ضررها الآن بعد أن تجاوزنا أوائل العشرين من العمر وواجهنا حقيقة البحث عن عمل كريم ومسؤولية تأسيس الأسرة، فانكبت علينا المسؤوليات مجتمعة دون إعداد مسبق. والفكرة القاتلة هي أن نؤخر كل ما نهذف له بعد الجامعة وأن الجامعة هي الملاذ الآمن لصناعة العلم والعمل والأموال، وأن كل من يسعى خارج الجامعة لعمل أو تدريب يكون طائشاً مضيئاً للوقت، لكن الحقيقة الصادمة هي أن الجامعة كانت لا شيء، ولم تصنع شهادتها إلا علماً نظرياً بعيداً عن واقع عملي. وهنا تحل الكوارث ويبدأ السعي والركض كالوحوش في الغابات وراء تطوير العلم واكتساب الخبرة وصناعة الأموال وهموم لا حصر لها.
فإلى متى يا جامعاتنا؟!
وجب النقد دون التعميم...



كم زرّعنا في أذهان أطفالنا أسئلة بنوا عليها ثقافتهم صغاراً وخذلتهم كباراً، نكرّرها على أسماعهم كل يوم أثناء اللعب أو الدراسة ظناً منا أننا نؤدب، دون أن نعلم كم نحطم، وتطول الأمثلة، ومنها:
- ماذا تريد أن تكون عندما تكبر؟ مهندس؟ طبيب؟ معلم؟
حيث يكبر ذلك الطفل دون أن يصبح طبيياً، فنتهدم أحلامه ويرى الحياة بكل مرارتها ويقرر أن ما كان من حقه أن يحلم وأن الانسحاب من الحلم كان خيراً له وأسلم.
- ما هي صفات فارس الأحلام لديك (ك)؟

⁸⁷ عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، سوري الجنسية، من مواليد محافظة حمص عام 1951م/ 1370هـ. يعد أحد المؤلفين البارزين في مجالات التربية والفكر الإسلامي، حيث يسعى إلى تقديم طرح مؤصل ومتجدد لمختلف القضايا ذات العلاقة بالحضارة الإسلامية وقضايا النهضة والفكر والتربية والعمل الدعوي. الموقع الرسمي أ.د عبد الكريم بكار: <http://www.drbakkar.com>

فتتعدد قائمة المواصفات وتزهر معها الأحلام حتى يأتي الفارس المنتظر، فيجعل الحياة سوداء قائمة لأنه ما كان الشريك المناسب يوماً ولا خطر على بال فتاته ما هو المعنى الحقيقي لتلك الحياة. حينئذ يعي كلاهما أن الزواج ما كان قائمة مواصفات.



غياب معنى البحث العلمي في بعض جامعات عالمنا العربي...

إذا كان الطالب لا يدري ما معنى «إشكالية» بحثه كيف يطلب المساعدة في سرد بحثه وماذا يناقش أصلاً؟



إذا كان الطالب لا يدري ما المنهج الذي عليه أن يتبعه ومن هم عينات بحثه ولا يدري كيف يقابلهم وماذا يسألهم، عما يبحث إذا؟ كيف تُخرَج جامعاتنا طلاباً ما عرفوا معنى البحث العلمي ولا استطاعوا النزول إلى الميدان لاختبار الأعمال على واقعها واختبار نتائج دراستهم الحقيقية؟ كيف تسمح لهم بأن يكونوا معلمين أو موظفين؟ إن غياب معنى البحث العلمي وغياب الباحثين والرحالة في عالمنا أمر في غاية الأسف، ودفن أذهان طلابنا أمر يجب أن يعاقب عليه فاعله عساه يدرك ما معنى قتل الفكر. وماذا تتأملون من أمة لا تفكر؟



لا أفرح بالشهادة بقدر ما أفرح حينما تولد الشهادة من رجم الشعب...
وحينما يسوق الله لي النجاح من حيث لا أدري ومن غير حولٍ مني ولا قوة، كما يساق الماء إلى الأرض الميتة فيخرج نباتها زرعاً مثمراً.



لو يدري الطلاب إلى أي العوالم يأخذهم البحث العلمي لما أهملوه وأكلوه إلى المكاتب حيث يخرج أوراقاً جافة مجردة من قيمة البحث العلمي أصلاً.



اللغة

اللغة هي ثقافة المجتمعات والوسيلة التي يعبر بها الإنسان عن حضارته وما تحتويه من عادات وتقاليد وقيم وعلوم وكل مظاهر الحضارة. فهي نتاج فكر أو مجموعة أفكار وبقدر فهم الإنسان لقيم بيئته يمكنه فهم لغته، وعندما يتعمق في أسرارها ويدرس قواعدها وأصول نشأتها يتعرف على تاريخ أجداده وما مرّ معهم من حوادث تاريخية أو يومية أدت إلى نشوء مصطلحات وأمثلة وتراكيب يتكلم بها كل يوم ولا يدري من أين اعتاد عليها.

إذاً فكل مصطلح قد يكون قصة تاريخية أو عادة قديمة أو حتى قصة حديثة اعتاد عليها المجتمع وبدأ بتداولها وانتشرت في لغته حتى صار يتكلمها. بمفهوم آخر يمكننا القول أنّ اللغة هي السلوكيات التي يتزوّد بها الإنسان والمواقف اليومية التي يعيشها والأفكار التي يفكر بها وكل ما يتعلمه أو يراه يُنقل لنا عبر اللغة، وبها يتواصل مع من حوله وبالتالي يبني علاقات وأعمالاً.

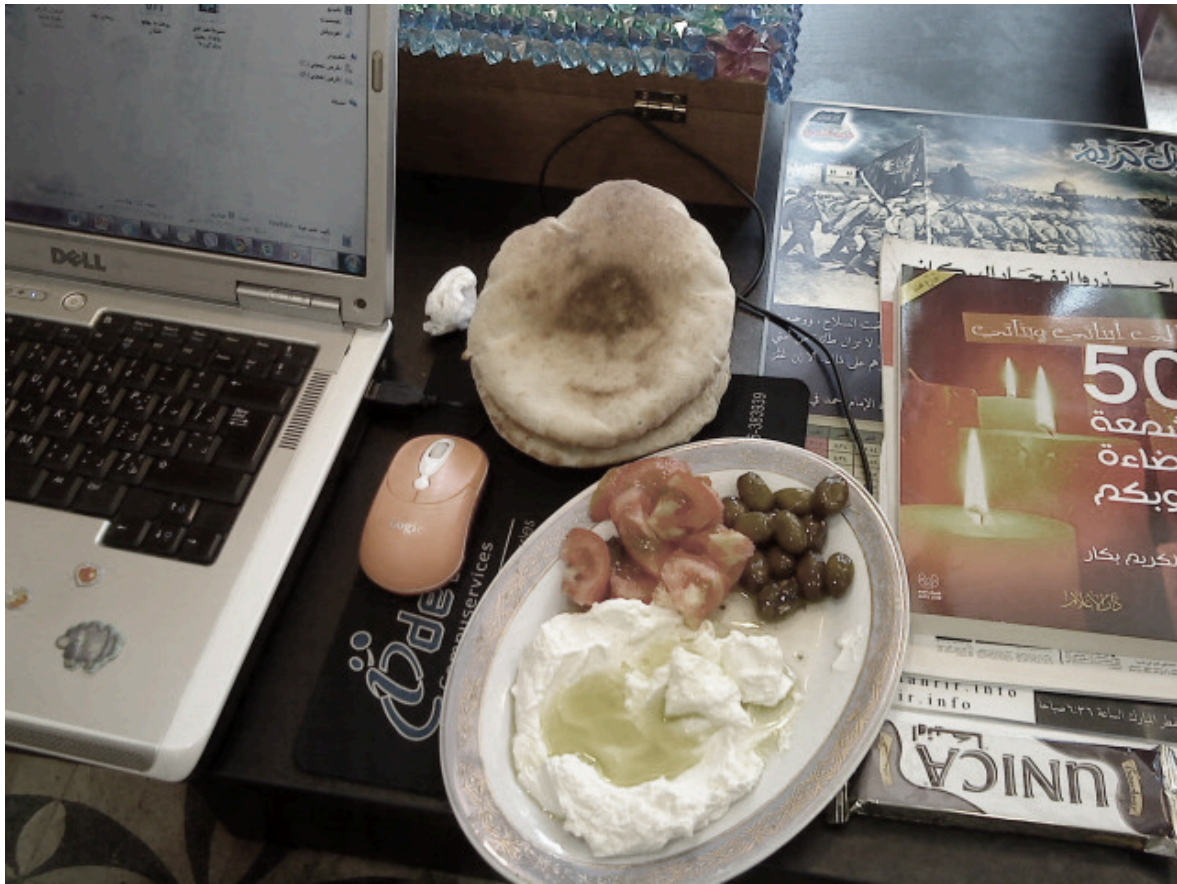
لابدّ للإنسان من إتقان لغته ومن ثمّ تعلّم لغة ثانية لنتفّح الأكوان المغلقة أمامه، وليكون على علمٍ ودراية بما يجري حوله، وليعدّ نفسه لمجاراة المستجدات والتكيف معها، إضافة إلى انفتاح الأفق للتفاعل الثقافي مما يساعد في فهم الآخر. لذلك يعدّ تعلم اللغات أمراً مهماً على ألا يكون على حساب اللغة الأم التي تعتبر هوية الفرد وهوية أمته.

من وجهة نظر أخرى يمكننا القول إن الإنسان المتقن للغته يشغف بنقلها للآخر وبالتالي يكون مدفوعاً لتعلم لغته ليتواصل معه ويتبادل معه الثقافات. ويجب أن يُعلم أن حقل البحوث المتعلقة باكتساب اللغة الثانية لم يتوقف تأثيره على اللغة، بل تجاوز ذلك إلى تغيير الطريقة التي نفكر بها فيما يخصّ التعلم والتعليم، وإلى تشكل معرفتنا حول اللغات الإنسانية بشكلٍ عام.

بذلك المفهوم وبذات المسار يتعلم الإنسان لغة ثانية تحكي عن ثقافةٍ أخرى مختلفة عن التي نشأ عليها، فهو إن عرف مثلاً أن مبدأ لغته الأم هو انقسامها إلى اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ فكم سيكون سهلاً عليه فهم اللغة الجديدة وتقسيمها أيضاً إلى عناصرها الرئيسية. ثم ينطلق من ذلك المبدأ لتعلم أسرار اللغة بكاملها وبالتالي يتعلم ثقافة من تحدثوا بتلك اللغة ويصبح مندفعاً أكثر لأن يحادّثهم بلغتهم وبتقافتهم.

كلّما تعمّق الدارس في قواعد لغته ولهجاتها وطرق تدريسها ولحنها في الكلام ازدادت رغبته في البحث في لغات الآخرين ونشأت في مخيلته المقارنات بين الثقافات والروابط بينها فربما وجد لغاتٍ مشابهةً كثيراً للغته وربما وجد لغات بعيدة كل البعد وهو في النتيجة مستفيد من تعلم اللغة الجديدة مهما كان حجم الاختلاف.

حياة الأعمال



"مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سَرِيهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيَزَتْ لَهُ
الدُّنْيَا"⁸⁸

⁸⁸ أخرج الترمذي في سننه عن سلمة بن عبيد الله بن محسن الخطمي، عن أبيه، وكانت له صحبة، قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سَرِيهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيَزَتْ لَهُ الدُّنْيَا. وعند ابن حبان عن أبي الدرداء قال رسول الله ﷺ: مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافَى فِي بَدَنِهِ، آمِنًا فِي سَرِيهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيَزَتْ لَهُ الدُّنْيَا. وللحديث شواهد أخر، وقد حسن الحديث بشواهد الألباني، والأرنؤوط. موقع إسلام ويب، رقم الفتوى 341893.

(تسع ساعات أو اثنتا عشرة ساعة)

ذلك هو سجنُ كلِّ موظفٍ.



نسمعُ كلامَ القائد، ونُسمعه ما نراه صحيحاً إن ضلَّ رأيه أو غرقَ في الغمام.



في ظلِّ الفوضى، سيكونُ أحدُ ما حتماً فداءً للتنظيم.



من لم يحملْ على أكتافِهِ أحمالَ تأسيسِ عمله، لن يحملها وقت الرخاء ولا وقت الانهيار.



تأسيس عملك الخاص...

بقدر ما يجرِّه لك من هموم في مرحلة تأسيسه يمنحك اتساعاً في حياتك وبعداً في نظرتك وعمقاً في خبرتك.



عملُك الخاصُّ هو مملكتك، لا تدع للأجانب حقُّ للتدخل فيه. وتوسع في مملكتك عندما ترى أنتَ الوقتَ المناسبَ لذلك.



ليس من حقِّ الشُّركاء أن يستدينوا مبالغ من المال على أكتاف شركتكم بحجة تطوير العمل، وليس من حقِّهم حلُّ الشراكة متى راق لهم ذلك.



إغلاق الشركة أحياناً هو أسلم وأشرف من توسُّع خَطِر.



بطاقة العمل^{*89} تعرِّف عن عملك كما تعرِّف عنك بطاقة هويتك.

^{*89} أو تسمى بالإنكليزية business card.



إياك أن تهب نفسك لصاحب رأس المال فهو إن علت أرباحه لن يزيد أجرك إلا بمقدار كمن يقطر للعين قطر مهدئة.



لا تخطّ بناءً على أساسات غير موجودة، فما كان غير موجود لا نملك القدرة على خلقه، وبعد أن يُخلق نبنى عليه الأسس.



يرى الموظفون أن زميلهم الودود الذي لا يقول لهم "لا" هو الموظف الأفضل، في حين قد لا يكون منجزاً لمهامه تمام الإنجاز ومهملاً لأوامر قد تزعجهم، فلا يخبرهم بتلك الأوامر لأنه إن أخبرهم ستكون حدوداً لهم توقعهم عن الخطأ.



يذكرني المدير الكسول بالمدراء النشيطين الذين عملت معهم سابقاً وكما كانت إدارتهم حكيمة وقيادتهم فاعلة..

فمنهم المدير "عبد الرحيم حسيان"⁹⁰ الذي كان دائماً أول الحاضرين وآخر المغادرين، يحمل عن الجميع همومهم ويستأمنونه ويأتمرون بأمره ويستلمون منه مهامهم وتوجهات نشاطاتهم، وهو دائماً آخر المستفيدين مادياً.

لا أنسى رصيد الاحترام الذي منحني ذلك المدير وما زلت حتى الآن أحتفظ بتحفيز عالٍ مبني على ذلك الاحترام. ولا ينسى طلابه تفانيه في سبيل تعليمهم والرقى بمدرسهم التي كانت نافذتهم الوحيدة في عالم اللجوء.

ومنهم المدير "إيمان هارون"⁹¹ وأختها "نعمة هارون" اللتان ما شهدت أحداً باتقانها ودقتها في العمل وصبرهما، صبرهما على الناس والضغط والعمل والإيذاء وكل ما يدعو للصبر.

ومنهم المدير "إيمان"⁹² الذي كان أيضاً أول الحاضرين وآخر المغادرين، يعمل بيديه ولا يسمح للخل بأن يتسرب إلى نظام عمله.

ومدراء آخرين أيضاً كانوا قدوةً لفريقهم أو كل من عمل معهم، قدوةً في جدّهم ونشاطهم وتواضعهم وعلمهم وخبرتهم وصبرهم ونظرتهم للمستقبل في كل لحظة يزرعون فيمن ينظر إليهم إتقان العمل وفي كل مرة بان على جبينهم أنهم: "متعبون".

⁹⁰ عبد الرحيم حسيان: مؤسس ومدير مركز الإحسان الأكاديمي في حلبا- شمال لبنان. حائز على جائزة حقوق الإنسان في 12 آذار 2019 <https://goo.gl/1o6HB7>

⁹¹ إيمان هارون: من أفراد العائلة المالكة لشركة ناسيونال للسياحة والسفر، مديرة المبيعات والعلاقات العامة في مكتب الشركة في طرابلس- شمال لبنان.

⁹² إيمان: مدير شركة إيميسا للاستثمار العقاري قبل إغلاق الشركة في إسطنبول- تركيا.

أما من أعتزّ به وأنا أخطّ هذه الكلمات، هو مديري الشاب الجذع "سعيد البدوي"⁹³ الذي أفضل ما يمكنني وصفه أنه الرجل القوي الذي استأمنه الناس على مصالحهم، وأموالهم، وأماناتهم، ورجعوا إليه في الأمور كلها كبيرها وصغيرها يطلبون رأيه وأمره كي يفعلوا أو لا يفعلوا. إنّه عامل ساهر على مصالح الناس وعلى أمنهم وأمن رزقهم، ومنّ بات يراقب سير العمل أن يكون فيما يرضي الله. ذلك الرجل لا يمكن أن يستوي يوماً مع من نقص عقله وعجزت يداه عن عمل الخير، فكم من رجل طالت قامته وعرض منكبيه، وفي رأسه عقلٌ لا يفرّق فيه بين الجدّ والهزل، يأمره عقله بالمنكر ويحسبه معروفاً، ويحاول دائماً أن يظفر من جيب الناس ما استطاع من صيود. حماك الله وبارك فيما عملته يداك وأعانك على كل برٍّ ورزقك بقدر ما حملت في قلبك من طيبة وحسن نية يا أيها المدير الشاب.

"عمر رافعي"⁹⁴ أحسبه فعلاً -وأرجو أن يصدق عند الله ظني- ممن قال الله فيهم: "وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ"⁹⁵. فما قابلت أحداً وصل إلى ما وصل إليه من مقابلة الإساءة بالإحسان، ومعاملة الناس بخلقٍ حسن، والصبر على أذاهم بالحكمة والمعروف.



مديرتي جبانة...

لا تخشى فقط من أن يبوح أحدُهم بكلمة حقّ في شركتها، بل تخشى أيضاً من أن يرى صاحبُ الحقّ في شركتها ومع موظّفيها.



مديري الغافل...

لا يتّقي المخاطر في شركته إلا بعد أن تقع المصائب، فيقول يا ليتني قدّمت لشركتي... والأسوأ أنه يلوم الموظفين في حلول المصائب ليحفظ ماء وجهه ويذلّ من لا حول لهم ولا قوة.



لا أستطيع احترام مديري...

وهو على هذه الحالة من الكسل. لا أستطيع احترامه وأنا أرى البلبّة على وجهه.. لا أستطيع احترامه وأراه يحرم الموظفين من بعض الضيافة الأساسية وهو يخزن من الحلويات في دروجه ما يكفي الموظفين شهوراً.



أكثر ما يضحكني في مديري أنه يسرد نقاطَ ضَعْفِهِ أمام جميع الموظفين كبيرهم وصغيرهم.

⁹³ سعيد البدوي: المدير المالي في شركة دانا لصناعة البلاستيك في عجمان- الإمارات العربية المتحدة.

⁹⁴ عمر رافعي: صاحب ومدير مركز البراق لخدمات الطباعة والتصوير، طرابلس، لبنان.

⁹⁵ سورة فصلت، الآية رقم 35.



عندما تصير مديراً، انتبه إلى كل كلمة تقولها ولا ترمي الكلام عشوائياً فتظلم الموظفين بادعائك أنك قلت أو لم تقل.



ما أشد فظاظة ذلك المدير الذي يقول للموظف بنية تشجيعه: "لم أر من عملك شيئاً" ذلك أسلوب حقير يتبعه المدراء أحياناً ظناً منهم أنهم يشحذون الهمة في الموظف، مع أن هذه الكلمات قد تؤدي بهمة الموظف إلى أسفل الأرض وقد تؤدي إلى أن يترك العمل مباشرةً ويبحث عن يدرك قيمة عمله.



مديري إنسان...
يهتم بما اعتري العاملين من نوائب الزمان، فيعين على النهوض بالنفس وإصلاح الحال.



مديري أخ وأب وصديق...
يُنصت للهَمَّ عند الضيق، ويعين محتاجاً، ويرعى صغاراً.



مديري كريم...
يعوّض بعد الخصم ويطيّب خاطر.



مديري مُصابٌ بعقدٍ نفسيّة...
ينتقدُ بهدف الانتقاد، ويُنظرُ بهدف التنظير، ويسألُ بهدف السؤال، ولا يدري لم يفعل ذلك إلا أن يثبت أنه مدير.



مديري أعمى...
يطلب مني إنجاز خطة ثم لا يقرؤها، ويقول لي سريعاً أن ابدي بها تبدو جيدة، ثم يحاسبني على خطة أخرى مرسومة في رأسه وينسى الخطة التي كنت قد قدمتها ووافق عليها.



أكره ما كرهته في صحراء العرب المُترَفّة هو العملُ لدى مديرٍ غيبيّ صنعتهُ المظاهرُ والألبسةُ الحريريةُ ثم تظاهرَ بالرّشدِ والذكاءِ ووَبَّخَ هذا وذلكَ على قيامهم بعملٍ صائبٍ لم يفهمه لشدّةِ غيابه.



أسوأ ما قد يصيبُ الشركة... مديرٌ مصابٌ بجنونِ العظمة.



من نقاطِ قوّةِ الشركة:

- ∞ وجودُ بيئةٍ تقنيّةٍ متماسكةٍ تضبطُ سيرَ العملِ من خلالِ نظامٍ واحدٍ لجميعِ العمليّات.
- ∞ حُسْنُ اختيارِ الموظفين والانسجامُ الفكريُّ بينهم رغم اختلاف جنسيّاتهم.
- ∞ مواكبةُ التطورِ الصّناعي واتّباعِ سياسةِ التحسين الدائم للمنتج.



من نقاطِ ضَعْفِ الشركة:

- ∞ عدمُ وجودِ نظامٍ للبيئةِ الداخليّةِ يحدّدُ الحقوقَ والواجباتَ وعدمُ وجودِ مقياسٍ لأداء الموظفين.
- ∞ غيابُ مبدأِ التخطيطِ الاستراتيجي ومبدأِ الحوافزِ والاجتماعاتِ الإداريّةِ.
- ∞ عدمُ وجودِ نظامِ رقابةٍ فعّالٍ في الشركة وفي المخازن.



خطأٌ مشتركٌ في كثيرٍ من الشركات الناشئة:

اعتبارِ التسويقِ المباشرِ والتسويقِ الإلكترونيّ خطوةً لاحقةً تقومُ بها وترصدُ لها ميزانيةً بعد اختبارِ نجاحِ الشركة، ظناً منهم أن الشركة ستنتجُ أصلاً دون تسويق.



لا خصام في العمل، فالمصلحةُ أولى والواجبُ مفروضٌ سواءً إن كانتِ الألفةُ قائمةً أم لم تكن.



لو لم يكن في عمله يلقى مَنْ رُوِيتهُ تسرُّ العينِ لما تمسَّك به.



يعطي الموظفُ وقتَه ومؤهلاتِه وهدفاً من المبيعات مقابلَ أجرٍ واحترامٍ يحفظان كرامتَه وطيبَ محيَاه.



كفَّةُ نجاحِ الحاكمِ هو المستشار.



فرقٌ شاسعٌ بين أن تخطِّطَ لمستقبلِ عملِكَ بناءً على طموحاتٍ وبين أن تخطِّطَ بناءً على وقائعٍ و ضماناتٍ وأهدافٍ قابلةٍ للقياس.



أن تعملَ في أي بابٍ للحلالِ من خدمةٍ أو تجارةٍ أو فلاحيةٍ أو صناعةٍ...
يعني أنك تقومُ بتسييرِ مصالحِ الناسِ وأنهم يتداولون النعمَ بفضلِ جهدك ومثابرتك، فكلُّ خيرٍ يرزقونه لك فيه ثوابٌ وربما منفعةٌ وكلُّما استثمرَ أحدهم مصالحتَه في البرِّ كان لك نصيبٌ من الثوابِ والدعاءِ. فافرح بعملِكَ وافخر بالتعبِ الذي تشعر به كل يومٍ واعلم أنك من أصحابِ المجدِ حاضراً ومستقبلاً، وأن ما من أحدٍ طلبَ الزيادةَ في حرثه إلا آتاه اللهُ منه وأعانه عليه.
أخيراً ودائماً لا تنسى أن الله لا يضيع أجرَ من أحسنَ عملاً. ذلك وعدُه لنا وما كان من هو أوفى بعهده من الله.



قيادةُ البشرِ لا تعني قهرهم ولا تعني تلبيةَ كاملِ طلباتهم...
تعني استخراجَ تلكِ الطاقةِ الكامنةِ في نفوسهم وتوجيهها نحو عملٍ وإنجازٍ حتى يستطيعوا تطويرِ العملِ بأنفسهم.
تعني الأخذَ بأيديهم وترتيبَ أفكارهم والاستماعَ لطموحاتهم ومساعدتهم على تحقيقِ أهدافهم، ثم مشاركتهم النجاح.



لن تستطيعِ تولِّيَ أمورهم حتى تتولىَ أمورَ نفسك وتتغلَّبَ على مخاوفِكَ، فصدقك مع نفسك هو الاستقرار الذي يمنحك الحكمةَ عندما تتخذُ قراراً في حقهم.



لا تهرب من عملٍ قد يمنحك مكانةً تأمر فيها بالعدلِ وتمنحك التمكين في الأرض، ففي أحيانٍ كثيرةٍ تتمنى لو تكون خليفةً حقاً في الأرض تأمر فيها بالمعروفِ وتنهى عن المنكرِ لكن تشتكي ألا قوة لك ولا حيلة، حينئذٍ تعرف فضلَ المكانةِ وقيمةَ تولِّيَ أمورِ الناسِ وجعلهم يطيعونك فيما يرضي الله.



العقاب ليس ظلماً أو ضرراً، بل من أقوى وسائل تهذيب النفوس وتأديبها.



المستشار السيئ من يعطي مديره فسحة واسعة من الوقت ليفكر في اتخاذ قراراته وهو يعلم أنه يُغرقه في أوهام لن يخرج منها إلا خاسراً، ولو كان مستشاراً ناصحاً لقدم تفسيراً وحلاً ولنفّذ أمراً.



موظفوك...

وكلُّ من يعمل لديك، ليسوا مضطرين لأن يكونوا خارقين حتى تعطيم أجرهم عن طيب خاطر، فهم يأخذون أجرهم على وقتهم المخصص لك أولاً وعلى مؤهلاتهم التي جاؤوا بها من منازلهم، ثم على المهام التي تكلفهم بها، فلا تطالبهم بإبداع ربما لم يكن بوسعك أنت.

موظفوك...

ليسوا وسيلة لتحقيق طموحاتك.



إذا كنت قد أسست شركتك منذ شهور واحتملت التكاليف الكثيرة مقابل الإجراءات القانونية وتتوي الآن الاستعجال قدر المستطاع لاستدراار الربح، فأنا لست مضطراً كموظفٍ جديدٍ لأن أستعجل معك وأزيد ساعات عملي وأنهك لأتبي استعجالك.



الأجرُ المتدني قد يبدو من صاحبه صمتاً، لكنه قد ينفجرُ حقداً يوماً ما.



لم تأخير الأجر؟ لم؟ لم تجعلونا عمالاً كالعبيد؟

كم وكم علينا أن نصرخ في وجوهكم: "أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه"⁹⁶ هل بات علينا أن نكتبها على جبيننا، أو نكتبها في عقودٍ ونختمها بالمواثيق والأختام؟ ما الحلُّ في أن ينال المتعب أجره فور تأدية عمله؟

لا بارك الله في كلِّ من عليه أجره ولم يؤدّها في وقتها.



⁹⁶ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه)، وفي رواية: (حقه) بدل (أجره) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني. وفي سياق هذا المعنى يقول أبو هريرة عن النبي ﷺ: (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ عَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُؤْفِهِ أَجْرَهُ). البخاري، ابن ماجه.

ليس عدلاً أن نستخف بمن عمل لدينا ونتفضّل عليه بتطوير مهاراته مقابل أن يعمل بلا أجر، وحتى لو بدا منه الصمتُ فلا يعني أنه راضٍ عن ذلك، بل ربّما أجبره حبُّ التعلّم أو سوءُ ظرف أن يرضى بالاستخفاف لمدة ما... تطول أو تقصر.



كقائد لهم...

عليك قيادتهم وتحفيزهم وتسيير أمورهم وتوجيههم وتدريبهم وتصحيح أخطائهم، أي عليك المبادرة إلى ذلك لا الانتظار حتى يهّبوا في وجهك فترد الفعل ولا الانتظار حتى تنام ضمائرهم فتحاول إيقاظهم.



إذا لم يكن لعملك منتجٌ مميّزٌ فكل المنتجات الأخرى قد تستفيد منها لفترات ما تلبث أن تنتشت وتذهب هباءً. فاعتمد على تقوية أساسات مزرعتك ومصنعك ثم فكّر بالملحقات.



في أحد الاجتماعات، يعرض المديرُ على موظّفيه بكلّ غباءٍ تعديلَ الدستور، وأسألُ نفسي: كيف تسمّيه دستوراً إذا لم يكن ثابتاً؟ ومن يحقّ له التعديل فيه أصلاً؟



وجب الفشل...

عندما تغلب الاستثناءات القاعدة العامة...
عندما تغلب المحسوبية عند إسناد الوظائف ومنح الترفقيات...
عندما تزداد المبيعات وتكثر الخسائر...
عندما تختلط المهام بين أجير ومدير...
عندما يرمي كلُّ صاحبِ فشلٍ أسبابَ فشله على زميله...
عندما يغرق الموظف في الروتين...
عندما يغيبُ التخطيط الاستراتيجي ويغيب الثواب والعقاب...
عندما تغيب هوية الشركة...
والأهمُّ من ذلك كلّهُ الإصرارُ على التكبر على الفشل... فالفشل قد يهزمك... وقوته غالباً أقوى من قوتك إذا لم يكن لديك إيمانٌ يفوق قوّته.



ليس من الضروري أن يكون الفشلُ هو إفلاسُ المؤسسة، فالفشلُ قد تستمر معه الحياة والعمل، لكن ستكون أمرٌ حياةٍ يعيشها أصحابُ العمل.



وما معنى الإيمان في مجال الأعمال؟

معناه أن تكون مطمئناً أن "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا"⁹⁷ وأن عملك عبادة، ونجاحك توفيق من الله ومكانتك فضل يحق به عليك أن تسجد شكراً لله كل يوم، ومعناه أيضاً أن تكون متواضعاً لمن يعملون معك... متكاتفاً معهم وتشدد على أيديهم وتحرص على حقوقهم المادية والمعنوية كما تحرص على حقوقك، ومعناه أن تأكل من طيبات الرزق وتبتعد عن خبائثه وكل ما رابك أو أربك ضميرك.

من معاني الإيمان أيضاً أن نجاحك من نجاح زملائك ولا يعني أن تنزل إلى مستواهم أو تدوس على أكتافهم لتعتلي ويسفلون، فهم إن سفلوا ماتوا وماتت مصلحتك.



صاحب المال ليس بالضرورة أن يكون مديراً، والأولى به تقديم الأكفأ منه على الإدارة.



لا أعطّل مصالح الناس إذا لم يعجبني أجري في العمل، ولا أدع مهمة تقف عندي قد تكون رزقاً لأحد ما بسبب أن أجري متدنٍ أو أن سير العمل لا يعجبني. وإن كان لابد من التغيير فليكن تغيير العمل فذلك أولى من تعطيل مصالح الناس.



ليس إرضاء الموظف حلاً إن كان الموظف مخطئاً، وليس إرضاءه حلاً إن كان عنيداً، ولكلّ مقام مقال.



عملي في غير كاري...

دخلت ذلك المكان وأنا أدري ألا مكان لي فيه، وما ظننت أن الأخطاء ستعيدني إلى حالة من عدم الثقة، وأن الإفلاس أقرب من التّماء. لكنني تأملت في نجاح غير مضمون وفي وعود تقولها أرباب العمل، وعود كانت أقرب إلى الخيال من الحقيقة. فاستمررت وكابرت وأقحمت شخصيتي في تحليل نقاط ضعف وقوة محاولة إيجاد منافذ وسبلاً للنجاة من الغوص أكثر في حفرة انهيار الشركة. كنت ناجحة أحياناً وفاشلة أحياناً، ورأيت نفسي على غير العادة موظفة عادية يرسل لها مديرها التنبيهات أحياناً! وكثرت أخطائي التي لم أكن أعرف دائماً سببها ولم أفهم لم هي خطأ أو صواب، فالكار لم يكن كاري وما خبرته في حياتي، لذلك كنت مضطرة دائماً إلى السكوت والقبول بالتوبيخ.

كنت أعد ساعات الدوام، وأعد أيام الأسبوع، وأفرح كلما مضى أسبوع على صبري، والشهر في حساباتي سنة. في الوقت ذاته لم أكن أملك خياراً سريعاً أو بديلاً في ذلك الوقت من الزمن، فقد كان زمناً صعباً والرزق فيه محبوس والخير شحيح، لذا كان الصبر أقرب إلى الحفاظ على الكرامة من البحث عن عمل في الطرقات أو سؤال الناس.

⁹⁷ سورة هود، الآية رقم 6.

أدركت حقاً بعد تلك التجربة وتجارب أخرى سابقة أن ما باعدني عن أهدافي أكثر من أن أعمل في كار غير كاري. وأدركت أن التعب الحقيقي حينما تتعب في غير هدفك أو أن تتعب دون استمتاع منتظراً من الأيام أن تنتهي لينتهي العمر وينقطع التعب.



"وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا"⁹⁸

كذلك يحدث عندما تعمل في مجال لا خبرة لك فيه، وتحسّ بالانخناق والغضب من أيّ شيء في ذلك المجال دون أن تدري هل أنت محقٌّ أم لا. فكيف تصبر على ما لم تحط به خبيراً؟ اذهب إلى ما خبرته وعش بين ما علمته أو كن مستعداً على أن تصبر لتخبر ما لم تكن تخبره.



نصفُ الخبرة كعدمها.



لا أزال أرى المركزية تخربُ على المؤسساتِ تماسكها.



كمدبرٍ لهم...

عرّفهم بمن جاءهم ليكون زميلاً جديداً في فريقهم ولا تترك الضباب يحوم حول شخصه كي لا يظلموه ولا يظلمهم، فمن حقهم أن تشتعلَ الظنونُ في رأسهم، وكلّ منهم يظنّ حسب أخلاقه وسلامة قلبه... وما أكثرَ السفهاء.



في غابة الأعمال...

لا تعجب من أن تلقى إيذاءً دون فعل سيئٍ بدر منك، ولا عجب في تلقى اللطمات دون أن تدري من أين وما السبب، قد تكون حركاتٍ وقائيةً أصلاً لكي يحمي كلُّ صاحبِ مصلحةٍ مصلحته، وكلُّ يحمي نفسه حسب أخلاقه وسلامة قلبه... وما أكثرَ السفهاء.



تخيّر الوقت والطريقة المناسبين لإعطاء الأمر للموظف، ثم اسأله إن فعل ما أمرته أم لم يفعل. فطريقة الأمر تؤثر في سير العمل وسرعته تأثيراً بالغاً قد يوصل الفريق إلى النجاح أو الفشل. قم أولاً بتحديد أوقات الأوامر قدر المستطاع، ولا تلق الأمر في ساعة ازدحام المستندات واستقبال العملاء، فربما جمعت ما لديك من ملاحظات صباحاً وأرسلتها دفعةً واحدة تاركاً للموظف مجالاً

⁹⁸ سورة الكهف، الآية رقم 68.

بمراجعتها طول النهار، أو ربّما قمت بتحديد المهام اليومية وإرسالها مكتوبة أو تعليقها على حائط يراه الجميع لتساعدكم على تحديد أولوياتهم وما يهّمك أن يساعدوك في إنجازهم، فذلك أفضل من أن يقوم الموظف بمهمة روتينية غير عاجلة وتكون أنت بانتظار مستندات عاجلة فتكون النتيجة شجاراً على لا شيء! هو يظنّ أنه أنجز مهمّته وأنت تراه مقصراً أن لم يخمّن ما تنتظر منه.

من المهمّ أيضاً ألا تصدر التعليمات ساعة الغضب أو التوتر، حينها سيعلم الموظف أنّها ساعة فورة وأنّ ما تقوله ليس جاداً ولن يلقي له بالاً، ثم تتشاجران لاحقاً.

ثانياً عليك معرفة الطريقة الأجدى في إيصال التعليمات: هل هي الهاتف أم وسائل التواصل الاجتماعي أم البريد الإلكتروني أم الكلام الشفهي المباشر أم الحمام الزاجل؟ وتذكّر أن كلّ ما كُتِب حُفِظ، وكلّ ما قيل امحى، فلا تلم موظفك عندما تقول له وينسى.

وأثناء كلّ ذلك لا تنسى ما هو عاجل أو غير عاجل، كي يعلم الموظف ما يجب أن يبدأ به وما يمكن عمله لاحقاً، فسير العمل في غير ترتيب يرهقه ويرهقك ويستنزف من جهد ووقت كلّ منكما. عدا عن الشجار والاتهام بالتقصير في غير محله.

ما رأيتُ شركةً فيها طابقيين ويتوزع الموظفون بين المكاتب أعلى الدرج وأسفله، وكانوا كلّما أرادوا السؤال أو الإخبار عن شيء نادوا لبعضهم كما يفعل البائعون في سوق الخضار، فتخيّل -رعاك الله- كم كانت تُفقد المعلومات عند انتقال الأصوات العالية وكم كانت تكثر المشاحنات بسبب أن أحداً قال والثاني سمع أو لم يسمع، والآخر فهم أو لم يفهم. أمّا عن مقاطعة الحديث حدّث ولا حرج، وسيل الاتهامات بمن أخطأ مسلسلٌ يوميّ كنا نعيشه كعادةٍ يوميةٍ حتميةٍ كانت تسبّب تلف الأعصاب وإهدار الوقت وتثبيط الآمال.



بائعو الكلام... ما أكثرهم في عالم الأعمال.



كم هو سيئ أن يكون لك مدير لا يقوى على الحقّ أمام المال، وترجّح كفة المال عنده في ميزان العدل، فإذا وجدت نفسك تحت إمرة ذلك المدير لا تتباطأ بالاستقالة ولا تنتظرن مذلة أو مظلمة.



لا تجرّب أن تكون جزءاً من خليط متجانسٍ لا تعلم أصله، فالأشرفُ لك أن تبقى وحيداً.



ليس من الذكاء أن تخبرني في المقالة بمهام وبمسمّى وظيفي ثم أكتشف أشياء أخرى وقت العمل.



أكادُ أو من ألامكان للحبّ في عالم الأعمال.



من حقّ كلِّ موظّف أن يعلم مسماه بين زملائه وهل يتوافق المسمّى مع مسؤولياته أم لا، ومن حقّه أن يعلم مع من يتواصل مباشرةً ومن يطالب وكيف يتواصل، وبعد أن ينال تلك الحقوق يستحق العتاب إذا قصر أو تلاعب ضميره.



ليس الحلّ في أن تزيد ساعات عملك كي يرضى مديرك.



زجرُك القاسي لهم دائماً على أخطائهم يزيد خوفهم من الخطأ ولا يزيد الجراءة على الإصلاح، فيرمون عليك مسؤولية تدقيق عملهم كي لا يخطؤوا.



التوسّع في التجارة دون دراسة للأصناف المتداولة هي الخسارة في عينها، وقد يجر التاجر الطائش أذيال الخسارة سنين طويلة يدفع فيها ثمن توسّعه الذي كان أمّله في أن يبني قصوراً.



بئس الاحترام إذا لم يكن فيه احترام لملكة الموظف ومؤهلاته وخبراته ووقته!
فليس الاحترام ألا نزرع الموظف فقط، بل هو تقدير لكل ما فيه من صفات إنسانية، والاحترام أولاً يُطبّق حين لا نجعل الموظف عبداً أو ملكاً للشركة، حينها يكون للاحترام قيمة.



الصراخ الدائم بين الموظفين ومناداتهم لبعضهم يخلق ضوضاء لا تحتمل، ربما تضاهي ضوضاء المدينة، فتسبب قلة التركيز والتشويش وعدم قدرة الموظفين على إنجاز مهامهم. كما تسبب نقصاً في وصول المعلومات وبالتالي كثرة الأخطاء، فهذا يقول قلت لك والثاني يقول لم أكن أدري.



من المديرين من ينطبق عليهم القول: "الحمار لا يصدق حتى يرى"
ولو أنني لا أؤمن بصحة هذا المثل لكنني لم أجد وصفاً أدق.



من أخطاء المدير...

- أن يعتقد بعدم كفاءة موظفه إذا لم يكن يعيش تحت ضغط شديد، فيزيد عليه المهام -دون النظر في إمكانية اضطراره بها- فقط ليرضي ضميره بأن هذا الموظف يعيش تحت الضغط ولا يملك وقتاً للتخطيط أو التفكير في عمله.

- إمهال الموظفين إلى حدّ أن يعلموا أليس هناك حدٌ للمهلة، فيتمادون في الغلط والاعتذار، والغياب والحضور، والتقصير وعدم إتمام المهام.
- السمعُ من الموظفين دون الإنصات، والجدال دون حكم في الأمور.
- توكيل المهام إلى الموظف المؤتمن والابتعاد عن غير المؤتمن، فيصبح المؤتمن آلةً تعمل ليل نهار والآخر يعيش في راحة البال بسبب قلة أمانته.



إذا أردت أن تقيّم أداءك في العمل لا تسمع لتقييم مديرٍ غبيٍّ ولا تلقي لانتقاده لك بالاً، لأنّه يثبّط بدل أن يدفع للأمام ويضع تقييمه الخاطيء في الموضع الخطأ وفي الزمان الخاطيء، خاصةً عندما يكون غافلاً عن مراقبتك ولاهياً في مكان بعيد عن العمل ثم إذا رأى موقفاً عابراً بنى عليه تقييمه.



قد يفوتك الكثير من المشاريع والأعمال الكبيرة لسببٍ بسيطٍ أنك لم تكن تملك دقيقةً من وقتك لتفكر في فائدة تلك المشاريع، فرفضتها وتابعت انغماسك في عملك الشاق اليومي الذي يسيطر على وقتك وفكرك وجهدك، وفضّلت أن تبقى تحت ضغطٍ يقتلك رويداً رويداً على أن تعامر في فتح بابٍ جديدٍ قد يكون باب رزقٍ ونجاح.

فبعد سنوات من الضغط المتواصل ستدرك معنى الاستراحة التي تمنحك الفرصة لتتفكر في عملك ونفسك وفي رضا الله عن عملك، وستدرك أن هذه الاستراحة لو اغتنمتها قبلاً لكانت خيراً كثيراً في مستقبلك.



شروط المراقبة الفعّالة في المؤسسة...

لابدّ أن تكون في الوقت المناسب، وأن تستخلص منها الثواب والعقاب، وألا تغالي المؤسسة في تطبيق المراقبة لأنها تُفقد الإنسان مبادرته الشخصية وانطلاق إنسانيته في العمل.



ضغط العمل والمشاعر وما بينهما....

أصعبُ ما يمكن ضبطه بين الموظفين: التقارب بين الذكور والإناث، والاختلاط الذي ينجم عنه علاقات متذبذبة، لا هي تنهي حالة التعب ولا تترك للمشاعر مجالاً لأن تهدأ. وحين تقع تلك المشاعر يصعب على أحد الطرفين الاستمرار في العمل، فإما الاستمرار بكل جفاءٍ وإما الانفصال ثم الاستقالة. فخذوا حذرکم واعتبروا وليستتر كلٌّ وراء حاسوبه حتى يقضي الله الحاجات.



فرح مهلك...

ربّما خسرت ما خسرت لما انتابني من شعورٍ بالعظمة أنني ربّة عمل، وأنني أعطي بدل أن أعطى، فقد كان ذلك شعوراً مهلكاً ومفرحاً في الوقت ذاته أودى بي في بعض الأحيان إلى أن أصرف المال في غير أمر الآخرة. فبئس الصّرف في الحياة الدنيا! وليهلك الفرحين بأموالهم إذا هم ما ابتغوا فيها الدار الآخرة!



جميلٌ أن يرى الجمهورُ رسالتك ورؤيتك وقيمك في إعلاناتك.



زميلتُك في العمل هي موظفة وعاملة، وما اضطرت للعمل مثلك إلا لأنها في حاجة إلى هذا العمل. فعاملها بالعدل والإحسان حتى ترى منها حاجة للمساعدة، فإن ألحّت عليك إنسانيتك أن تستفسر عن حالها فلا تقصّر واكتف بالسؤال من بعيد إن لم ترّ الحاجة ملحة. وتذكّر دوماً أنها أنثى، تعمل نصف الشهر بنشاط ونصفه الآخر تكتّم فيه أوجاعها وترابط على نفسها الأليمة، في حين أنها لا تستطيع إظهار ذلك أمام زملائها الرجال، لأنها لو أظهرت ضعفها ثانية واحدة لتكالبتم عليها كلكم بالاستهزاء أو الشفقة.

تذكر أن قد يكون أبوها شيخاً كبيراً، وأن ليس لها من المال ما يحفظ كرامتها، أو ربّما ليس لها ذكر يشرف على نفقتها فقدّر الله لها أن تكون وليّة نفقتها لأسباب قد تصل إلى السبعين سبباً أو أكثر. فلا تظلمها وتجنّب الظن فيها ومراودة النفس في أمرها أو تبهيتها، خاصة إذا كانت مستورة الجمال عفيفة غنية بنفسها.



ازدواجية المهام...

إن قيام الموظف الإداري الواحد بعدة عمليات من محاسبة وإنتاج وإشراف وإدارة يزيد ضغط الأعمال عليه ويؤثر سلبياً على إنتاجيته وعلى ردة فعله مع من حوله، ولا يخفى حتماً ما للضغط تأثير على حياته الخاصة -التي تكون غالباً محطّمة.



لماذا تعيش بين القبور وتتوسع في عملك بشكلٍ غير قانوني؟
أهانَ عليك شعورُ المخالفة ودفعُ الضريبة؟



أتعجّب كيف للمال أن يصنع أرباباً أغنياء يشتررون المعامل والشركات ويوزعون الأموال وهم لا يدرون القراءة!



أنصاف المهام...

إن قيام الموظفين بأنصاف المهام أو ثلاثة أرباعها لا بد من أن يحتمل المدير عبئاً كبيراً لإتمامها، واللوم في نهاية المطاف يقع على المدير الذي لم يستلم من الموظف تقريراً عن كامل مهامه.



تخطيط عشوائي....

كيف تخطط لمستقبل عملك ولا تدري ما الأخطار المحيطة بك حاضراً ومستقبلاً؟
كيف تحلم بتوقعات بعيدة غير متصلة بالواقع؟
والواقع أنك تخطط لفشلك.



من المخاطر التي قد تحيط ببيئة العمل...

- € توظيف عناصر غير مؤمنة على سرية معلومات الشركة وترك الحرية لهم في الاتجار مع عملاء خارج الشركة، فيما تقوم تلك العناصر باستغلال الشركة لتسهيل عمليات العملاء بالدين، وتقوم بالتعامل مع الزبائن النقديين بشكل خارجي.
- € التخطيط لمستقبل الشركة على أساس أهداف غير قابلة للقياس.



Mohamad Oussama Al-Chalak

H.R & Administration Manager في Sun...

5d

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) قُورِبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطُقُونَ

أزمة إقتصادية، أثرت على أرباح صاحب العمل فاعتبر نقص الأرباح خسائر. فجأة صار الموظفون شركاءه، وواجههم أن يتحملوا هذه الخسائر، تسريح، مهام إضافية، ضغط المصاريف (المتعلقة بالموظفين فقط وليس مصاريف صاحب العمل الخاصة). تدهور برواتب الموظفين بسبب التضخم. لماذا لم يكونوا شركاءه في أيام الإزدهار والأرباح والرخاء؟! من يتقوه بطلب تحسين وضعه، اتهم بولائه، وعدم تفهمه للظروف، وعرض نفسه للإستغناء عنه وجعله عبرة لغيره، الذين سيقومون بمهامه بكل رحابة صدر حتى لا يلاقوا مصيره. وليحمدوا ربهم أن صاحب العمل مازال يصرف رواتبهم.



توصياتي لبيئة عمل مستقرة:

على الصعيد الإداري:

- ✓ ضرورة فصل الإدارات عن بعضها.
- ✓ تفعيل دور مشرفي العمال في مراقبة العمل والإنتاج بدلاً من توكيل المهمة فقط إلى مدير الإنتاج.
- ✓ ضرورة النهوض بقسم الإنتاج وتلبية مطالب الزبائن والمندوبين والعملاء.
- ✓ الفصل بين مفهوم الإدارة وامتلاك رأس المال حيث من المستحسن أن يكون المدير التنفيذي أو مدير العمليات يختلف عن صاحب رأس المال وأن تكون بيده صلاحيات إدارية.
- ✓ عدم التعامل مع الأزمة في إطار من العشوائية والارتجالية أو سياسة الفعل ورد الفعل، بل يجب أن يخضع التعامل مع الأزمة للمنهج الإداري السليم وحماية الكيان الإداري من أي تطورات غير محسوبة قد يصعب عليه احتمال ضغطها.
- ✓ تحليل أسباب الأزمة المالية وتطورها.
- ✓ تفويض السلطة: يتطلب منح كل فرد من أفراد الشركة المناط به معالجة الأزمة السلطة الضرورية لتحقيق عمله المحدود، وفي الوقت ذاته على الفرد أن يعرف المهام والأنشطة التي يتوقع منه إنجازها.
- ✓ التواجد المستمر في مكان العمل (قلب الحدث) حيث لا يمكن معالجة الأزمة وهناك تغييب للمعلومات الخاصة بها لدى متخذ القرار.
- ✓ إنشاء عقد عمل واضح ومحدد يبرز الاتفاق بين المدير والموظف الجديد مع شرح الوصف الوظيفي للموظف قبل البدء بالعمل.
- ✓ تحفيز العمال من خلال إعطائهم منافع عينية.
- ✓ اختيار الموظفين على أساس الكفاءة.
- ✓ الاهتمام بقسم الموارد البشرية، لتحقيق استفادة أكبر من مؤهلات الموظفين والعاملين ووضع الخطط لتدريبهم واستخراج طاقاتهم.
- ✓ عمل اجتماعات مصغرة أسبوعية قصيرة لترتيب ما هو مهم وعاجل.

✓ استلام تقارير يومية من الموظفين عن مهامهم وأين وصلوا بها.

على الصعيد الاجتماعي والثقافي للشركة:

✓ تحديد ثقافة واضحة للشركة.

✓ الاهتمام بالإعلان والتسويق، وذلك بتخصيص ميزانية لتلبية متطلبات التسويق والمشاركة في المعارض المحلية والدولية.

✓ الاعتماد على المنتج المميز، فالعمل إذا لم يكن له منتجٌ مميزٌ فكل المنتجات الأخرى قد نستفيد منها لفترات ما تلبث أن تنتشت.

✓ التعريف بالموظفين الجدد أو المندوبين الجدد كي ينالوا حَقَّهُم من التعامل باحترام.

✓ تنبيه مدراء الأقسام إلى الأوقات المناسبة لإلقاء الأوامر وكيفية إقائها والوسيلة المناسبة لذلك.

✓ عدم زيادة ساعات العمل لبلوغ إنتاجية أكبر.



أكثر ما يريحني في مقابلة العمل، أن يقال لي ستكون ساعات العمل كما ينصُّ القانون لا كما يحتاج ضغط العمل.



أن تعمل في بيئة عمل مستقرة فتلك نعمة لا تشعر بها إلا حينما تعمل في بيئة عملٍ غير مستقرة... حيث تكثر المشاحنات والمجادلات والمخالفات والعقوبات والتساهلات والشفاعات والخصومات والتأخيرات في المواعيد والرواتب. إضافة إلى ما يجزره كل ذلك من مشاكل إلى البيت والحياة الاجتماعية جرّاء ضغوطات تحتملها لا تستطيع إزاحتها ولا العيش معها.



حياتك أعلى من أن تكون عبداً لعملك...

من أنواع الحياة القاسية أن تكون عبداً لعملك، وتقتل حياتك لأجله ولأجله تنسى حقّ نفسك وحقّ عبادتك. فتلغي المتع ووصل الأحباب وعمل المعروف والسّياحة وحتى طلب العلم، كلّ ذلك تلغيه لأجل عمك الدنيوي الذي يدرّ لك ربحاً لا تدري ما تفعل به في المستقبل. والأسوأ أن تكون موظفاً لربح غيرك ولا تُرزقُ أنت إلا القليل، حينها تأكد أنك ستكون عبداً مرتين، مرة لعملك ومرة لربّ عمك.

لا أنكر أن هناك أوقات تضطر فيها لأن تعيش تلك الحالة حسب ظروف العمل، لكن لا تدع تلك الأوقات تطول، وأعطِ كل ذي حقّ حقه قبل أن تخسرَ شبابك وصحتك وحياتك.



في مقابلة العمل:

- ألدك قاعدة بيانات؟
- أجل، قاعدة ضخمة.
- ممتاز!! إذا سنستفيد من تلك القاعدة... والراتب الشهري هو كذا!!!
- (هل تظن أنني أمضيتُ خمسَ سنواتٍ في إعداد قاعدة بيانات ضخمة كهذه لأقدمها لك على طبقٍ من ذهب؟ مقابل هذا المقدار الخسيسِ من المال؟)



تحترمُ الشركةُ كيانها حين لا تعتبرُ ضغطَ العملِ فرضاً أساسياً على الجميع، وحين تحاول معالجة الضغط أصلاً واقتلاع العراقيل.



هل الموظف والأجير معنى واحداً؟!



من أخطاء الشركات أن ترمي بفشلها السابق على الموظف الجديد، كأن يكون هناك مشروع قديم معرقلٌ ما عرفَ الموظفون القدامى إتمامه وكان مليناً بالأخطاء والعثرات من مختلف الجهات، ثم إذا جاء الموظفُ الجديدُ ليكملَ اللمساتِ الأخيرةَ وتأخَّرَ في تسليمه جاءه اللومُ كوابلِ المطر من المدير الذي نسي تقصيره السابق وتباطؤه وما أوصله إلى هذه المرحلة.



ربما كان من المناسب أن تكتب في عقد العمل أن على الموظفين احتمال رائحة دخانك.



في الحياة العملية الضاغطة، إذا وُجدَ يومُ العطلة فهو يومٌ للغسيل.



أصبح من الأفضل في أيامنا هذه أن يُكتب في إعلانات التوظيف: مطلوب سوبرمان أو سوبر موظف، لكثرة المسؤوليات والمهام التي صار يفرضها أربابُ العمل على موظفيهم، فلم يعد التخصص مطلوباً ولم تعد الشهادة تُؤخذُ في عين الاعتبار. كل ما يهمهم موظف خارق يتحمل كامل الأعباء مهما كانت: استقبالياً أو تسويقاً أو تنظيفاً أو إدارةً أو محاسبةً أو أي عمل كان، وكل ذلك بهدف توفير الأجور

واختصار المسؤولية واستغلال المقدرات أقصى استغلال بأسلوبٍ سلبيّ يلوي ذراع الموظف من جهة ويحجب الكفاءات الجديرة بالاحترام من جهة أخرى.



حين لا تريد أن تلتزم ببنود العقد في العمل (مديراً أم موظفاً) فتحتمل أخلاق الطرف الثاني، حسنةً كانت أم سيئة.



للعلامات التجارية قيمة لا تقلّ أبداً عن قيمة الصناعة المنزلية، وكما ترفع الأولى أسعارها فمن باب الأولى أن ترفع الأخرى أسعارها.



99



نقلاً عن الشابة جودي الفتال*100:

⁹⁹ نقلاً عن مشروع لمسة حمصية للأعمال اليدوية، للاطلاع: <https://www.facebook.com/groups/lamsahoms>
¹⁰⁰ <https://www.facebook.com/joudialfattal>

- 35 درساً تعلمته من العمل لعامين بدوام جزئي ثم عام ونصف بدوام كامل بوظيفتين مختلفتين:
- 1- إذا أردت أن تلتزم بعمل فأنت مجبر بالاستيقاظ قبل الثامنة. وهذا أمر لا مفرّ منه!
 - 2- وجبة الإفطار المبكرة في غاية الأهمية.
 - 3- دائماً هناك جوانب مشرقة في أي وظيفة.
 - 4- لا يمكنك أن تعامل صاحب العمل/المدير كما لو أنه أحد زملائك.
 - 5- عليك ألا تقدّسه أيضاً.
 - 6- تأكد من أهمية الاستراحة القصيرة في منتصف الدوام.
 - 7- حاول ألا يكون مكتبك تحت المكيف مباشرة ولا بعيداً عنه تماماً. في مكان ما في المنتصف.
 - 8- في أوساط العمل، تنتشر الإشاعات ويتم تناقل الأخبار. ابتعد عن هذا تماماً.
 - 9- تبدأ المشاكل والصدمات كبيرة ثم تصغر، لذلك حاول أن تكون هادئاً.
 - 10- في أي اجتماع أو نقاش أو محادثة بينك وبين المدير أو بينك وبين زميل، حاول أن تضبط أعصابك.
 - 11- القوة بالحكمة وليس برفع الصوت. تأكد أن أحداً لن يحترمك أكثر إذا رفعت صوتك.
 - 12- إتقانك لعملك وتقديم ما هو مميز يجعل صاحب العمل يتمسك بوجودك ضمن الفريق.
 - 13- إذا كانت إجازتك الأسبوعية يوماً واحداً، قدّم استقالتك فهذا خط أحمر!
 - بالتأكيد لا، إذا كانت إجازتك الأسبوعية يوماً واحداً، تأخر عن موعد استيقاظك اليومي حتى لو بنصف ساعة.
 - 14- الراتب ليس أهم عامل تدرسه عند قبولك لوظيفة ما، ولكنه مهم أيضاً. هناك أيضاً طبيعة العمل وأهميته بالنسبة لك وإمكانية التطور المهني وموقع العمل والكثير من العوامل الأخرى.
 - 15- يجب أن يتناسب راتبك- منطقياً وعقلياً وبديهيّاً- مع حجم العمل الملقى على كاهلك.
 - 16- أصحاب العمل الأثرياء- الذين ينصبّ تركيزهم على جمع المال- لا يفكرون بالطريقة نفسها التي تفكر بها لذلك حاول أن تطرح ما يهكم من الزاوية التي تهمهم. أي تعامل معهم بذكاء.
 - 17- لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين، ولكنك قد تضطر إلى تكرار بعض المواقف ولكن على الأقل بإدراك وبأسلوب آخر.
 - 18- كتابة قائمة بالمهام اليومية هو أمر جيد للتنظيم.
 - 19- لا تقل إنك ستنتذكر معلومة أو أي شيء قيل لك شفويّاً، دونه فوراً (خاصة إذا كنت تتلقى المعلومات من شخص ما على الهاتف، فبمجرد وضع السماعة تنسى كل التفاصيل).
 - 20- لا تتردد في الاعتراض على قرار مهم وخاصة إذا كان ضمن اختصاصك. في النهاية سيُلقي عليك اللوم لأنك لم تقل المعلومة في الوقت المناسب، وهو من واجبك المهني والأخلاقي أيضاً.
 - 21- لا تعتقد أن أحداً يهتم لمصلحتك.

- 22- لا ترفض تغييراً لمجرد اعتيادك على نمط معين، ادرس إيجابياته وسلبياته أولاً.
- 23- تأكد من أن كرامتك محفوظة في مكان عملك.
- 24- الخبرة الحياتية التي تكسبها من العمل اليومي لا تقل أهمية عن الخبرة العملية التي ستضيفها إلى سيرتك الذاتية.
- 25- استغل المهام التي تقوم بها في تطوير نفسك وتقوية جوانب ضعفك.
- 26- لا تعتقد أنك ستبدأ حياتك المهنية كمدير، لا بد من أن تمرّ بجميع المراحل السابقة، وهذا أمر يتطلب أعواماً.
- 27- لا تنتقد زميلاً بل الأخطاء التي يرتكبها؛ لمصلحتك ومصلحة مكان العمل.
- 28- الساعة الأخيرة للدوام هي الأصعب، حاول ألا تفقد أعصابك بسببها.
- 29- إذا كانت العشوائية هي الصفة السائدة في مكان عملك، لا تتخلى عن تنظيمك لعملك ومهامك الشخصية.
- 30- استغنى من جميع العاملين والموظفين ولا تستصغر أحداً.
- 31- عند وجود أخطاء عميقة في سياسة المكان الذي تعمل فيه، قدّم رأيك ومقترحاتك حتى لو ظننت أنها بدون جدوى.
- 32- لا تتخذ زميلك صديقاً ثم تعامله كصديق في أمور العمل. افصل بين السياقين.
- 33- العمل يوسع دائرة معارفك وهذا أمر إيجابي.
- 34- هناك أيام ستشعر فيها أنك تعمل بأسوأ وظيفة، لا تجعل هذه الأوقات العصبية سبباً لخسارتك لوظيفتك.
- 35- ستقابل شخصيات متنوعة بشكل هائل، ولن يكون هناك أحد يشبه الآخر، تعلّم من هذا التنوع التعامل مع كلٍّ من هذه الشخصيات.

لكلِّ امْرَأَةٍ فِي غُرْبَةٍ



أَنْصَحُكَ بِكُلِّ مَا أَحْمَلُ فِي قَلْبِي مِنْ قَسْوَةٍ بَالًا تَخْضَعِي لَهُمْ بِقَوْلٍ وَلَا تُثْقِي لاهْتِمَامِهِمْ بِالْأ...
وَسَأْظَلُّ أَكْرَرُ أَنْ اهْتِمَامَهُمْ لَيْسَ إِلَّا تَفْرِيعَ شِحْنَةٍ وَإِثْبَاتَ رُجُولَةٍ، كَمَا لَوْ أَنَّكَ رَأَيْتِ طِفْلاً فِدَاعِيَّتَهُ وَحَمَلْتِهِ
وَأَضْحَكْتِ مُحْيَاهُ حَتَّى إِذَا جَاءَتْ وَالدُّثَّةُ وَدَعْتَهُ وَقَلْتِ إِلَى اللَّقَاءِ يَا صَغِيرِي، كَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَحْدُثْ إِلَّا أَنَّكَ
سُرَرْتِ بَوْدَاعَتِهِ وَسُرَّ بِاهْتِمَامِكَ.
فَأَرِيحِي قَلْبِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ دَوْمًا فِي دِفَاعٍ عَنِ رَقَّتِهِ، تَصَدِّينَ بِهِ هَذَا وَذَلِكَ... وَهُمْ يَحَاوِلُونَ بَعْنَفٍ مُسْتَمِرٍّ
اِقْتِحَامَ حَوَاجِزِ الْأَنْوِثَةِ وَمَعَانِيهَا. فَلْتَفَرِّضِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمُ الْحِجَابَ، وَلِيَقْفُوا وَرَاءَهُ جَمِيعاً لَا يَنَالُونَ كَلِمَةً
مِنْكَ وَلَا ابْتِسَامَةً وَلَا نَظْرَةً وَلَا أَملاً بَوْصَالٍ.

لمن يسأل عن أخباري...

أنا ما زلتُ كما عرفتموني: سائحة، عازبة، باحثة، دارسة، عابرة، طموحة، راجية، راضية، كسيرة القلب.



مهما فعلتِ وقدمتِ من خيرٍ لنفسكِ وللآخرين يأتيك خِفافِ عقلٍ فيقولوا: ألا تريدان أن تقدّمي شيئاً ما لنفسكِ؟ كفاكِ سعياً وراء لا شيءٍ والتفتي لنفسكِ. وكأنّهم يقصدون بذلك "الزَّوجَ والطفْلَ"، وكأنّ للمرأة عملٌ صالحٌ واحدٌ في هذه الدنيا، أن تخدم الزوج وطفله!
فهل من العدل أن نُجِيفَ بحقّ المرأة هذا الإجحاف ونحرّمها من أيّ عملٍ صالحٍ آخر؟ وماذا تفعل من لم يقدر لها الطفل؟ أو لم يقدر لها الزواج؟ أترمي بنفسها من جرف عالٍ لتنتهي من حياة لا عملَ صالحٍ فيها؟

تجاهلي أسألتهم الفارغة واسمعي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" رواه مسلم.
أتوق لرؤية عملي الصالح، وهنيئاً لك إن أتممتِ الثلاثَ أعمالاً معاً.



أروع ما يمكن أن تسمعيه في غربتك وفي أشدّ أيام ضعفك، شهادة أحدهم أنّك كنتِ نبعاً بالنسبة لهم، نبعاً للأمل والإرادة ونبعاً للتفكير الجدي، وأنهم احتراموك لفرض احترامك عليهم بحشمتك وذكائك وبالنموذج الإسلامي الذي تعاملت به معهم، وأنه كان لديك القوة لتميز نوايا البشر تجاهك فعاملت النساء والرجال كلاً بما يناسبه وكنّتِ تسعين لبناء هدفٍ لك ولهم.
أما أروع من ذلك كله أن ينعّتك أحد ما رفيع الأخلاق بأيقونة النجاح. كم أتمنى أن يجعلني الله عند حسن ظنه وخيراً من ذلك.

@muhammad kreidi^{*101}



أنتِ لستِ أميرةً تُحملُ لها أطباقُ الرّاحة، بل أنتِ ملكة تحمِلُ همومهم جميعاً وتظلّ تصبرُ حتى يصبح الجميعُ في خدمتها.



كثيرون من قالوا: فعلتُ ذلك لأجلك "كرمالك"، وكم من مرةٍ حفرتُ في وجداني تلك الكلمات، فحين لا أكون قادرةً على ردّ معروفٍ ما فعلوا... كيف لي أن أعيشَ وفي ذاكرتي ما فعلوا لأجلي؟!!



^{*101} مترجم سوري تركماني، من الشباب أصحاب العهود.

لكلِّ امرأةٍ في غربة

كلُّ ما ينهار من أنوثتك، ضعيه تحت قدميكِ واستعلي عليه واشمخي لعظمتك التي نلتها بصدقك مع نفسك أولاً وإصلاح حال بينك، ثم لصدقك معهم واحترامك لحقوقهم ومساعدتهم لإصلاح حالهم. أما يكفيك كلُّ ذلك لأن تشمخي؟

حينما تنهار أمامك رجولتهم وتخضع شهوتهم لأمرك، فأنت في مكانة كرمك الله بها وفضلك على نساء كثيرات أضعن العمر بإبداء زيناتهن ونسين أنهن ملكات تذلّ لهن ملوك الأرض إن كنّ حقاً إناثاً. أما يكفيك كلُّ ذلك لأن تشمخي؟



أكادُ لا أصدق حقاً أن كلَّ ما كنتُ أعتقده في طفولتي خيلاً وجنوناً يبدو الآن حقيقةً أعيشها وأراها بكل جوارحي.



كلُّ شهر في الغربة أتمناه أسهل من السابق، ثم أكتشف أن كلَّ ما كان لم يكن شيئاً يُذكر والقادم أصعب والمفاجآت أكثر والتحديات أكبر، فهل سيزداد الصبر من الآتي الصعب المنتظر؟



هَبْ لنا من لُدُنكَ رحمةً... يا عليماً بهول ما بنته في نفوسنا الغربة.



لا تحتاج في غربتها إلى مواعظ وتنبهات وأعداد من التسيبكات، بل كل ذلك صار أساساً لا يستغنى عنه وما ينقصها معرفة كيفية التزام حدود الله وتقواه في سيل المواجهات اليومية مع الاختلاط والاحتشام وأذى الناس والمعاملات، فكل يوم هناك عشرات الرجال الذين عليها أن تقابلهم أو تحادثهم أو تنجز لهم الأوراق، وفي كل التفاتة لها تسأل نفسها ما إذا بان المعصم أو ارتفع الثوب أو لاح الجمال... وما إذا حملتها أخطاء فلان على استغابته... وما إذا رفعت شكوى ظلاماً أو مبالغة... وما إذا استأنس فلان بضحكتها، وما إذا أعجب فلان بنظرتها، وما إذا خضعت بصوتها أو جهرت بغيظها، وما أكثر ما إذا، وهل، وكيف كان تصرفي؟ وكيف كانت حشمتي؟ وكيف كنتُ كأنثى فريسة في غابة الأعمال!!؟



سيصرخ في وجهك رجال غريبون، ما هم أقرباؤك ولا أولياء أمرك، فتصمتين وتحتملين وتحنسين الأمر عند الله، ثم تبكين وترفعين الدعاء ولا أحد يشعر ولا أحد يدافع عنك، لأنك بكل بساطة: امرأة في غربة.



بقدر ما تصبحين جبارةً أكثر ستصبحين رقيقةً وستشعرين بالدموع تنهمر سريعاً كما كانت الضحكاتُ سابقاً ترتفع سريعاً.



أتحلمين بالذهب وأنتِ التي بعته قبلاً فداءً للعلم؟! أجهلتِ أم أنكِ تستجهلين؟
لن يضيعَ عند الله ما بعته يا حبيبتي، ونورُ العلمِ أقومُ لكِ وأعلى في الجنة منزلةً.





سمارة الفتولي

11 h · 🌐

كريماتنا.. أعجب كيف يصبح لجوءك تجربة ويفترض أن تعشن التجارب والنتائج كلها دون اختيار، وكيف تكون رحلات الخيم معارض ألوان ونحن بألوان العزاء هيفتنا وكيف تقدمن على موسيقا الأفرح مأسينا، والأم لا تملك ترف القرآن صوتاً يوم عزاء ابنها تكتبين في الجرائد قصصاً زائفة تعيشينها باسم الحرب في أحضان أبويك كيف في قبور المدن المحاصره ماكانت إحدانك تشبه فطره دم كيف ماكان يسمع صوت تكسير قدمي "ضحى" و"نسرين" و"حبيبة" يوم غادرن البلاد بقدم واحدة يقصدن "معارضاتنا" و"ممثلاتنا" الكبيرات في الخارج عن تكاليف عملية قد يهلكن مدى الحياه دونها . . وما وجدن سوى الوجع والعرج جواً فانتھين.. وما يسمع لتضحياتهن صدى أو مطلع قصة في بحث ثوري كيف ماكانت تسمع رجفة "أسماء" و"فاتن ووعد" في سجنهن فحشن الفقر بعدها في خيمات أو بيوت مهجوره على أطراف تركيا ولبنان، تحوقاً وصدمة وحيره وقرقاً من استبدال الوجوه والضحايا في ما بين الفوسين أسماء بنات حقيقيات كن يوماً مكرمات ذوات شأن لن تعرفن عن حياتهن المخيفة شيئاً أفهم الآن كيف للآن لا أحدًا سينرف دمعا حين يسمعنا

Nessreen Alnaeb

Sensom la Créative



مازالته الغربه تشهد على موتِ أفراننا و"ألوان عزائنا"

شكراً يا سمارة على شهادتك وقوة كلماتك دائماً، عسى أن يصل صوتك أبعد الآفاق.
وأنت يا غاليتي نسرين¹⁰²، لا عليك، قد بلغ بك الوجع من المراتب أعلاها.



¹⁰² شابة من دوما من غوطه دمشق، من الشابات صاحبات العهود، وممن عملن ودرسن في دمشق وغطتها حتى أصيبت في ركبتيها عام 2013 قبل أن تبلغ العشرين من عمرها بسبب قذيفة هاون، وأدى ذلك إلى سفرها بين البلدان في سبيل العلاج. وإلى الآن.

كفأك يا رقيقة القلب أحلاماً سعيدةً بأنَّ حباً ما سيدوم في الغربة، فرقة قلبك لم تعد تحتمل فقداً.



كوني نسمةً الخيرِ وصاحبةً الظلِّ الخفيفِ لكلِّ من تسكنين معه.



إياك أن تكوني كما ذلك النوع من النساء اللواتي يردن تسيير الحياة كلها كما يحلو لهنّ، ويسعون دائماً للتحكم بالزوج وعلاقاته وأسرته. فأولئك النساء يمضين العمر ركضاً وقتالاً في سبيل السيطرة والتملك والسيادة على العلاقات الاجتماعية كافة، ويؤول بهنّ الحال غالباً إلى الوحدة في كبرهن لنفور الناس منهنّ وميلهم عن مشاكلهن.



لا...

لا عجب أن تكوني في تلك الحدة مع رجال ألقوا على كاهلك أحلاماً عجزوا هم عن حملها، ولا عجب أن حدتِك تجتاز حدودها مع ضعيف القلب الذي يصرخ في كلامه ليخفي خوفه من أن تحمل أنتي مسؤولية لم تساعده حيلته في أن يحملها جهلاً منه وتهاوناً. إذا عجبوا يوماً من حدتِك معهم فذكريهم بالأيام الشديدة التي مرّت عليهم وحملت عنهم شدتها فنجوا هم وقصم ظهرك أنت.

ذكريهم حين غادروا البلاد هرباً من الظلم وواجهته أنت، وحين وقفوا أمام الظالم فما وجدوا سبيلاً إلا أن يرموا همهم على اسمك كأنه سلاحاً يحتمون به ويحفظون حياتهم غير واعين لما قد يحل بك أنت... ذكريهم حين خسروا الأموال فسددت الدين أنت ورفعت عن نفسك ثقل ديون لو حملوها لما حملتهم أرجلهم ورفعت الأحمال أنت...

لا عجب يا رقيقة القلب أن تكوني حادة معهم، فقد تعلمين أنك لو أردت ملأت العالم لينا وأن ما زال هناك من يستحق ليناك وتعلمين في داخلك من أنت.

لا تحرمي نفسك من ضحكك الرائعة، فمراتك هي أنت، استمتعي معها.

لا عليك... إن أحسست بالهرم يسري في أطرافك فلا تحزني، هناك في الجنة لن تهرمي.

لا تفزعي... فالجمال ليس إلا خدعة البشرية، نعبه أحياناً ونرى فيه كل الأمل كأنه منقذ لنا ومارد يحقق النجاح والشهرة والسعادة والراحة... ثم يحفر لنا الحفر فجأة لنقع بها ونفهم الخدعة.

لا تصدقي كل من قال "فعلت لأجلك" فلو لم يرق له ما فعل ما كان ليفعل.

لا تنظري إلى هاتفك تنتظرين منه وصلاً، بل انظري إلى السماء وارفعي الدعاء بأن يكون وصلكما حقيقي حلال، فالرحمن أقرب إليك منه وأدرى بما يعتريك وبما اشتهدت نفسك وأقدر على أن يسوق لك ما تتمنين.

لا تحملي حزن أحدهم على أكتافك ولا تحملي همّاً أو كرباً في بالك المتعب.

لا مانع من بعض البكاء لغسل شحوب الوجه والعيون.

لا عيب في أن تكوني ذات وجهين: ذئبة أمام كل غريب، وحملاً أمام أبيك وأخيك وزوجك.

لا تتمني من الحياة الدنيا منزلاً قد تهدم جدرانه الرياح، بل منزلاً في الجنة تعلو مرتبته مع كل ساعة صبر مرّت في الدنيا.

لا تتمني في غربتك أن تعيشي من الحياة يومين جميلين فقط ولا تغرق في حلم أيام معدودات، تمّي الحياة الأبدية الجميلة حيث لا ينقطع الحلم.

لا تتألّمي أمامهم، هم لا يعلمون ما يحلّ بهنّ حين يتألّمن.

لا تبالي بارتجاف أصابعك التي لم تعد قادرة على التربييت على كتف طفل، لا تبالي بخطوط الشقاء التي قطعت انسياب أصابعك، فهذه غربة الأنثى في الدنيا ولن تكون بعدها غربة أخرى في الجنة.

لا تكوني إحدى ممتلكات أحد.



لا أتمنى أن تنتهي حياتي الدنيا كي أرتاح من أعبائها، بل لأجل أن أرتاح من لحظات الانكسار التي لم أجد لها دواءً إلا البكاء والرجاء...

وأشعر بكل جوارحي أنني قارورة متكسرة تجمع كسراتها المتناثرة كل يوم لتشدّ عزمها إلى مواجهات النهار والصبر على ابتلاءات الأعمال ثم تعود من معاركها ليلاً لتنهّار كسراتها مرة أخرى ولتغسل حوباتها بدموعها شاكبة أذى من أذاها إلى الجبار وراجبة أفضل الثواب لمن رفق بحال انكسارها.



رحمك ربي بكلّ أنثى جُبرت لأن تعملَ في أحلك أيام شهرها.



عزّتكَ في خفضِ طرفكِ لوالديكِ وأولياءِ أمركِ.



أنتِ تختارين ما ستكونين في المستقبل وتدرّبين نفسكِ على ذلك: ربةً منزلٍ أو حاكمةً شعب.



يا ربّ! لم أعد أقوى على الانكسار.



ما أعظمكِ عندما تكبرين كلَّ يوم في عين نفسكِ، وتترقّعين عن الصغائر لتشعري بها كلّها ذليلةً تحت قدميكِ!

وما أعظمكِ عندما ترينَ نفسكِ بعد سنواتٍ حاكمةً أو ملكةً، اجتازت من الحواجز ما اجتازت حتى صار نظرها دائماً موجهاً نحو القمم لا يرضى أن يرى ما يوجد أسفلها، ولا يتوجّه إلا نحو السماء. بتلك الرفعة تصبحين كالإمام يؤمّ الناس ويهدي إلى أمر الله بعد أن صبر وصابر وأسلم الله في السراء والضراء.



كم وكم وتمنيت أن تقولي نعم... والعفة قالت لا... فقلت لا... وابتعدت.
كم وتمنيت أن تبتسمي... لكن الحدود قالت لا... فصمت... وتنهدت.



سيثيمونك بجمود المشاعر وجفاف الإحساس، وسيعجبون من قلبك المتحجر، وما علموا أنهم لو دخلوا عالمك وجابوا فضاء ذهنك وسمعوا عويل قلبك لملؤوا سنين عمرهم الباقية بكاءً على مرارة انكسارك وشوقك للحبّ والحنان.



لن يخطرَ في بالكِ كم مرةً ستحملين الأمتعة وتسافرين! وستفقدين السيطرة على العدّ واستحضار الذكريات وكم من مرةٍ ركبتِ الطائرة وأين قابلتِ فلاناً أو علاناً، فكثرة الترحال صارت كالمنام..

لِكَلِّ امْرَأَةٍ فِي غَرِبَةٍ

يحملك القدرُ من مكان إلى مكان دون حساب للزمان... وكل ما يمر في طريقك يصبح في عداد كان
ياما كان... ولا يرد في البال إلا سؤال واحد: أين أنا الآن؟ وإلى أين سيحملني الزمان؟



ظرفك أنك وحيدة في غربة، وبناءً على ذلك احلمي.



مهما حاولت إخفاء أحوالك عن أهليك البعيدين، اعلمي أن قلبهم قد يكون أدرى بحالك منك.



"هذا هو الرجل، لذلك لا تحاولي أن تمتلكي الرجل، فمن المعروف أن الزوج شريك في الحياة ليس
عبداً مملوكاً وإن كان ذا شخصية مهزوزة سيأتي وقت تكتشفين أنه رجلٌ كباقي الرجال."
حسنة العامري/ من كتاب ملكة المملكة.



ربما يذكرك في نفسه...



هُنَّ خُلُقٌ لِيَكْنَ جَمِيلَاتٍ، وَأَنْتِ خُلُقْتِ لَتَكُونِي الْمَلِكَةَ... فهل ستبدلين المُلْكَ بالجمال؟
الجمال لا يجلب لك إلا العيون الحاسدة والنفوس الغيارى والقريبات الحاقداً، أمّا الملك فيجلب لك
القدرة عليهم جميعاً سواءً بالرحمة أو بالقسوة.



يعكف معظمهن في فترة خطوبتهن على التزيّن، إلا هي فتعكف على التعلّم.



ويحدث أن يهديك أحدهم "ذهباً" فلا يتحرك من الإعجاب ساكن، كأن "الذهب" صار محظوراً على
مثلك، فامرأة جبارةً مثلك ما حطمت قيد الحديد لتلبس قيلاً من ذهب.



كوني على استعدادٍ لفتراتِ الجهادِ القاسي، واستغلي كل لحظةٍ تمرُّ فيها... فأجمل فتراتِ العمرِ أفساها.



لِكَلِّ امْرَأَةٍ فِي غَرْبَةٍ

ويتكرّر ذلك المشهد...

أن في كلِّ مكانٍ تحطّين فيه رحالكِ تُلهمين أحداً فيه مشاعرَ ساحرةً ثم تسرقينها حين ترتلين....
ويظلُّ بعدكِ شاردًا تائهاً يحلم بأن تعودي ثم لا تعودين...

أن تكوني حلمًا لأحدهم، ولا تملكين حيالَه أيّ شيء، مع أنكِ تعلمين أنكِ له دواءٌ وأملًا بالحياة لكن
الحكمةَ والقدرَ والنصيبَ والحربَ والألمَ والغربةَ والظروفَ والعملَ وكلَّ أولئك يمنعون....

أن تتحطّم قواعد العادات الاجتماعية في العيش مع الغرباء ومخالطة الأجنبي، فتجدين نفسك في
مواقف مخالطةٍ ما رغبتِ بها ولا اعتدتِ عليها في منزل الأهل، اللهم إلا أن تتحطّم حدودُ الدّين.

أن في كل مدينة تدخلينها تمرُّ فيها ليالي تقفين فيها وحيدة في منتصف الليل راجية اللطف والستر
والهدى... إلى الممشى المستقيم.

أن تخسري من أحببتِ مقابلَ العمل.

أن ينهزمَ أمامَ طموحكِ وينسحبَ من أمامِ إصراركِ على حياةٍ عظيمة.

أن تحذفي الذكرياتِ العزيزةَ المؤلمة، وترمي بها في مهملاتِ الحياة كي تموتَ ويحيا قلبُك بحياةٍ
جديدة.

أن تحسمي مصيركما بقرارٍ منكِ لا منه، كأنكِ أنتِ الذكرُ وهو الأنثى.

أن تحملِكِ أجنحة الطائرة وتحلّق بكِ مراتٍ ومراتٍ وحيدةً في السماء الدنيا لا تسمعين صوتَ وليٍّ ولا
رفيقة، فتغمركِ مشاعرُ الأنسِ بالله والراحة من زحمة الأرض وصخب سكانها...

أن أحزمَ الأمتعة، أحملها على ظهري المتقوّس...
أنتظرُ الباصَ المتّجه إلى مدينةٍ جديدة، لأبيتَ فيها قصماء الظهر من حمل الأثقال.

أن تجلسي مع دفاتركِ وسجلاتكِ وحاسبكِ وذكرياتك، وحيدةً في مكان ما، كما جلستِ في هذا الوقت
من السنين الماضية، أمام طريق مسدودة ودموع حائرة ودعاء خفيٍّ وظنٍّ جميل. ظنٌّ أن الرحلة القادمة
ستكون أقربَ إلى الله.

لكلِّ امرأةٍ في غربة

أن تجدي نفسك في غرفة إبداع مع غريبات لا تعلمين لغتهنّ ولا جرهمنّ الذي أودى بهنّ إلى هذه الغرف. وتجدين بينكنّ رابطاً واحداً مشتركاً: أنكنّ إناثٌ في غربة الحياة.



قدوتك مريم "التي أخصنت فرجها فنفعنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين"¹⁰³... فكانت مثلاً أحياء الله لنا في كتابه الخالد لتخلد ذكراها في حياتنا وتمثل أخلاقها في أخلاقنا...

"فكلي واشربي وقرِّي عينا"¹⁰⁴ ذلك كان أمرُ الله وكلامه لمريم بنت عمران... ومريم قدوتك، جاءتها تلك الكلمات بعد أن تمت الموت، وبعد أن وُلد الأمل من رحم ألمها.
"كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب"¹⁰⁵ كان هو رازقها، وما احتاجت وصايةً أو ولايةً من رجلٍ لينفق عليها.
"فإما ترى من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً"¹⁰⁶ كفاها الله ذلّ السؤال وثرثرة العامة، وبقره كفاها وأرضها وأنس روعتها.



كلما تقدّم بي العمر، ازددت إحساساً كم سرقت شقوة العمل من عمري.



وأعيدها عليك ألف مرةٍ ألا تصاحبني البلهاء، فإنها متى أرادت أن تنفكك ضرتك.



أباهي فيك يا صبية... بعد أن أنهيت صباحك دون أن تمسك يد غريب، أباهي فيك وأفرح لرؤية البراءة في وجهك المضيء.



لأنهم جميعهم رجالٌ وأنتِ أنثى بينهم... عليك أن تصمتي حين يصرخون، و عليك أن تحتلمي صخبهم وجهر أصواتهم، وأن تختبئي حين يتصارعون، ثم لا تشككي لهم، لأنك إن اشتكيت سيستهزئون وربما يحقرون، فالترمي الصمت والدعاء واحتسبي وامنعي البكاء كي لا تدعيهم يشفقون.



¹⁰³ سورة التحريم، الآية رقم 12.

¹⁰⁴ سورة مريم، الآية رقم 26.

¹⁰⁵ سورة آل عمران، الآية رقم 37.

¹⁰⁶ سورة مريم، الآية رقم 26.

لَكَلَّ امْرَأَةٌ فِي غَرَبَةٍ

"لا تحسبوا رقصي بينكم طرباً فالطير يرقص مذبوحةً من الألم"¹⁰⁷
لا تتعجبي من أن تري نفسك في تلك الحالة مراراً؛ ترقصين كأنثى وقلبك مذبوحةً من ألم.
والأقسى أن يكون الألم قد أصابك من نفسك ومن فعل يديك.



لستُ حزينةً، لكن الفشل ألقى بوشاحه على كتفي وأحنى ظهري، لذلك تبدو عيناى تنظران إلى الأرض
وثغري عابس من الأسى.



أحياناً.. لا تقدرين على مسامحة نفسك في مواقف لم تكوني فيها أنتِ، وتتساءلين: هل سيسامحني الله؟
وهل سأستطيع النظر في وجه أمي وأبي بعد أن بخعتُ نفثهم؟



هل كلُّ العازباتِ يبكين بكائى؟ أم أنّ جرحى أعمق؟



كلّهم قالوا لي: إن كنتِ معجبة به فلا تصدّي عنه، وافتحى له الفرصة ليعبرَ عمّا بداخله. ومضيتُ في
تلك النصيحة كالبلهاء التائهة حتى اتّسخ قلبي وبقيتُ قلوبهم كما هي.



أعلم أنني سأنسى لكن هذه الفترة ما قبل النسيان هي من أصعب الفترات، وأحتاجُ بعضَ الوقتِ كي
أخلص من جميع الذكريات التي تربطني بمن أتذكره فيكيني.



سألوني كثيراً: لم فقدتِ الثقة بالرجال؟
كيف لا وهم من أحرقت في قلبي الأمان؟
بكرهم وفرهم وجبنهم وانهزامهم وانسحابهم جعلوا مني صخرة صماءً مُصدّعة، تذرّف من شقوقها
الدُموع، ولا تملك أن تحرك ساكناً.



حنان الذكر مختلف عن حنان الأنثى...

ستأكدين من ذلك عندما تواجهك المصاعب وتتلقين منه حناناً يغمرك وينسيك مرارة الدنيا، أما هي فقد
تبكي من أجلك كثيراً لكن حنانها لا يكفي لإزاحة الأسى عن روحك.

¹⁰⁷ أبو الطيب المتنبي.



كيف تتمنى له الحياة بعد أن سمحت له بتأمل جمال وجهها؟ وكيف تتمنى لنفسها الحياة بعد أن جرى ما جرى؟!



ينتظرون مني يوم أن أقول لهم أنا في قمة الرخاء،
أما يا أهلي بعد أن خرجت من عندكم تلاشى معنى الرخاء،
ألا لا حياة للأنتى خارج منزل أهلها إلا في العراق.



خلت أن حياة المرأة أهون من حياة الصبيّة، لكنني أراها من أمر الحيات وما تزال تزداد مرارةً.



*108



استيقظي، استيقظي وأكثر من شرب القهوة كي تبقى صاحبةً وكفاك حلاً بما لم ولن يحدث، فليس في عالمنا متسعٌ للأحلام.

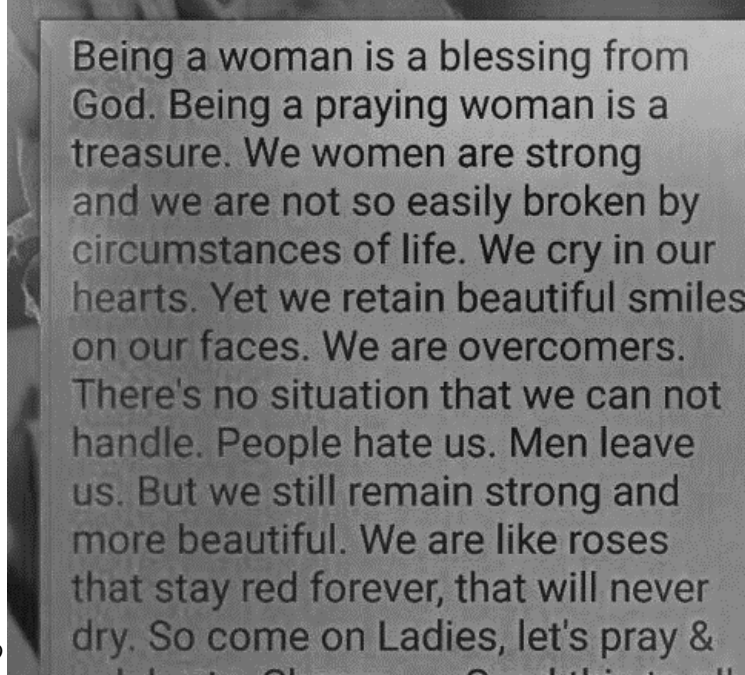


بضحكتك الرائعة تستطيعين أن تخربي عيشته، فإياك أن تفعلها.

*108 من تصوير فريق عمل "أنا هون" مع الأصحاب نعمة علواني وسارة علوان وعاصم نيرب، طرابلس، لبنان، 2017.
<https://www.facebook.com/anahoniamhere/videos/154417705112345>



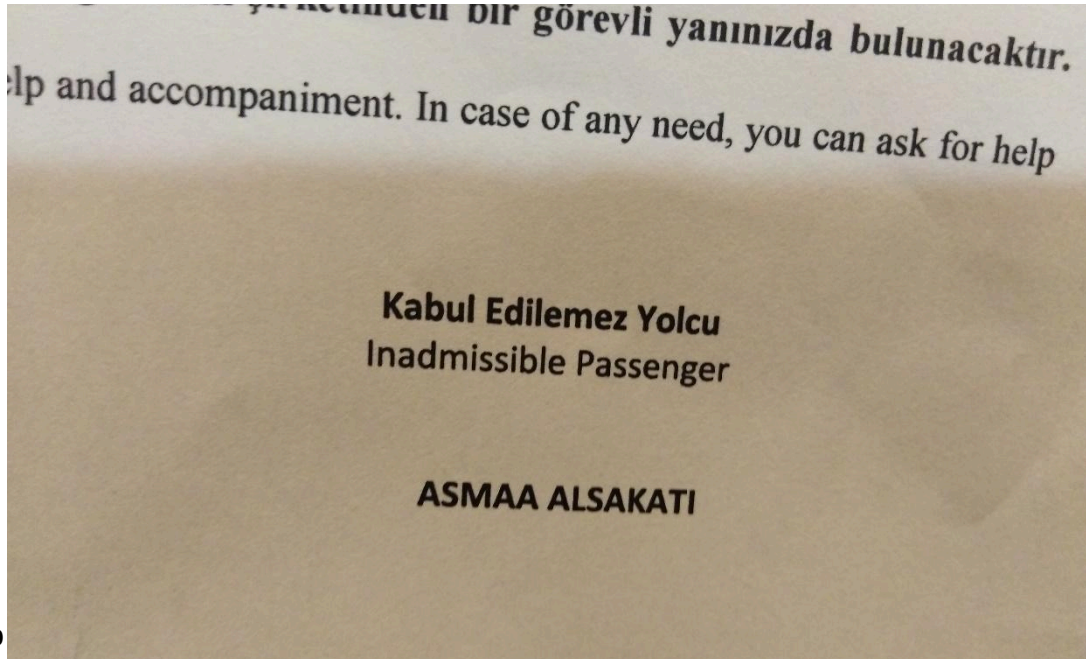
أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ...
وَسْتَبْعَدِينَ يَوْمًا مَا عَنْ أَرْضٍ تَضَامِينِ فِيهَا، وَسْتَرْحَلِينَ عَنْ أَوْلَائِكَ الْمَزْعَجِينَ.



*109

¹⁰⁹* Vinothini.

الإبعاد



*110

كان الإبعادُ زيادةً في البُعدِ عن الدُّنيا والقُربِ من الآخِرةِ، وما ضَرَّني أنِّي ابتعدتُ عن
دنيا فانيةٍ واقتربتُ من دارٍ باقيةٍ.
فَحَمْدًا لِمَنْ كَتَبَ لي هذا القَدَرَ وَكَتَبَ بعِدهِ المُعَافاةَ.

*110 نموذج مسافر غير مقبول بسبب منع الدخول، إسطنبول 19 آذار 2019.

لا زلتُ أذكر...

لا زلتُ أذكر يوم الإبعاد وما قبله بأيامٍ بكلّ تفاصيله، ولا تزالُ تلك المشاهدُ المطبوعه في ذاكرتي تراودني بين الحين والآخر، تأتي فجأةً إلى ذهني دون مناسبةٍ وتغادرُ سريعاً في الزّمن... لا زلتُ أذكر طرقاتِ الشّام حين جعلتُ أتأملها وأنا في الحافلة متّجهةً إلى المجهولِ والناسُ من حولي لا يدرون، لا يدرون بمصيري ولا مساعدةً يستطيعون...

لا زلتُ أذكر قصاصة الورق التي كُتِبَ عليها قرار إبعادي: إبعاد المدعوة أسماء... ومنعها من العودة إلى القطر مستقبلاً لمخالفة التعليمات الإدارية!

صورة ابن ابنة خالة أُمي "محمد" عندما كنت أقوم بتدريسه قبل امتحانه، ووعدته أن نكمل في الأسبوع المقبل، الأسبوع المقبل الذي لم يأت... وابنة أختي "راما" كنتُ أدرسها موادّ الامتحان الأخير وكانت في بداية تفّحها وتفهمها وبيت سريّ الحصين...

وأُمّي التي ضحكت معي مساءً وبادلتنني الحديث وأفصحت عن تخوّفها من أمرٍ خطير... ثم يصدق ظلّها وتخبرها صديقتي أنني على الحدود! فتتصل بي وتسال بصوت مخنوق:

- وينك؟

- أنا عالحدود السورية.

- ليه ما قلتي إنك رايحة عالفرع؟

- خفت تخافي علي وتزعلي...

وصديقتي "الجين" التي أودعتُ عندها أمانتي، فأدّتها بعد غيابي وحفظت العهد ولبّت ندائي...

أما "مصعب" الصغير فقد درّسته آخر ما استطعت وأودعته عند والده الوفي...

كما أودعتُ الشّام...

أودعته عند بارئها واختفيت راجيةً أن يحفظ لها طيبها لتخرج بنباتٍ طيب كتلك الأرض الطيبة.

اللهمّ إني أستودعك الشّام وأهلها، اللهمّ إني أستودعك رجالها ونساءها وأطفالها وشيوخها وشبابها وحفاظها وأرزاقها وأشجارها وأحجارها وكلّ ما فيها...

اللهمّ إني أستودعك علماً تركته فيها غاب عن حافظتي وبقي في أمنيّتي، اللهمّ إني أستودعك كُتُباً قيّمة، ما عدتُ أعلم إن أحرقتها الحربُ أو تركتها لعودتي...

اللهمّ إني أستودعك أهلاً طيبين وأقارب صالحين وأصدقاء أوفياء لا أملك لقيامهم وردّ وفائهم إلا أن أدعو لهم أن تجزيهم كل خير وأن تجمعني بهم في جنة الآخرة حيث لا نفترق...

بعُدتُ جنة الدنيا كما بعُدتُ أنا وجفّ الدمعُ من المقل، ولم نعدُ نرجو إلا ما يصلحُ البال ويُطفيئ الشوق في القلوب.



ولا زلتُ أرمقُ من محبةِ الأهلِ والأقارب...

ولا زال ودّهم هو الأقرب وما زالوا الأكثر فرحاً لنجاحي والأبعد عن جرحي والأشد لهفةً في مساعدتي.



كأنتني بالإبعاد كنتُ أنا الفقيدة إلى رحمة الله، وكل الأحياء حولي يرثون موتي.



كل أنواع السرقة تهون، سرقة المال والهاتف والبطاقات والحساب المصرفي وأثاث المنزل والذهب وخزانة الأموال ومفاتيح الكنوز والملابس والسيارات، كل ذلك يهون أمام سرقتك أنت بكل كيانك من بين أهلك وأحبائك..... وذلك ما يفعله الإبعاد حقاً.



I'm far away from everything....

this was always my feeling.



بعيدة..

كأنتني على مريخ بعيد عن الأرض سنواتٍ ضوئيةً من الحنين، وأرنبو إلى كوكب الأرض من مريخي هذا بأحزانه وأفراحه وحروبه وكوارثه. وأسأل نفسي وتسالني: أين كنت منه؟ وهل كان خيراً أن تعودني إليه بعد كل هذا البعد؟

دعك عني يا بعد فلم أعد أطيع فراق كوكبي...

إلا أنه لا أكبر من حنيني إليه غير حنيني للجنة، عسى أن يكون هناك منتهى استقراري.



Des mots me représentent:

« Dans ces moments, mon exil à moi me semble superficiel, capricieux, individualiste...mais il n'en est pas moins réel, et de plus en plus à mesure que le temps passe....

Et dans l'avion, je pleure. Je pleure d'avoir à quitter ces êtres qui me connaissent et me comprennent au fond mieux que les Français ne le feront jamais ; je pleure l'immense, l'incomparable ciel canadien ; je pleure la langue anglaise qui m'a accueillie avec tant de naturel, qui a coulé de mes lèvres avec tant de facilité ; je pleure mes parents qui vieilliront encore alors que je ne serai pas là ; je pleure mes petits frères et sœurs qui ne seront plus petits et que je ne connais plus ; je pleure d'être la femme tête et prétentieuse que je me semble alors, la femme sans cœur qui a tout balancé pour aller s'éclater à Paris.»¹¹¹.



¹¹¹ Nancy Huston et Leila Sebbar, Lettres parisiennes, Lettre IV, p. 20-25.

تباً لقوانين البشر!

أن تكون لاجئاً... فأنت تستحقّ كلّ الحقوق الإنسانية وأن يُنادى بحقوقك.
أن تكون مصاباً... فأنت إنسانٌ تستحقّ كلّ الحقوق الإنسانية وأن يُستغاثَ نداؤك.
أما أن تكون مُبعداً أو مَنفياً... فأنتَ شِبهُ إنسان... أنتَ تستحقّ أن تكونَ محظوراً وممنوعاً من أن تتفوّه
بكلمة... أنتَ قلتَ كلمةً حقّ قبلاً واستحققتَ بهذه الكلمة أن يتجنّبكَ البشر وأن يبقوا في أمانٍ من خطر
التواصل معك.



ألم تتعلمي بعدُ سنّةَ حياتك؟ ألم تتعلمي أنّ الإبعادَ سنُّتُك؟ سنُّتُك في كلّ شيءٍ، وأن أياً ما تتمنّينه توقّعي
أن تُبعدي عنه قبل أن تتمنّيه.



لم ينفكّ الإبعادُ يوماً عن مطاردةِ سعادتي، ولم ينفكّ يهدّها... يعنّفها... يخيفُها ويبعدُها عن أقداري.
لم ينفكّ يمثّل وحشاً، ولم ينفكّ يغيظُ طموحاتي الفتية، ويغرسُ خناجره في حنجره أيامي.

ثورةُ الياسمين



*112

ما تزال صرخاتنا فيك ترنُّ في آذاننا مؤنِّبةً، مذكِّرةً، معنِّفةً.

*112 من العبارات المحفورة على حائط المعتقل في سورية. الصورة معدلة لتبدو كالحقيقية.

لا تَدْعُ في قلبك كلمة حقٍ تلومك يوماً.



قد يقضي البشرُ حياتهم في اتِّباع ما لا يعرفون لكن المهم لديهم هو ألا يتعبوا أنفسهم بالتفكير أو حمل المسؤولية وقد يخرجون للمطالبة باعتبار آرائهم وإعطائهم الحرية والديمقراطية لكنهم في داخلهم ينتظرون الديكتاتور الذي سيأخذ بأيديهم ويسحبهم إلى حيث يريد ولا يهم ما يريد! المهم هو أن يقود بدلاً من أن يقودوا وأن يقول بدلاً من أن يقولوا.



لا شيء مستحيل في هذا الكون إلا أن ترتفع مكانة الجبان عندي إلى مكانة القوي صاحب الحق، لا شيء مستحيل إلا أن تتساوى محبتكما في قلبي. فالقوي أفيده روعي والجان شامتني أسبق إليه من سلامي.



ليتك يا مجاهد وردة أسقيها كلما ذبلت، ليتني دواء لك ونسمة تشفي عليك...
ويا ليتني أهديك حنان الأم وحنان الأخت وحنان الزوجة...
ويا ليتني كنت فداء لك وروحاً تصابِرُ بها وعيناً ترى بها نور الحياة...
الآن أراك يا مجاهد بعد أن ألقيت عنك السلاح مُكرهاً، تتلوى في حياة دنيا ما أردتها وما أرغمتك عليها إلا ظروف الأهل وعوز المال....
الآن بعد سنوات من الجهاد أراك مُتعباً تبدو تجاعيد الإرهاق على وجهك المُشرق، وتبدو الانحناءة على ظهرك الذي حمل أثقال بلادك....
أراك وأتمنى ألا أراك في هذه الحالة، وأتحرق في قلبي لأن أشد على يديك وأن أعطيك بسمتي وفرحتي وروحي التي ليست ملكاً بين يدي... والتي لو كنت ملكتها ما كنت لأهبها إلا لك...
أراك زاهداً في دنيا البشر وأتمنى لك لو تفارق تلك الدنيا البالية، لكنني في ذات الوقت أتمنى لك متابعة عمر طويل في سبيل الله، على أن أكون شريكاً لك فيه وأن أكون أنا بعض من تعبك...
أجل، اجعلني بعضاً من تعبك وأسعد قلبي بقربك...
فقلبي ليس أقلّ ياساً من قلبك ولن تعود له الحياة إلا إذا عادت لقلبك...



حزني على الطفولة الجريحة بالغ العمق، وحزني على قتل الشباب أشد وأعمق...
وعلى من بنى بيتاً وأسرّة وعزاً ثم هو ذليل في قومه يكلم...
إلهي أنت البصير بحالنا، والله أكبر على الظالمين وعباده الأرحم.



بعد تلك الحرب، انطفأت الأفراح في واقعي وانطفأت في خيالي، فلا عدت أستطيع سماع ضجيجها حتى في الخيال.



« Les armuriers dorment-ils sur leurs deux oreilles? »

” هل يرقد تجار السلاح بطمأنينة؟“

نبيل عجان



السنون الصَّعبة في بلاد العرب^{*113}:

فَقَدَّ في هذه الفترة شبابٌ كثيرون الأملَ في استمرارِ الحياةِ والعيشِ طويلاً سواءً في الهناءِ أو الشقاءِ. وصار حديثهم أننا لا نُنظِنُ البقاءَ على قيد الحياةِ بعدَ الأربعينِ سنةً، على أن أشدَّهم هو أبلغه في هذه السن.

هل هو وهنٌ أصابهم أم ضَعْفٌ أم استكانةٌ؟ أم أنه قنوطٌ من رحمةِ الله دفعهم إلى التماوت؟ لقد صار الشَّبابُ يرفضون الزواجَ وتعهدَ المسؤولياتِ وتأسيسِ الأعمالِ أملاً في أن يقطعَ اليأسُ عمرَهم ويريحهم من تعبٍ كاد أن يقودهم إلى ثوابٍ عظيمٍ. فما فعلتِ السنونُ؟ وأي بأساءِ نالت منهم حتى نسوا الصَّبرَ الجميلَ؟ يكفيننا لنعلم الإجابة أن ننظرَ إلى مشاهدِ الحرمانِ والدمارِ والذَّلَّةِ والفسادِ والهوانِ، ثم لنرفعَ الدعاءَ إلى من أعطانا البلاءَ وأعطانا الاضطبارَ.



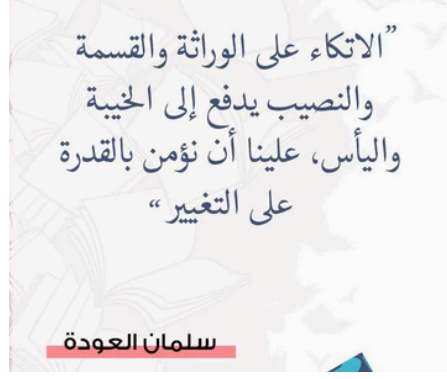
تختلط القيم في الحرب....

توقَّفت حافلة النقل العام في موقفها المعتاد حيث صعدتُ إليها وصعدت خلفي امرأةٌ عجوز، قالت للسائق: بدي انزل هون بأخر الطلعة (وأشارت بيدها إلى قُربِ المسافة) أجابها السائق مباشرة ودون تفكير: بدك تدفعي. فردت بنبرةٍ منكسرة: لا شكراً.

ونزلت وتابعت طريقها صعوداً على الأقدام، علماً أن كليهما من الطائفة الدرزية وأنا من السنيّة. أين القيم في مثل هذه المواقف؟ هل كان على السائق مراعاة كبر سنّها؟ أم كان عليه عدم التراخي في دفع التعرّف؟ أما أنا فلم أشعر بواجب النخوة ولم أدفع الأجرة عنها؟ لم أجد سوى إجابة واحدة، أننا في زمن الحرب وكل إنسان يقول: رب أسألك نفسي.



^{*113} عهد الشباب، ثورة الياسمين.



بارك الله بكل كلمة قلناها كانت سبباً في نهضة فكرنا يا شيخ سلمان¹¹⁴ وفرج الله عنك ما أهمك وأزاح
عُمّتك.



¹¹⁴ سلمان بن فهد بن عبد الله العودة الجبري الخالدي (14 ديسمبر 1956 -)، داعية إسلامي، وعالم دين، وأستاذ جامعي، ومفكر سعودي، ومقدم برامج تلفزيونية. ولد في جمادى الأولى 1376 هـ في قرية البصر الصغيرة الواقعة غرب مدينة بريدة في منطقة القصيم برجع نسبه إلى قبيلة بني خالد، حاصل على ماجستير في السنة في موضوع "الغربة وأحكامها"، ودكتوراه في السنة في شرح بلوغ المرام /كتاب الطهارة)، كان من أبرز ما كان يطلق عليهم مشايخ الصحوة في الثمانينات والتسعينات. تم اعتقاله في السعودية منذ منتصف عام 2017. المصدر: ويكيبيديا ومجموعة مواقع على الإنترنت منها الموقع الرسمي للشيخ سلمان العودة.

ثورة_الياسمين

أيها الشهداء! رفقاً بحالنا...



115

¹¹⁵ من رموز شهداء الثورة السورية السلميين، وأسمائهم: فداء قاسم، محمد شريفة، محمد المصري، نذير الطرابلسي، مراد، فداء البجلي، معاذ لطفى، عبد الرحمن الأسود.



116



117

¹¹⁶ سليمان النائب وهو الأخ الأصغر للمراسلة سمارة القوتلي، استشهد في عمر الفتوة في الخامسة عشرة في حي دوما، غوطة دمشق، 2012. <https://www.youtube.com/watch?v=J0lu3TNiMyE>

¹¹⁷ راما العسس، من أوائل الثوار الشبابات السلميين، اختطفت في شهر تشرين الأول من عام 2012، وانقطعت أخبارها بعد ذلك وبعد أن دفع أهلها فدية تقدر بمليونين ليرة سورية، يقال أنها استشهدت.



118



¹¹⁸ من مظاهرات حي القابون الدمشقي، شارع النهر، 2012.

الخوذ البيضاء الحياة من وسط الأنقاض

من وسط اليأس المحقق، وتحته القنابل التي تهطل بغزارة، فتقتلع الحجر والبشر، وتشيع الموت والخراب، يلوح أملٌ بحياة ممكنة، أملٌ متدبّرٌ ببعض البياض، يسارع لانتشال بقايا روح أو أنفاس لاهثة من تحت الأنقاض.. هؤلاء هم رجال الدفاع المدني السوري، هؤلاء هم صناع الأمل، أو "الخوذ البيضاء" كما يعرفهم العالم، الذين يقتنصون الحياة اقتناصاً من بين ركام الأنقاض ونزيف الدماء في سوريا الجريحة.

119



لم يعرف النوم في الغوطة اليوم إلا الشهداء، أما آخر الباقين هناك فينازعون الأرق والخوف وتهطل عليهم حمم الموت من كل حذب وصوب تشاركهم المجازر صحوهم ونومهم.
بينما ينام العالم هانئاً على دمنا الكثير وفنائنا طالما بقي الأسد #أنقذوا_الغوطة
#الغوطة_الشرقية #أرشييف
#Estern_Gouta #EsternGouta



120

¹¹⁹ <https://www.arabhopemakers.com/finalists/2017>

¹²⁰ منقول من صفحة عدسة شاب دمشق: <https://www.facebook.com/LensYoungdimashqi>

كم روحاً سننقذ أيضاً؟ كم موتاً سندفع عن آخر الأحياء؟ .. ننحني تعباً لا انكساراً ولازلنا ننتظر فرجاً
ورحمة

#أنقذوا_الغوطة #Save_Ghouta

#الغوطة_الشرقية في 21/02/2018

on 21/02/2018 #EasternGhouta



121

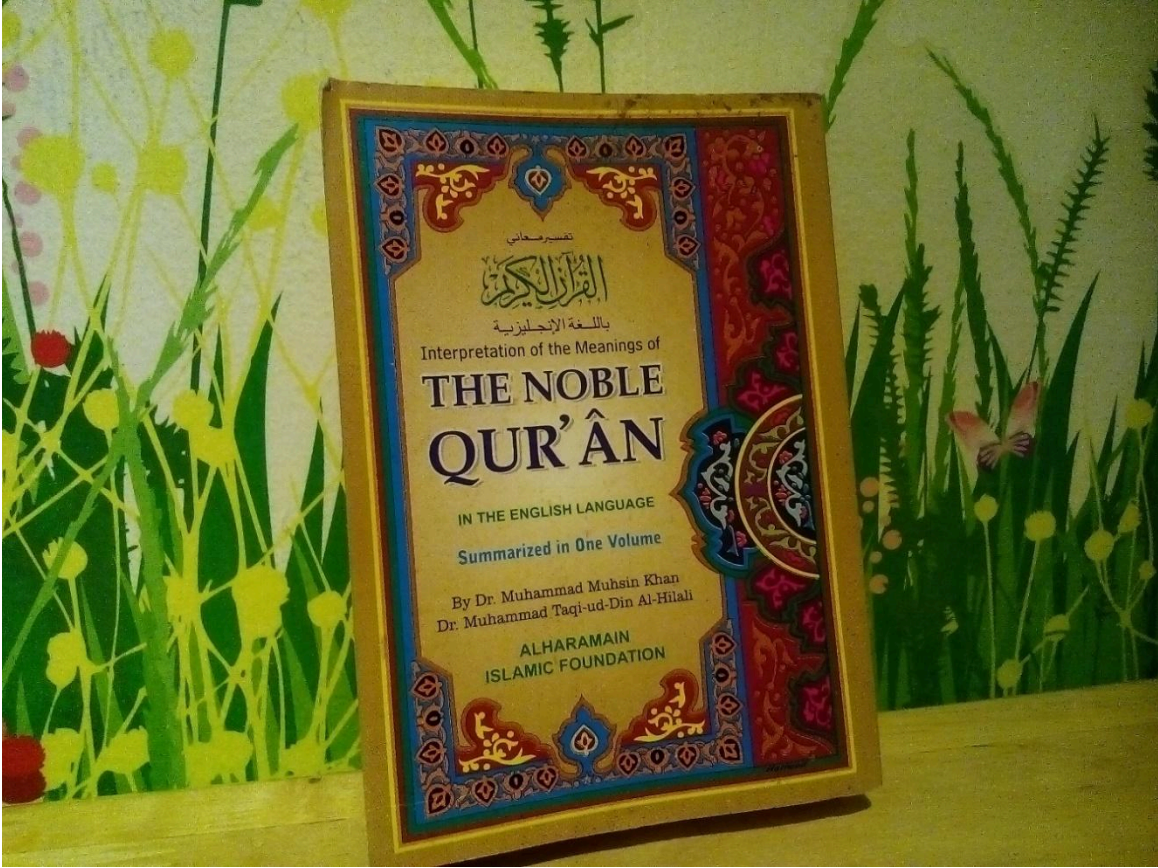


122

¹²¹ منقول من صفحة عدسة شاب دمشقي: <https://www.facebook.com/LensYoungdimashqi>

¹²² من غوطة دمشق، 25 شباط 2018، سورية.

دُستورنا القرآن



*123

أعظم الأفراح في عمري.. تلك التي ارتبطت بكتاب الله

*123 هذا المصحف من إهداء العم أبي بلال بيطار، عجمان، 2017.

"وَاجْعَلْنَا لِمُتَّقِينَ إِمَامًا"¹²⁴

ليس شرطاً أن تكون إماماً في المحراب! يمكن أن تكون إماماً في التسامح والمحبة، والبسمة، الطيبة، إماماً في البر، إماماً في الصبر، إماماً في صلة الرحم، إماماً في محبة الخير وخدمة عباد الله، إماماً في تربية أبنائك وبناتك، إماماً في حسن الخلق مع أهل بيتك ومع جيرانك، ومع خلق الله، إماماً في استثمار الوقت.

منقول، شكراً لك سعيد البدوي.



"وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ"¹²⁵

قال تعالى في سورة القمر، بعدما أغرق الأرض بمن فيها انتصاراً لنوح عليه السلام: {وحملناه على ذات ألواح ودسر}

★ الدسر هي: المسامير

← وهنا سؤال..

☆ لماذا لم تأت الآية (وحملناه على سفينة)؟

☆ وجاءت (وحملناه على ذات ألواح ودسر)؟

☆ فهل في هذا سر؟!

★ الجواب نعم... لأن الله تعالى يريد أن يبين لنا بساطة مكونات تلك السفينة، أمام الأمواج المتلاطمة؛ حتى نعلم أن هذه الألواح والمسامير مجرد سبب، ولولا حفظ الله لهم ما صبرت هذه السفينة على مواجهة موج كالجبال، ولذا أكد الله على ذلك بالآية التي بعدها حيث قال سبحانه: {تجري بأعيننا}.
☆ فقد خاب من تعلق فقط بالأسباب.

☆ وقد أفلح من تعلق أيضاً برب الأرباب.

عليك بالأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ثم التوكل على الله وكأن الأسباب ليست بشيء.

منقول...



ظنٌ جميلٌ... في أشدّ لحظات الاضطرار

يا من يراني الآن.. في أشدّ لحظات حياتي اضطراراً..

في هذه اللحظات الشبيهة بما قبلها... والتي خسرت فيها كل شيء...

¹²⁴ سورة الفرقان، الآية رقم 74.

¹²⁵ سورة القمر، الآية رقم 13.

أدعو من يجيب المضطر ومن يكشف سوء أن يعجل لي بالخير الكثير الذي ينتظرني بعد كل ما فقدت...

إن قلبي مطمئن أن خيراً عميماً أت سيغمرنى وينسينى صبر السنين، إنني على يقين بفرص أفضل من التي خسرتها...

يارب! إن ظنّي جميل، وبالي مستريح، أنك ما أخذت إلا لتعطيني ثواباً عظيماً أولاً، وخيراً من الدنيا ثانياً...

والله إن دموعي الآن هي دموع فرح لا دموع حسرة، ليست حسرةً أبداً على متاع دنيا زائل وزينة فانية. وإن كنت سأتحسّر فعلى دقائق مرّت ضعفت فيها عن ذكر الله...

أكاد أحسّ أنني أرى الخير بأمّ عيني وأرى الفضل في أعلى مراتبه وأستطيع تخيل ذلك النجاح وذلك العمل العظيم الذي سيجبر الله به كسري ويعلي به شأنني بين ملائكته وأحبابه...

وما الهمّ في أن أفقدك يا دنيا، أمام طموحي في جنة عرضها السماوات والأرض...

تبّللت الأوراق، تبّلل وجهي... صار عليّ أن أمسح الدموع وأبتسم طيلة هذا المساء في انتظار عطائه وكرمه وجوده.

عسى الحال أن يكون مبدلاً في الصباح.^{*126}



"وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا"¹²⁷

إذا فهمت الحكمة الإلهية مما جرى، فلا تهتمنّ بما قلبك اعترى...

فإنّ الله ما أخذ والله ما أعطى...

وما منع عنك إلا لتصمّد إليه وترضى...

واحمد الله أن فهمت الدرسَ وارتاح بالأك والرّيبُ اختفى.¹²⁸



^{*126} الساعة الأخيرة من رمضان سنة 2018، واحة السيليكون، دبي.

¹²⁷ سورة الكهف، الآية رقم 68.

¹²⁸ قبيل عهد الشباب، ص148.

"وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا"¹²⁹، أي: الفهم والعلم والجد والعزم والإقبال على الخير والإكباب عليه والاجتهاد فيه، وهو صغير حدث. قال عبد الله بن المبارك: قال معمر: قال الصبيان ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خلفنا، قال: فلماذا أنزل الله: {وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} قدوتكم "يحيى" يا صبيان أمتنا، ولولا أن كان في إتيانه الحكم صبيياً حكمةً بالغاً لما ذكرت الآية في القرآن على هذا الوجه من الخصوص.

أرجو الله أن يبارك في صبيان المسلمين وأن يكونوا براً وحناناً وقرّة عينٍ لوالديهم، وحملةً لكتاب الله حُفاظاً لآياته.



"اللهم إني أمتك وابنة أمتك وابنة عبدك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك"¹³⁰

كلما رددتُ هذا الدعاء أخذني الفكرُ في رحلة عميقة في جناني، وتذكرتُ ملياً ما تمنيت وما نويت وما دعوت، ومثلت أمامي كلَّ أحلامي، وأنني نفسي التي أردت فأعطاني ورغبتُ فوهبني، وكلَّ ما تمنيت في نفسي سرّاً رأيته أمامي، فلا أعجب الآن من قدرٍ ولا أشكّ في ظلمٍ ولا أتساءل عن بلاء.

فأنا من دعوتُ سرّاً وكان الله أعلم برغبتني من نفسي، فحققها، وعلم أنّ ما لم يكن لي لو كان لي لم أكن لأسعدَ به كما أنا عليه الآن.

"بل الإنسان على نفسه بصيرة"¹³¹ وأنا أدري أنني رغبتُ في قدرٍ ربما ظننته خيراً على الرغم من أنه كان صعباً، وأنني سألتُ الله رزقاً ما رزقه أحداً من قبلي، وأنني سألتُه من لدنه علماً تعلو به منزلتي.

كلَّ رغباتي كانت سرّاً في نفسي، تمتمتُ ببعضها في دعائي ليلاً، حيثُ السكون وحيثُ تطوى الأسرار، وربما رغب بصري في مكانٍ ولم أهرس به، لكن الله علم به ودرى، فعجّل لي برغباتٍ وأخر بعضها لحكمة أرادها لم توصلني إلا لما فيه رشدي.

"أنا عند ظنّ عبدي بي"¹³² وما الظنّ إلا مفتاح الدعاء وسرّ الرجاء، فلا تدعون الله دون ظنّ يقيني بأن الله مطلع على رغباتك، ولا تظنن أن الله لا يعلم ما ترجو وترنو إليه.

أحسن الظن، وارفع الرغبة له وحده، وسبّحه وحيداً، سبّحه ليلاً طويلاً حتى ترى ما تتمناه أمامك ولو بعد حين من الدهر محققاً.

"هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ"¹³³

¹²⁹ سورة مريم، الآية رقم 12.
¹³⁰ الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيق الشيخ الألباني ص72.
¹³¹ سورة القيامة، الآية رقم 14.
¹³² عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب إلي بشيرٍ تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولة" رواه البخاري ومسلم.
¹³³ سورة النجم، الآية رقم 32.



"الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ"¹³⁴

"وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ"¹³⁵

فالأم من الخوفِ نعمةً وانعدامه بلاء، كذلك الجوع والشح، كلُّها مصائب إذا حلت بأقوامٍ أنهكتهم، وأفسدت معاشهم، والصبر عليها لا يقدرُ عليه إلا من سلّم أمره لله تسليماً واعتصم بحبلِ الله اعتصاماً تاماً وصبراً صبراً جميلاً.



"وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ"

حمداً لله على كل ما حلّ من خوفٍ وجوعٍ ونقصٍ من مال، ولا ندعو إلا أن نكون من الصابرين، اللهم اجعله نصراً قريباً وأعدنا من تبدّل نعمتك مراراً.

قال أبو بكر العطشي للسري السقطي: "ماذا أراد أهل الجوع بالجوع، فقال: ماذا أراد أهل الشبع بالشبع، إن الجوع أورثهم الحكم، وإن الشبع أورثهم الغم."



"عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجٍ ۖ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۗ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ"

صدق حين قال وما أريدُ أن أشقَّ عليك، وقد علمَ عن خبرةٍ أو علمٍ أوتيه أن مشوارَ السفرِ وتأسيسَ أعمدةٍ في الغربة يحتاجُ إلى هذا العددِ من السنين فعلاً. وقد سافرتُم وعلمتُم ورأيتمُم أن السنّة في الغربة كما لو أنّ أحدكم تذوق طعاماً ولمّا يعلم مكوّناته ولا كم من المدّة يحتاج لينضج. أمّا السنّة الثانية فتمرّ على النائم لتوقظه، ولا يعي ما حوله حتى أن تدخل السنة الثالثة وربّما بدأ المشوار عندها.



"وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"¹³⁶

فهب لي يا ربّ صبراً على مُصابٍ لم أعدْ أطيقُ أحماله وعلى أنقالٍ لم أزل أُجرّها إلى قدرٍ لم أعلم له أجلاً.

¹³⁴ سورة قريش، الآية رقم 4.

¹³⁵ سورة البقرة، الآية رقم 155.

¹³⁶ سورة لقمان، الآية رقم 17.



"مِي نُسَبِّحُكَ كَثِيرًا (33) وَنُذَكِّرُكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا"¹³⁷

تلك غايئتنا وما قصدنا من سؤلنا...

فيا رب اجعل لنا وزراء من أهالينا ولم شملنا واشدّد عضدنا بإخوتنا وأزواجنا وذريّاتنا... آمين.



"وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۗ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا"¹³⁸

الحمد لله الذي علّمنا ما لم نكن نعلم ولا نفهم، ولولا أن علّمنا لكانت حالنا كحال من نُشْفِقُ عليهم حين نراهم جاهلين متهاونين في أمور دينهم ودنياهم. فلنحمد الله أن منّ علينا بالعلم وأنزل لنا دستوراً نحيا به حياتنا الدنيا بما فيها من صلاةٍ ونسكٍ ومعاش.



"الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ"¹³⁹

ما أنعمها من حياة نعيش فيها الأحسن من كلّ ما نسمعه! الأحسن في شغلنا وصحتنا ومعاشنا وعلّمنا ورزقنا، فنكون ممن اهتدى وأعمل عقله ليعيش حياةً دستورها القرآن في حُسْنِها وأحْسَنِها.



"سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"¹⁴⁰

أسألك من ذلك الفضل يا عظيمًا، ومالي سوى فضلك سؤالاً.



"قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا"¹⁴¹

"وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ"¹⁴²

¹³⁷ سورة طه، الآية رقم 33-35.

¹³⁸ سورة النساء، الآية رقم 113.

¹³⁹ سورة الزمر، الآية رقم 18.

¹⁴⁰ سورة الحديد، الآية رقم 21.

¹⁴¹ سورة الكهف، الآية رقم 109.

¹⁴² سورة لقمان، الآية رقم 27.

تكفينا هذه الآية دعوةً صارخةً لطلب العلم والبحث والتبحر في كافة العلوم التجريبية والنظرية، "وحتى لا يتقاعس البشر عن طلب المزيد من العلم ظناً منهم أنهم قد أحاطوا بكل شيء علماً، فقد أكد القرآن على أن ما آتاهم الله من علمٍ إنما هو قليل جداً مقارنةً مع علم الله الذي لا له حدود له مصداقاً لقوله تعالى "..." وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"¹⁴³، وقوله تعالى "وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ"¹⁴⁴ وبما أن العلم النظري لا يكفي وحده لكشف أسرار المخلوقات التي تملأ هذا الكون فقد توج القرآن الكريم منهجه هذا بحثاً للناس للاستعانة بالعلم التجريبي لكشف حقائق الأشياء. فعلى سبيل المثال، فقد أشار القرآن إلى أن بإمكان البشر معرفة الكيفية التي ظهرت بها الحياة على سطح هذه الأرض من خلال السير في أرجائها، فقال عز من قائل "أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (19) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"¹⁴⁵

وقد أكد القرآن الكريم كذلك على أن التفكير فيما خلق الله من مخلوقات عبادة لا تقل في درجتها عن بقية أنواع العبادات إن لم تكن أعلاها درجة كما قال تعالى "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"¹⁴⁶. وعلى الرغم من أن القرآن الكريم قد لفت نظر البشر إلى وجود معجزات باهرات في كل ما خلق الله من مخلوقات، وأكد لهم أن العلم هو السبيل الوحيد الذي سيقودهم لكشف أسرار خلقها إلا أنه لم يبين لهم كثيراً من أوجه إعجازها بل ترك لهم مهمة كشف تفاصيل تركيبها باستخدام العقول التي وهبهم الله إياها. وما كان الربط بين ذكر المعجزات الكونية وبين ذكر العلم والعلماء في الآيات السابقة إلا دعوة صريحة لهؤلاء العلماء لدراسة هذه المخلوقات ومعرفة تفاصيل خلقها لكي يسلموا بوجود خالق لا حدود لعلمه وقدرته يقف وراء خلقها.¹⁴⁷



"قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ"¹⁴⁸

¹⁴³ سورة الإسراء، الآية رقم 85.

¹⁴⁴ سورة يوسف، الآية رقم 76.

¹⁴⁵ سورة العنكبوت، الآيات رقم 19 + 20.

¹⁴⁶ سورة آل عمران، الآيات رقم 190 + 191.

¹⁴⁷ منصور العبادي، بداية الخلق في القرآن الكريم، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.

¹⁴⁸ سورة ص، الآية رقم 35.

هل جربت أن تسأل الوهاب ملكاً؟ هل جربت أن تسأله علماً أو رزقاً أو رحمة؟
اسأل الله من هباته ولا ترتابن يوماً من عظيم قدرته، وكن على يقين بعد ذلك أن ما ساقه إليك هو هبة
منه سبحانه وأن هبة أخرى ما كانت لترضى سؤالك.



"وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلًا"¹⁴⁹

العزائم والتجمعات العائلية ولقاءات الأحبة هل هي مُستحبة شرعاً في الليل؟ ومن أي ساعة يبدأ ذلك
الليل^{150*}؟

يقول بعضُ الأصحاب: لنسهر سوياً... ولنقض الليل سهراً ومتعاً وسمراً. فهل من الواجب أن تكون
الأنشطة الاجتماعية ليلية؟

في رأيي وحسب ما تعلمتُ من ديني، ما كان الليل يوماً فرصةً للالتنام ووصل الأرحام، وما عرفت إلا
أنه للسكن والسجود. أما السهرُ فيه لا يجلبُ إلا أضراراً وآثاراً سلبيةً على عبادتنا، قد لا تبدو تلك
الأضرار جليةً إلا بعد حين.

أذكرُ بعضاً من أضرار السهر من الناحية الصحية:

تناولتُ حملة «العقل السليم في الجسم السليم» التي أطلقها قسم الأطفال بجامعة الملك عبد العزيز منذ
سنتين، العديد من الإشكالات التي تواجه الأطفال، منها داء السكري والسمنة وأضرار السهر وأهمية
هرمونات النوم ونقص فيتامين دال والنمو المتأخر والبلوغ المبكر وأضرار الأستروجين الصناعي.
"وأوضح أستاذ الغدد الصماء والسكري بكلية الطب بالجامعة الدكتور عبد المعين الأغا أن الحملة
ستتناول موضوع هرمونات النوم التي تجهل 80% من الأسر أهميتها، مبيناً أن متوسط الوقت للنوم
من 7-8 ساعات أما الأطفال الصغار ما دون سن الدراسة يحتاجون إلى حدود 10 ساعات من النوم
يوميّاً. ولفت إلى وجود ثلاثة أنواع من الهرمونات تتأثر بالنوم المتأخر وكذلك إذا كان الطفل نائماً
والضوء موقد وهي: هرمون النمو والذي يفرز من الغدة النخامية، هرمون الكورتيزول والذي يفرز
من الغدة الكظرية، هرمون الميلاتونين والذي يفرز من الغدة الصنوبرية، مبيناً أن هرمون النمو يكون
إفرازه في الليل أكثر منه في النهار وإفرازه خلال الليل في ساعات النوم تكون أكثر من ساعات اليقظة
وكذلك في النوم يكون في مرحلة النوم العميق إفرازه أكثر من النوم الخفيف. وشرح هرمون
الكورتيزول الذي يفرز من الغدة الكظرية قبيل صلاة الفجر في الساعة الثالثة أو الرابعة فجراً يبدأ
عمل إفرازه ويزداد إفرازه إلى الساعة الثامنة أو التاسعة صباحاً عندما يكون في قمة الإفراز وبعد ذلك
يستمر إفراز الهرمون إلى صلاة العشاء وبعد صلاة العشاء تكن نسبة هرمون الكورتيزول ضعيفة في
الجسم، فهذا من خلقه الله عز وجل بأن يبدأ عمله قبل صلاة الفجر وخلال فترة النهار يكون في قمة
عمله وبعد صلاة العشاء يكون منخفضاً. وأضاف أن الهرمون الثالث وهو هرمون الميلاتونين ويفرز
من الغدة الصنوبرية ويفرز في الليل فقط وليس في النهار."¹⁵¹

¹⁴⁹سورة الإنسان، الآية رقم 26.

¹⁵⁰* الليل في القاموس: من مغرب الشمس إلى طلوعها. أما في الشرع: من مغربها إلى طلوع الفجر ويقابل النهار. قاموس

المعاني: <https://goo.gl/d4z2xz>

¹⁵¹ محمد داوود، "ثلاثة هرمونات تفرز ليلاً... وسهر الأطفال بحجبها"، موقع عكاظ، مقال إلكتروني، آخر تحديث 25 آذار 2017. تم الاطلاع

من خلال الرابط <https://goo.gl/U8grbz>

"يقول أحد الأمثال الشعبية الإنجليزية أن ((ساعة النوم قبل منتصف الليل تساوي ساعتين بعده))..... هذا ليس رأي المقولات الشعبية فحسب، وإنما تشير آلاف الأبحاث العلمية حول العالم لأضرار السهر على الصحة البدنية والنفسية وصحة الحامل والنمو الطبيعي للأطفال والأجنة.

يرتبط النوم ليلاً بإفراز هرمون الميلاتونين (Melatonin)، الذي يزيد إفرازه في الظلام ويقل في وجود ضوء النهار. وعندما تطيل السهر وتقلل من عدد ساعات نومك ليلاً، فإنك تحرم جسمك من إفراز القدر الكافي منه، فتختل مستويات هذا الهرمون في جسمك، ما يؤثر سلباً على انتظام الوظائف التالية لديك: معدلات وأوقات النوم والاستيقاظ (الساعة البيولوجية)، حرارة الجسم، توازن السوائل داخل الجسم، الشعور بالجوع والشبع. فإذا ذهبت للنوم بين الساعة 11 مساءً و7 صباحاً، فإن جسمك يستفيد بقدر أكبر... مقارنةً بشخص آخر ينام ما بين الساعة الثالثة صباحاً والحادية عشرة صباحاً. رغم أن كلاهما تحصلان على نفس القدر من النوم (8 ساعات)، إلا أن السهر يحرم الثاني من التعافي من آثار إرهاق عقله وجسده أثناء الاستيقاظ.¹⁵²

إضافةً لما سبق، هناك آثار سلبية أخرى كصحة القلب وانخفاض الرغبة الجنسية (أو البرود الجنسي) والسمنة وزيادة الوزن واليأس واسترجاع الصور السوداء. مما يعين على تجنب السهر رغبةً في القيام في الليل:

"اتباع السنّة في النّوم؛ وذلك في وقت النّوم وكيفية الاضطجاع وغيرها، كما يلي: النّوم أولّ الليل؛ فإنّ في ذلك عوناً كبيراً على قيام الليل؛ أما من ينام نصفَ الليل أو بعد ذلك فإنه يشقُّ عليه القيام؛ لأنه لم يستوف راحةً جسده وحفّه من النّوم، وحقُّ المرء من النّوم في اليوم واللييلة ثمان ساعات؛ دلّ على ذلك حديثٌ وصف صلاة داود عليه السلام؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنّ رسول الله ﷺ قال: «أحبُّ الصلاة إلى الله صلاةُ داودَ، وأحبُّ الصيام إلى الله صيامُ داودَ؛ كان ينام نصفَ الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً»¹⁵³. ولو جمعنا السُّدسَ إلى النّصف لكان الثلثين، والثلثان ثمان ساعات إذا كان الليل اثنتي عشرة ساعة؛ ولمّا كان المؤمن يتأخّر عن النّوم في أولّ الليل لأداء العشاء كانت القيلولة عوضاً له عمّا ينقصه من النّوم؛ ليتّم له ثمان ساعات أو قريباً منها؛ فإذا جاء ثلثُ الليل الآخر إذا هو يقظٌ نشيطٌ، وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقبلُ وينام أولّ الليل، وقد ثبت ذلك عنه؛ روت عائشةُ - رضي الله عنها - أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان ينام أولّ الليل ويقوم آخره فيصلي. متفقٌ عليه، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يكره الحديث بعد العشاء كما في البخاري.¹⁵⁴



"قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ" ¹⁵⁵

يا ربّ اشف صدورنا حتى تشفى أبداننا!

¹⁵² "أضرار السهر على صحتك"، ويب طب، مقال إلكتروني، آخر تحديث 30 حزيران 2018. تم الاطلاع من خلال الرابط:

<https://goo.gl/Gv86A2>

¹⁵³ متفقٌ عليه.

¹⁵⁴ رقية بنت محمد المحارب، الإبانة عن أسباب الإعانة على صلاة الفجر وقيام الليل، دار ابن خزيمة.

¹⁵⁵ سورة التوبة، الآية رقم 14.

"هذه الثمرة، وهي ثمرة عجيبة. إن الله بالجهاد يشفي صدور قوم مؤمنين، ويزيل ما علق بها من أمراض وأعراض، وآثار ونتائج، وهذه الأمراض لا تُزال إلا بالجهاد، ولا تتخلص منها صدور المؤمنين إلا بالقتال.

ما معنى هذا؟ ومن أين تسللت تلك الأمراض والآفات إلى صدور المؤمنين؟

إن السبب هو القعود، والتخلف عن الجهاد، والتوقف عن الحركة لهذا الدين، والتخلي عن المواجهة لأعداء الله. هذا القعود البارد، وهذا التخلف المذموم، يسبب كثيراً من الأمراض والآفات، والأعراض الخطيرة... لقد أوجد الله الكون على الحركة والنشاط، وكل ما فيه يتحرك، حتى لو بدا واقفاً، كالأرض التي نعيش عليها، والكواكب المتناثرة في الفضاء.

وقديماً قالوا: إن سكون الماء وتوقفه عن الجريان يفسده، ويجعله أسناً ننتناً، وإن حركة الماء وجريانه في الينابيع والعيون، يحدده وينظفه وينشطه، والحياة لا تقبل السكون والتجمد، وإذا سكنت أنت فإن أعداءك لا يسكنون، ولا يتوقفون عن حربك وحرب دينك، وسكونك وقعودك إفساد لك، وسبب في هجوم الأمراض عليك. قال تعالى: "...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ"¹⁵⁶

¹⁵⁶ سورة البقرة، الآية رقم 251.

السَّعَادَة



*157

هناك الحياةُ كما هي.. سماءً وعصافيرُ وغيومٌ وألوان
هناك الأمانُ والاطمئنانُ وإطلاقُ العنان

*157 "تأليف الأشكال"، من مشاريع الرسم في مهنية القبة- طرابلس، لبنان، 2013.

السعادة الحقيقية لا تكون فقط في أن يسيرَ الله لك الخيرَ، بل أن تكون أنت السبب في جلب الخير لمن حولك، فقد تهدي لهم حكمةً أو عملاً أو رزقاً بقصد أو بغير قصد، وليس أفرحُ من أن يشهدوا لك بذلك فيدعون أن جزاك الله كلَّ خير، ستشعر حينئذٍ حقاً بدموع الفرح والرضا عما قدمت يداك.



اغتنم لحظات السعادة الصغيرة ولا تنتظر اللحظات الكبيرة فقد لا تأتي أو تتكرر.



ما أمرها من سعادة، عندما يصلُ بك غنى المالِ إلى أن تلعبَ بالأموال دون درايةٍ حتى توارى عنك الأموالُ معاني السعادةِ المُجرّدةِ من أيِّ قيمةٍ ماديّةِ.



من أسوأ ما قد يعيشه الإنسانُ أن يهربَ من المنزلِ باحثاً عن سعادةٍ خارجِه وناظراً خيطَ أملٍ يتعلقُ فيه ليكملَ المسيرَ... ليكملَ المسيرَ في أيِّ ظرفٍ بعيداً عن ذلك المنزلِ.



السعادة لا تشترط ألا أتمنى الموتَ، فليس كلُّ مَنْ تمنى الموتَ حزيناً... ربّما اشتاقَ للقاءِ ربّه.



بعضُ الناسِ بإمكانهم العيشُ دونَ ابتسامٍ أياماً وأياماً... هل يُعقل أن يكونوا سعداء من الداخلِ؟



سعادتي بعطائي، وأنني ما عشتُ أنايئةً لنفسي حتى ولو كان على حساب نفسي.



سعادتي أن الحياةَ الدُّنيا عافتني وألقت بمتاعها بعيداً عن هوايِ واهتمامي.





*158

هناك كبرت ... حيث السماء الصافية والأفق المتسع... حيث لا مجال للتزييف



أعيش مُرتاحةً البال بلا خوف من تبعثر أموالِي... فلا مالَ لديّ ولا أملكُ ما أخشى فقْدانه...
يحرزني صاحبُ المالِ حينما أراه مغتَمّاً غارقاً في هموم أمواله... كيف يصرفها أو ينمّيها ويحميها؟
يخشى عليها دائماً من السرقة والاستغلال، ويعيش في وساوس خسارتها ويقضي وقته في حسابات
أرباحه وخساراته، فلو أنه علم معنى السعادة بلا هم الأموال لأحرقَ أمواله وعاش مرتاحاً البال.



سعيدةً كنتُ وسأبقى...
سعيدةً بحياةٍ شابَهت مقدارَ كسرةِ حياتكم، جلاً وترحالاً وطلباً وزهداً، يا من صحبْتُم وتبعْتُم رسولنا
الحبيبَ رضي الله عنكم وأرضاكم.

*158 صورة من حي القابون الدمشقي، من سطح منزلي أيام الفتوة، التقطت بيد الأخ الكريم أحمد النبي.

آدم وحواء

قد ينسجم اثنان بينهما فرق في العمر، وقد ينسجم اثنان بينهما فرق كبير في المستوى الاجتماعي ولكن لا ينجح اثنان بينهما هوة فكرية .. الفرق في العمر يعوضه التقارب الفكري .. والفرق في الدرجة الاجتماعية يعوضها التقارب الفكري.. أما التفاوت الفكري فلا يعوضه أي شيء.. لا مال ولا سلطان ولا جمال .. والجاذبية الحقيقية للإنسان هي جاذبية فكره ..

وقد يكون الإنسان جميلاً ولكن ثقيل الدم.. وثقل الدم معناها انغلاق العقل.. أما خفة الظل فتعني فكراً متجدداً ابداعياً.. تعني حركة الفكر الإيجابية.. تعني الذكاء.. تعني المهارة الاجتماعية.. تعني ذكاء الوجدان معناه القدرة على الوصول إلى القلوب والعقول معا والتأثير فيها.. ذكاء الوجدان معناه الإحساس بالآخر وقراءة أفكاره ومعرفة حالته الوجدانية حتى بدون أن يفصح.. ذكاء الوجدان معناه تقدير ظروف الآخر والإحساس بآلامه واحتياجاته..

jalila_almirza #اقتباس 

كم كانت ذكيةً عندما احتمتُ به وكم كان بارعاً عندما احتواها. هي تبتدئ الحكاية فقط بأن تلفتَ نظره وتأسرَ ثقته، وهو يكملُ الحكاية حين لا يستطيعُ أن يهربَ من شباكها.



شعورُ الغيرة هو ذلك الجاذبُ الذي يجعلُها تُحيطُ بعينها كلما اقترب أحدُهم منه، وهو ذلك الدافعُ الذي يرمي بخطواتها إليه كلما ابتعدتُ عنه وكلما حاولَ أحدُهم التحدُّثَ معه، كأنها تقولُ في نفسها: يالْحَظْكم وأنتم تحدثونه! يالْحَظْكم وأنتم تسمعون كلماته! كأنها لا تريد أن تفوتَ على نفسها مراقبةَ شفثيه وسماعَ صوته ومتابعةَ حركاتِ يديه، عساها أن تنالَ منه نظرةً وابتسامةً ومجاذبةً حديثٍ.

أما هو فشعوره بالغيرة هو اهتمامٌ لا حدودَ له، يمنعه من النوم ليلاً إن لم يعلمَ أين ستكون هي نهاراً، حتى ولو اضطرَّ لطلبِ الاتصالِ بها ليطمئن: أهي مع غيره أم في قوقعتها الأمانةِ مستورة الجمال؟ هو تلك الحماية التي يهبها لها إن أحسَّ أن عينَ معجبٍ خُطفَت إليها أو أن كلمةً غضبٍ كسرت قلبها أو تعبَ ألمٍ بها وأطفأ بريقَ عينيها.

أدم وحواء! ما أجملكما حين تغاران على بعضكما!



مهما أخفى اهتمامه فلن يهرب فيضُ الرِّقَّةِ من سؤاله لها: أمطمئنة أنت؟ أمرتاحة؟ هل أساعدك؟ من سيكون معك؟

وعند آخر سؤال تبتدئ حواء لعبثها، فإما أن تثيرَ جنونه وتخبره بمقابلة غريب ما، أو تبدي وداعتها وتفصح عن وحدتها فتجبره أن يكون هو أنيسها.



الإعجاب..

هو أن يلتزم أكثرَ علامات الرجولة أمامها ويفكر طويلاً: هل لاحظت؟

الحب..

هو أن يبتسم إذا رآها، ويضحك إذا تحدثت إليه.

العشق..

هو أن يضمها بين يديه ويشاركها الضحكة والدمعة.

الأنس..

هو الرابط الذي يشده لأن يحملها على كفِّ الراحة كأميرة في مملكته، فتهدب له السَّمع والولاء كوليٍّ أمرها.

الاحترام..

هو أسمى الدرجات، حين يشاورها كملكةٍ وتطيعه كملك، وحين تُسلم جمالها ووداعتها لنفسه كأنثى فيكون لها ذكراً رجلاً ونوراً لعينيها.



أقسى حزنٍ مرّ في حياتها، حزنها على ذلك المجاهد الصابر الذي سلبته الحربُ كلّ ما يملك حتى ما بقي معه فلسٌ يطلب به ودّها، وهو صامت لعزّة نفسه، يتحرّق لأن يضمّها ضمّة واحدة تطفئ نار شوقه وتخفف أُنّات أنفاسه. وأقسى من ذلك حين تعلم أن أُنوثتها ستكون دواء علّته وراحة قلبه المُضنى لكنّ عقنّها تحولُ بينها وبين أن تناديه ليخلدَ إلى حجرها الدافئ.



قلتها مراراً وتكراراً، وأطلبها مجدداً أن ارفق بحالها وراع قلباً ضعيفاً لو أبديت له الاهتمام سرّح في الخيال، فإذا امتنعت عن اهتمامك فجأة كسرت القوارير.
رفقاً بحالها... صارحها
ورفقاً بحاله... لا تخضعي بالقول له.



هل من العيب أن تخطب المرأة الرجل إذا رأته من حسن دينه وأخلاقه؟ هل من العيب أن تعرّض بإعجابها؟
جوابي أنا هو: لا... وسؤالي فاتحة نقاش لموضوع أهمّله المجتمع وقلّب جوانبه في صالح الرجل ليرمي عليه مسؤولية الحب والتربية والرزق والكسوة، دون أن يعطي انتباهاً لشراكة المرأة في تحمّل كلّ تلك المسؤوليات.



لا تُتعبني فكرك يا ابنة حواء بالتفكير بابن آدم الذي يعرّض ولا يصرّح، ويكُن في نفسه ولا يعترف حتى يقول قولاً معروفاً.



في فترة الخطوبة...
لا ترهقي أعصابك بانتظار اتصالٍ منه أو وصلٍ، إن اتصل أجيبني وإلا فوقتك ملكك لك، وطاعة ربك وانشغالك بنفسك أولى.
ثم إذا اتصل لا تعتبي أو تلوميه، لن يفيدك ذلك بشيء ولن يزيد من اتصالاته.
سيتصل عندما يشتاقت.



إذا كنت ترهين تحمّل أطباع رجلٍ واحدٍ فلتعلمي أنّ تحمّل أطباع رجال كثيرين أصعب وأقسى ألف مرة. وذلك يحصل عندما تختار أنثى العيش لوحدها في بيئة عملٍ مختلطة وتقرر أنها سوف تحمي نفسها من كلّ من يحاول التماس ودّها.



بقدر ما تحبُّه تتمنى ألا تراه أو تسمعَ صوته، وتتمنى لو أنه يعيش في كوكب آخر بعيد عن كوكبها كي لا تعلم أنه موجودٌ في هذه الحياة التي قد تقضيها بدونه...
بقدر ما تحبُّه تصارع آمالها، آمالاً في أن يطلب ودّها، أو أن يرحلَ بعيداً!
تأمل أحياناً في أن ينساها وتنساه، ثم تعيد لها أقل كلمة أملاً ويهبّ في قلبها حينئذٍ سريعاً لا يلبث أن يزول حين تنظر إلى نفسها الوحيدة وتراها تجلس في مكانها بدونه...
وحيدة... متعبة... ما تزال على حالها، فأنى للأمل أن يكون له مكان؟



تبدأ المأساة عندما تعشقُ ابنةَ حواءَ ابنَ آدمَ من جانبها فقط ولا تلقى منه إيجاباً.
ففي تلك المأساة عليها أن تكون شجاعةً لتحمل مسؤولية عشقها وأن تتنفس نفساً عميقاً يمنع البكاء كلما خطر على بالها ذلك الذي لم يلق لها بالاً.



حين يحترمها بصدقٍ لا يمكنه أن يدعها تنام حزينة، وحينما تشعر هي بكل ذلك الاحترام تأخذ دور الطفلة المدللة وتتركه يواسيها حتى يرتوي فؤادها بكلماته الناعمة ومشاعره الرقيقة، وبعد ذلك تبتسم وترضى.



ما أجملها ضحكته عندما تُفقد ابنةَ حواءَ عقلها.



هناك أصنافٌ من بني آدم يملكون مشاعرَ وحشيةً وإعجاباً خادعاً وغيره قاتلة إلا ما رحم ربي، فاحذريهم يا ابنة حواء.



وما ينفعلك أنكِ على استعدادٍ لتحملِ همومَه وهو في غنى عنك؟!!



لا تجبروه على طلب يدها؛ هو أدري بما احتاجته نفسه وما اجتاحتُه به مشاعره.



عجب له ولسذاجته حين يسأل نفسه: هل أستطيعُ أن أوقفها عند حدودها؟
بدلاً من أن يساندها ويعظمَ معها.



ربّما تراها قائدةً عليهم وتحبُّ أن يسودَ أمرها لكنّها إن أحببتك واحترمتها ستذعنُ لك وتسرع في الطاعة.



ما أجملها حين تسأله كلّ يوم قبل أن يغادرها إلى عالم أعماله: "أراضٍ عني أنت يا شريك عمري؟" فيجيبها بأعلى القُبلات.



لا ينتظر أحدٌ أحداً ولا يظنُّ ابنُ آدمَ أنه سينتظر ابنة حواء مدى حياته فإنه سيسألُ أمام الله عن وعده لها بالانتظار وسُئِلَ هي عن مشاعره التي أهملتها وأغفلت وعده.
لا تشعرى بتأنيب الضمير إن وعدك بأنه سينتظركِ مدى الحياة ثم أنتِ لم تنتظري، فمن حقكِ أن تختاري دربكِ دون تقيّد بوَعده. وما جبره أحدٌ على اتخاذ وعد ولا عُذّبَ ليَهَبَ حياته حياةً أخرى بل هو عُذّبَ نفسه حين سجنها بمشاعرٍ هو أَلْفها وهو عاشها وعاش نتيجتها.



معظم من طلب ودّها كرّر طلبه عدة مرات، وفي كل مرة كان القدرُ أقوى من ينال منها لمسة أو التفاتة.... وما زال سرّ قلبها الصّامد غامضاً إلى الآن، منتظراً زوجه الذي يستحقّ أن يسكن إليه.



اعلمي أنّكِ بالزواج ستدفعين أكثر مما تأخذين فلا تنتظري لحظة الزواج لترتاحي من هموم العزوبية.



"سأكتفي بكِ حلماً...."

ما أشدَّ وقعها في قلبها حين أرسل عبارته معترفاً بما أخفاه لأكثر من عام، منتظراً اللحظة المناسبة والوقت الحاسمَ لينهار حاجزُ الجيش بينهما ويلقاها ويغمرها بحبه وصدقه. فما جاءت تلك اللحظة ولا انهار حاجز الجيش ولا التقيا، خاصةً بعد أن صارت هي في بلادٍ بعيدة وبقي هو حبيس قريةٍ ما كانت قريته وما كان أهلها أهله بل لجأ إليها هارباً من حربٍ، ناجياً من إصابةٍ، فأودت به تلك القرية حبيساً وحرمته حبه و..... لا مجال لمزيد من التفاصيل المؤلمة.
لا مجال إلا أن نرجو الصبرَ لكلِّ ابنِ آدمٍ عفيفٍ ما استطاع اللقاء بحلمه من بناتِ حواء.



لم تشأ من فارس الأحلام أن يكون فارساً لراحتها، بل أرادته عوناً لها على دنيا توصلهما إلى جنة عليا.

لا تحبُّ هي الزيناتِ والمتاعِ من الدنيا، ولا تحبُّ كلَّ ما يفنى، إنها تحبُّ المسارعةَ لغرس شجار طيبة في دنياها وأحراها، ومن أراد تحطيم حلمها ذلك جعلها فقط مزهريّة يتغنى بجمالها قابلته بقسوة ربما لم يشهداها.

لم يكن فارسُ الأحلام بحدِّ ذاته حلمًا، هو فارسٌ تعيش معه حياةً أخرى أفضل من حياتها بكلِّ معانيها وبكلِّ نواحيها...

لا تريدهُ رجلاً يعيشُ معها فقط عاداتٍ معروفةً لكل الأزواج، ولا موظفًا لنزهاتها، ولا عاملاً من أجل إطعامها، فهي ليست فريسةً ولا ساذجةً ولا طفلةً... بل شريكة حياة.

وما معنى شريكة حياة؟ ما معنى زوجة؟ ما معنى أن يسكن إليها؟ وما معنى أنها اختارته شريكاً؟ هو ذلك الشريكُ في الحياة الجديدة التي تخلتُ فيها عن أهلها لتعيدَ أخلاقهم بصورةٍ أفضل، ولتتفادي ما رأته خطأً أو عيباً في عاداتهم. فتركها منزل أهلها ليس تخلياً بل سعياً لمنزلٍ جديدٍ تعمّره المودة والرحمة والطاعة وبذل الخير. وإن تركها حياتها المستقلة ليس يأساً بل أملاً بعملٍ مثمرٍ أكثر وأقرب إلى رضا الرحمن.

أنا يا صاحب السعادة متعبةٌ إلى أن بلغَ بي الظنُّ أن أجلي على بعدِ شهرٍ من الآن، لكن قُربك زادني تفاؤلاً أنك ستساعدني لأبدأ من جديد بعد كلِّ تلك البدايات الجديدة المتعبة، وأن يديك ستحملني إن وقعتُ وجذعك القوي سيسندني إن انحنيت.

أنا يا صاحب الدوق أميرةٌ نائمةٌ تنتظرُ منك إيقاظها على أصوات الانتصار، الانتصار للإخوة والدين والإنسانية، لا على أصوات التصفيق لمتاع دنيا بالية.

أنا يا صاحب الإحسان ابنهُ نسبٍ مفعمةٌ بالحبِّ وقد أرفقتُها أصوات الطامعين بعذوبة صوتها وبراعة قلبها، ولا ترجو منك إلا أن تحترم حبّها وتقابلها بابتسامة الواصل بها. كن واثقاً بها فقط أنها لم تخترك لتأخذُ منك بل لتعطيكُ وأنها اختارتكُ شريكاً بطمأنينة نبعث من داخلها وبرغبة منها في أن تعينك بحنانها على قسوة الأعمال وقسوة معيشة الأيام.

أنا يا صاحب القوامة مؤمنةٌ بأن رضاك فوق رضا الناس، وأن طاعتك واجبةٌ كما وجبت لأمي وأبي، فأرجو أن تعاملني كما المعاملة التي عهدتها من أبي وأرجو أن أكون كما الابنة الطامعة بكرمك كي أظلّ عزيزةً في مملكتك كما كنتُ عزيزةً في مملكة أبي.

أنا لك ما دمت لله عبداً، وأمينةٌ لسرك ما دمت صادقاً، وخاتمةً في إصبعك ما دمت موفياً بوعدك وملتزماً بعهديك في ميثاقنا الغليظ الذي أخذته منك ووهبتُ لك بناءً عليه أنوثتي.

فلا تُفلقُ أمني بقلقٍ أو شكٍ أو ريبية، ولا تظنّ أن ثقتي بك ستدنو مع الأيام بل صدّقتني بكلِّ إيمانك أنني ما تمنيتُ إلا أن أكونَ أمّةً لله ملتزمةً التقوى وأنني كابنة لحواء ما عشتُ على هذه الأرض الدنيا إلا لأعود برفقتك إلى جنة عليا.

فلا تعدّ بي خطواتٍ إلى الوراء، وتقدّم معي إلى المستقبل، وتعالٍ نتقرب معاً إلى ربنا الذي جمع بيننا بالخير.

أبوحُ لك يا من عيناك سكني أنني دعوتُ كثيراً بعد تلك السنين أن يجبرَ الرحمنُ كسري بعملٍ صالحٍ يقربني، ومناي الآن وكلُّ أمني أن تكون أنت عملي الصالح وأن أكون لك بالمقابل طيفاً مصاحباً

لروحك الزكية يلهمك الصبر والخير وأن أكون يداً حانيةً تمسك على يديك بقوة كلما وهنت أو استكنت أو نالت منك الأيام كداً.

أبوخ لك بشكري لذوقك وحسن أخلاقك وحسن عبادتك، ولجراتك في أن تحمل عني همماً وأن تكون لي عوناً وأن تكون لي رجلاً شهماً، وأعترف بصدق أن رفيف عينيك قد أسر كل إعجابي وجعلني لاحق بعيني ما نظرت إليه عيناك دون قدرة مني على المقاومة. ذابت مقاومتي على صرف النظر عن رفيف عينيك وجاذبية قسما وجهك، تلك هي الحقيقة. وعذراً على صراحتي... عذراً على خلوصي بإعجابي... لكنني لا أجد الالتواء وما عدت قادرة على أن أخفي ما بات ظاهراً في تعبيرتي وفي نظرتي وحتى في النبر من صوتي.



لا تقطعي وصل محبوبك، فسعادتك بوصله هي أشد أنواع الدوافع لحب الحياة، حيث يدفعك إلى حب الضحك والحركة والإبداع في كل شيء. والسعادة بقربه لا تساويها سعادة من ملذات الدنيا، خاصة عندما يبادل شعور السعادة ذاته وتخطر في بالكما الخواطر نفسها، حينها تعيشان عالمكما الخاص في جنة حدودها الدنيا وكما لها الآخرة -بإذن الله-.



شرفها الله بباقة من الابتلاءات وقدّر لها مسيراً في اتجاهات مغايرة عن الجميع لتعلم أن قد هيأ لها الدرب لتقود عالماً من العباد إلى الوسيلة... من أجل ذلك كانت في حاجة إلى رجل غير عادي يشد على يديها لإتمام ذلك العهد الغليظ. رجل يخوض معها المغامرات العظام، لا أن يبتغي العيش بين أربعة جدران مع رائحة الطبخ وصوت بكاء الصغار.



لم تعد حسرتها عليه مجرد حرق في القلب، بل صارت غصةً وصداعاً وسماً خانقاً تتصاعد معه درجات الألم كلما بكت عليه وكما لاحت لها صورته.



ما أمر طعمها تلك اللحظات التي تشعر فيها ابنه حواء بجِدٍّ أن طيف ابن آدم يتلاشى من أمامها شيئاً فشيئاً وأنها تفقده وهو على قيد الحياة.



أرجوك أخبرني إن كان حُباً أو وهماً...



أرجوك لا تتعنتني بالقاسية...
فمن ضَعَفِ قلبي لم أعد أقوى على لقياك وأفضلُ أن أنأى بجسدي عن أرضٍ تسكُنُها عسى فكري أن
ينأى مع الجسدِ وينتهي عن ذكراك.



مهما بدتُ بئسَةً، ستشعر بالامتنان لرجولتك عندما تحتوي كل ما فيها، وكم ستكون نشواناً بامتنانها.



ما رأيتُ عينين تحكيان كما تحكي عيناك...
كأنهما تنسجان شعراً ونثراً يفيض حباً وألماً وسعادةً وبؤساً، وكأنني أسمع كلماتهما في كل أحوالك
صمتاً وكلاماً، حتى قلبي صار يجيبهما وينبض لبريقهما ولهاً وإعجاباً....
وما أجملهما حين تُطرق النظرَ صامتاً فيبدو الرمشُ كحلاً، ويبدو الجمالُ كأنه جمالُ أنثى وسحراً
جاذباً... أتأمله في حضرتك وأعيشه في غيابك خيلاً.



آه لو تشعروا ما بداخلي، وأنني لأجله سأتركُ البلادَ ولأجله سأسافر بعيداً حيث لا أراه؛ فرؤيته وحيداً
تحرقتني وصبره يتعبني ومعاناته تذيبني. وأنا في حضوره ضعيفةٌ لا أملكُ إلا الغنجَ أو البكاء؛ لكن
كلاهما محرّمين عليّ أمامه... إلا أن أكون أنا... والواقعُ أنني غريبة.
ذلك هو الواقعُ الذي لا مفرّ منه إلا أفرّ من البلاد.



نهايةً اهتمامكما ببعضكما فيما لم يشرع به الله....
ها أنا أراك كغيرك ممن عرّضوا ولم يصرّحوا، وتقرّبوا ولم يتجرؤوا، واهتمّوا ولم يكملوا...
ها أنت ترميني في شباك الحيرة وتتركني وقلبي الضائع النادم على ما أبديتُ لك من إعجابٍ وأنا
أخشى العصيان أو أن أكون قد تجاوزت حدود التقى، وأتمنى كل يوم لو أنني ما عرفتك وما دريتُ
عك ولا رضيت بذلك العملِ لأجلك. يا ليتني سافرتُ بعيداً وقطعتُ حدوداً بدلاً من السفر في أشواقِي
إليك التي تبددت وتناثرت وأحرقت ما بقي لديّ من أملٍ في أن يكون بجانبِي رجلٌ أحتمي به.
ها أنا أراك جباناً كغيرك ممن لم يصمدوا أمامي، وأراك غرّاً في اتخاذ قرارِك ولا تقو على تغيير ما
في نفسك. فلا أدري لم أضعتُ وقتي في حتك على أن تكون شجاعاً، ولا أدري لم كان عليّ أن أضحي
بمشاعري لأجل مشاعرك وأنا أخدع نفسي أنني في طريق الحلال، في حين أنه كان فعلٌ يؤدي إلى
الحرام. أقول "حرام" وقلبي يحترق خوفاً وألماً وندماً وأنادي في كل أنثى وذكر أنّ اهتمامكما ببعضكما
نهايته واحدة من ثلاث، إما الحرام أو الحلال أو جرحٌ مؤلم لأحدكما؛ فلما أن يجمع الله بينكما، أو
ترتكبان أخطاءً تستمران فيها إلى زمن ما، أو يميل كل منكما إلى الالتزام بحدود الله والابتعاد طلباً
لرضاه، حينها لا بدّ لأحدكما أن يكون قلبه معلق بالآخر والابتعاد عنه مصيبة تجلب الهم والأحزان.

أرجوكم حاذرا، ثم حاذرا، ثم حاذرا وتنّبها لأوقات ضعفكما، ففي تلك الأوقات تقعان في الفخاخ وتظنّان أن لا بدّ من شريك للدرب مهما كان ذلك الشريك وأياً كانت علاقته. ولا يغركما أنكما تهتمّان فقط اهتمام، لأن الاهتمام إحدى درجات أولها مشاعرٌ وآخرها حياة، حياة تعيشانها سعادةً أو غماً.



لم التعريض والتلميح إذا لم تكن تنوي المجيء؟

لماذا قد يفعل ابن آدم بابنة حواء ذلك؟

يغزل لها من الألحان والأنغام كلمات حبٍ معسولةٍ ممزوجةٍ بمشاعرِ الولهّان، ثم ينسحبُ انسحابَ الجبانِ ويتركها تدورُ حولَ نفسها، محتارةٌ في مشاعرِها؛ هل تخفيها أو تفضحها؟ وبعد ذلك تغرق ابنةُ حواء في دموعها، وتعيش حسرةً سوداءً في قلبها.



أتمنى ألا أكون على قيد الحياة حين سأعلمُ أنه عقد قرانه على ابنة حواءٍ أخرى.



ألا عجباً من قسوتهم...

لا أصدق الآن أنني أكلّمه كشخص عادي لا أمتّ إليه بأي صلةٍ سوى زميلةٍ في عمل، ولا أصدق أنه سيعاملني كأبي غريبةٍ دون غزل أو عسل، ونحن من كانت أعيننا قبلاً تتخاطب بين الناس دون ملل. وهكذا تجفو مشاعرُ الرّجال فجأةً دون سابق إنذار؟ أهكذا يستطيعون القسوةً على النّساء؟ ترى هل هي قسوةٌ موروثَةٌ في طبيعتهم أم أنّهم يجدون المتعةً في التلاعب بمشاعر الضعفاء؟



إياك يا بنة حواء أن تتأملي خيراً ممن أخذ أهله كلّ اهتمامه وعاش لأجلهم، فهو سيظلّ حيّاً لأجلهم حتى ولو اضطر أن يرمي بك بعيداً ويبقى طفلاً رجلاً لأهله.



يا نسائم الهوى! أخبريه أن بعد كلّ ما جرى... لو طلبني لوجدني... ولو كنت أستطيع لحملت نفسي إليه بقدمي وكلي...

ورغم أن مجتمعي وضعفي وخجلي يقفون في وجهي، أتمنى لو أنّ غيمةً بيضاء تمرّ في سماء صحرائنا الصافية وتُشكّل من نفسها: أحبّك... عساك تراها وتعلم أنها ساعي بريد أرسلته من شوقي ومن وجدي.



إذا وقع الخطأ بينهما وأطلا النظر والكلام... ما الحل؟

يبقى دائماً الحُلُّ هو الحلال، والصلح خيرٌ من أن يذر أحدهما الآخرَ معلقاً؛ لا هو قادر على أن ينسى ولا يجد للودِّ سبيلاً. فأن يبتدئ أحدهما الودَّ وإصلاح النفوس هو خير من الندم ولطم الوجوه، ولأن يصرِّح المرء برغبةٍ خيرٌ من أن تبقى حبيسة الصدور، لا ترى النور ولا تدعه يرى نوراً. ولا يشترط أن يكون الحلال هو الصلح، بل قد يكون المفارقة، طالما أن المعروف قائمٌ فلا حرج عليهما في كلتي الحالتين، وفي كلِّ خير.



- انتهت الحكايةُ أخيراً، هل أنتِ سعيدة؟
- كل السعادة...
- لكنكِ خسرتِه، لماذا السعادة؟
- زال الرِّيبُ من قلبي، والآن أنا في الحلال، فالحلال خيرٌ لي من أنسِه فيما هو مكروه.
- كيف تستطيعين النسيان؟
- لم أنسه... ولم يزل ذكرى جميلة، أضفتُها إلى تراكماتِ ذكرياتي.
- ماذا ستفعلين الآن؟
- سأدعو لي وله: اللهم أغننا بحلالِك عن حرامِك وبفضلِك عمَّن سواك.



مساندةُ ابنةِ حواءِ لابنِ آدم...

مهما شقَّت عليه ظروفه، لستِ مسؤولةً عن إنقاذه ولا تكوني يوماً "سوبرمان" الذي سيُخرِجُه مما هو فيه، لأنكِ قد تسببين له الدمارَ أكثر. الأولى أنه غريب، وبينكما حدودٌ تحفظ لكلِّ كرامته ومشاعره، فاكتفي بالدعاء له وطلب المساعدة ممن يحق له -شرعاً- أن يكون قريبه.



لم ينفك يوماً عن الاهتمام بها ومحاولة الوصول لقلبها وإحاطتها بكل الحنان، وكلَّ ما كان يفعله يدلُّ على هيامه بها، حتَّى الذهول في عينيه والرجفةُ في يديه لم يخفيا حبَّه العميق. لكن عندما جاءت لحظاتُ الجَدِّ وتكشفت الظنون عن المشاعر ووضِعَ أمَامَ المسؤولية عن حبِّه نارَ ثورةٍ لم نعهدها منه قبلاً وأبدى كلَّ ما يملكُ من قسوةٍ كتلك القسوة التي يملكها كلُّ الرجال. فأبكاها وارتاح قلبه وانسحب عن أحاسيسه الرقيقة كلَّها ولم يزل يتلذذ في تعذيبها ويفرح عندما ينتصر، لأنَّه -ببساطة- كان يحبُّها وأشبع شهواته والآن يريد أن يثبت العكسَ ويفتري حقيقةً أخرى: أنه ما أحبُّها. وهي كالمسكينة... تعيش العذاب مرتين: مرةً عند انسحابه ومرةً لقسوته.



لم يتفقا في الطباع ولا في أنماط شخصيتهما، ذلكم كان ذنبهما الوحيد الذي أدى إلى انقطاع حبِ الودِّ والانفصال عن ذكريات الزوجية الحميمة.



عندما يختلط حبُّهما بالشقاء، ينتصر الشقاء ويولِّي الحبَّ هارباً.



أولئك هم الرجال...

يركلون من تهتهم بهم ركلاً، ويفضّلون من تتعالى بجمالها وزهوتها حتى لو تعاركوا لنيل ودّها. وربما لو سألناهم لماذا ترغيبون الزواج لأجاب معظمهم: لحبنا للزواج!! ... ولعلّ قليل منهم بحبهم للأنتى التي يختارونها.



لا رجل يشناق إلا عندما يريد، فلا تحاولي إخضاع الرجل للاشتياق لك.
ولا رجل يحنو إلا عندما يريد، فلا تنتظري حنائه واحني أنت على نفسك.



كوني على يقين يا بنت حواء أنّه إذا تمكّن من الاستغناء عنك مرة، فسيعيدها ببساطة ألف مرة. ولو رغب عنك ساعة لاستطاع أن يرميك الدهر كله.



ربما أخذ منك حبّ ذاك ابن آدم لألا يشغل قلبك عن حبه وعن حبّ عملٍ يقرب إليه، لأنك قد وصلت في حبّ ابن آدم إلى الولهان ولربما كنت ستقديه بروحك التي وهبك الله إياها. فكان خيراً أن يهديك لحبّ واقعيّ تسكنين إليه من غير أن تغرقين وأن يهديك إلى باقيات صالحات أفضل من زينة الأهل والمال والولد، ألسنت التي قلت يوماً: "ترددت في حبّ الناس خوفاً من أن يملأ القلب حباً غير حبك؟" فلمّ الدموع الآن على ابن آدم كاد أن يسرق القلب الذي وهبته الله؟! وانظري كم من الناس فقدوا ما عشقوا، فكان الفقد عوداً حميداً... وافرحي لما أخذ منك وما أعطى... حباً كان أو عملاً.



إذا كنت تناشد حلاً عملياً لمشكلة ما، فاسأل ابن آدم أولاً ولا تسأل ابنة حواء، فلأبناء آدم القدرة على إيجاد الطريقة الأجدى.



هل هناك ذكرٌ يقبلُ أنثاه بكلّ ما تشعر وبأخطائها إذا هي اعتذرت؟



لا تسألوها عن عزوبيتها فما من أحد طلب ودّها إلا باعد بينهما سفرٌ أو حدودٌ أو استشهادهٌ أو اعتقالٌ.



يقولون لي أن تجربأي وحاولي التفاهم مع ابن آدم وأنهم ليسوا سواء، فمن رأيت منه شراً قبلاً قد لا يتكرر وقد يكون غيره أفضل.. لكنني أحسّ بكل ما رأيت من بعضهم كلدغة حية قتلنتي نصف قتلة ولا أقوى على تحمّل نصف القتلة الآخر، وأفضّل أن أكمل ما تبقى من العمر نصف لديغة على أن يسرق نصفي من لا يُجيد إكرامي.



تفقدُ ابنةُ حواءِ الشّعور بأنّ أحداً ما سيكون وليّ أمرها بعد أن تتولّى هي جميعَ أمرها.



لم تهرب الحسناء منك بل اختطفنها آلامها، وهي بين آلامها تنتظرُ منك أن تتقدها.



الأنوثة اختصرتها أختُ هارون الرشيد حينما قالت: "نحن نساءً مع رجالنا ورجالٌ مع غيرهم".¹⁵⁹



اللهم بارك لهما في ميثاق زواجهما واجعل القرآن لبيتهما نهجاً كما كان لزواجهما مهراً.



"لا تخف من الارتباط بامرأة قوية، ربّما سيأتي يومٌ وتكون هي جيشك الوحيد"



"المرأة تحبُّ الرجلَ الذي يراها إنساناً متكاملأً، لا الرجل الذي لا يرى إلا جانباً واحداً من جوانب شخصيتها، إنك إذا جلست طول عمرها تخبرها أنها جميلة فأنت تخبرها دون أن تدري أنك لم ترَ منها غير هذا الغلاف الخارجي الذي نسميه نحن الجمال، وإذا جلست طول عمرك تخبرها أنها ذكية ومتفوقة فأنت تخبرها دون أن تدري أنك لا ترى أنوثتها".¹⁶⁰



¹⁵⁹ عليّة بنت المهدي، تُعرف أيضاً بـ العباسية.
¹⁶⁰ أدهم شرقاوي، للرجال فقط، دار كلمات، 2018.

فتاة مكسورة الجناح



*161

من حكايات الوحدايات

^{161*} Maya, from the anime film “Vexille”.

من أنا ومن أنت؟ ومن هي فتاة مكسورة الجناح¹⁶²؟

أنا أنثى لحفها الانكسار، وحطم الضعف عنادها، من أرض إلى أرضٍ تراها هاربةً، راکضةً، متواريةً عن الأنظار، ومواريةً همومها في جعبتها تجنباً لمذلة السؤال.

أنا أنثى خائفة النفس، تحيا بأمر دينها، رضيةً بعيشها، مزهوةً بحسنها، تخطُ كلماتها بدموع قلبها وضحكاتٍ تُغريها، ولا ترجو من دنياها إلا عملاً صالحاً يوصلها إلى بيتٍ في جنّة ربها.


أنا أنثى أعزها الله بالقرآن ورفعها بالقناعة، وأبعد عن دربها السّفاسف. قد منّ سبحانه وتعالى عليها بأهلٍ كرامٍ وذكرياتٍ عزيزةٍ وطفولةٍ مزرهيةٍ، وأحيا قلبها على مدار الإيمان.

أنا أنتِ وأنتِ مثلي، يمكننا الإحساسُ بقلبٍ شابِه قلبَ أسية¹⁶³ لولا أنّها من خير نساء العالمين- ولنا أمنيةٌ مشتركةٌ ألا تطول بنا دوامة الحياة الدنيا، كي لا تصفَعنا بالمزيد من اللطمات.

وهل تمنيتُ أو تمنيتِ غير تلك الحياة؟

اصدقيني القولَ وبوحي بالحقيقة، فأنا أعلم أنك ما تمنيتِ سخافاتِ الإناث، وترفعتِ عن ملكاتِ تقني بفناء الحياة. اصدقيني القولَ وبوحي بسعادتكِ بلحمةٍ طويلةٍ ما صنعتها بالخيال كأولئك الإناث الحالمات، وبوحي بأنّها كانت ملحمةً حقيقيةً سطرّتها بواقع الحياة الحقيقية الكاملة الخالدة.

وهل نسيتِ يوماً أنّ الله مطلعٌ على قلبك الكسير؟

لا تقولي نعم نسيتُ وإياك أن تنسي، إياك ونسيان فضله العميم ورزقه الكريم. لقد صبرت لحكمه بفضله وربط على قلبك بقدرته، فلا تنسي ولا تتظاهري بانكسارِ الإناث بعد أن منحك  إرادة الرجال.

أنا وأنتِ وكلُّ فتاةٍ مكسورة الجناح، صالحاتٍ في أنفسنا ونحبّ الخيرَ لبعضنا، ونعلم أنّ كلّ واحدةٍ فينا تهيم على وجهها حين تبقى لوحدها وتتذكر ما حدث في الخارج، وأنه لم يكن من المفترض أن يحدث لكنه حدث بإرادتنا أو رغماً عنا.

لنا حكاياتٌ يصدّفها من أراد ويكذبها من أراد ولا يهتمنا هذا أو ذاك. يهتمنا فقط أن نحظى بنصف حياةٍ باسمٍ وعونٍ على نصفها البائس.

ولن يفهم أحدٌ نقصنا العاطفيّ سوانا، ولا لقلنا المستمرّ دواءً إلا أن نعالجه بأنفسنا، فأفسنا وحدها واعيةٌ لما يجري فيها من اضطرابات وأن هناك قلقاً ما يجب أن يزول، حتى لو فقدنا السيطرة... عليه أن يزول يوماً.

ما أو من به أنّ الانكسار ليس من طبيعتنا، وأنّ علينا دائماً انتهاز أيّ فرصة لنداوي جناحنا المكسور، فنحسّن الظنّ بالله أولاً وأتّه يريد لنا التوبة والستر والعفاف.

¹⁶² فتاة مكسورة الجناح: بمفردها فلا سند لها ولا معين. قاموس المعاني الجامع: <https://goo.gl/85LPuc>

والمقصود هنا كل فتاة بلا معين حقاً أو عاشت بعيداً عنه.

¹⁶³ أسية بنت مزاحم امرأة فرعون. روى أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه "أن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكان إذا تفرّقا عنها ظللتها الملائكة، فقالت: (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) [التحریم: 11]، فكشف لها عن بيتها في الجنة". (وقال الشيخ الألباني في الصحيحة: 2508: حديث موقوف على أبي هريرة غير مرفوع، وهو في حكم المرفوع، لأنه لا يقال بمجرد الرأي، مع احتمال كونه من الإسرائيليات، وإسناده صحيح على شرط مسلم). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل التريد على سائر الطعام" (رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه). اهـ.

عبد الله الطريف، "أسية بنت مزاحم امرأة فرعون- إحدى خير نساء العالمين"، خطبة رقم 14652، ملتقى الخطباء. doc

فتاة مكسورة الجناح

بادري، وعودي بنفسك ما استطعتِ إلى حيث لا تجدين الانكسار.



الفتيات السوريات في طرابلس

كُنَّ أوَّل من بدأتْ معه رحلةُ الوحدانية في طرابلس- لبنان، ولم أكن حينها أعني واقعَ مجيء الفتيات السوريات إلى طرابلس. إذ بدأتُ في تلك الفترة من عام 2012 أتعرفَ عليهنَّ وأسألهنَّ عن سبب مجيئهنَّ، فعلمتُ أنّ كثيراً من فتيات المحافظات السورية من غير دمشق يأتين إلى لبنان لإكمال تعليمهنَّ الجامعي إذا هنَّ لم يحصلن على فرصٍ مناسبة في سورية.

- أنا جاؤوا بي إلى لبنان بحكم الإبعاد، أما أنتن فلماذا تعشن لوجدكن؟

- نحن ندرسُ في الجامعة اللبنانية.

كان ذلك قبل الثورة السورية واقعاً مقبولاً وعادياً لدى السوريين واللبنانيين، حيث كان معظم الفتيات يأتين إلى طرابلس ويستأجرن منازل في المساكن المشتركة إلى حين تنتهي الامتحانات ثم يعُدن إلى سورية آماناتٍ وسعيداتٍ بفسحةٍ قضيتها في لبنان وقطعن فيها شوطاً من العلم في الوقت ذاته. لكن الطامة الكبيرة التي حصلت بعد الثورة السورية هي أن الفتيات علقن بين سورية ولبنان لأسباب عدّة، أهمّها ظروف الحرب والنزوح وخسارة الأموال وازدياد عدد اللاجئين السوريين واختلاف ردة أفعال الأهلين.

وهاكم التفاصيل...

فقد تعرّض كثيرٌ من أهالي القرى والمدن السوريّة مع تفاقم الأزمة منذ عام 2012 إلى واقع النّزوح والهروب من القصف المدفعي أو الجويّ والذي كانت تزداد ضراوته يوماً بعد يوم -حتى الآن- وفي أحيانٍ كثيرة كان يحين موعد النّزوح أثناء تواجد الفتاة في لبنان لتقديم الامتحانات أو للقيام بإجراءات التسجيل في الجامعة، فيتصل الأهل ويخبرونها بـ "ألا تعودي... قد نرحنا... لا تعودي الآن والضيعة محاصرة... سنتصل بك حين نستقر". لقد قابل هذا الواقع معظم الفتيات، وقلّب حياة الكثيرات، فمنهنّ من اضطرت لقطع الدراسة والالتحاق بأهلها، ومنهنّ من بقيت مسافرة بين البلدين تحت القصف والخوف، ومنهنّ من اضطرت للعيش وحيدة في لبنان.

وهل لكم أن تتخيّلوا صدمة الفتاة بذلك الواقع المفاجئ؟

أثر على ذلك الواقع الجديد أيضاً ظروفُ خسارة الأموال وانهدام المنازل في سورية، فبعد أن كان المجيء إلى لبنان يكلف الفتاة ما يعادل 100\$ جينةً وإقامةً وإياباً، صار يكلف 300\$ أو أكثر، وفي نفس الوقت لم يعد الأهل قادرين على تغطية تكاليف الرحلة إلى لبنان كعهدهم السابق، وصار كثير من الفتيات يبعن الذهب ويختزلن الكماليات ويستدنّ قسط الجامعة لإكمال تلك الدراسة... التي صارت عبئاً وأملاً في واقع مجهول.

ظهرت إلى جانب ذلك كلّهُ مشكلةُ النزوح السوري في لبنان وازدياد عدد اللاجئين، حيث بدأت تضيّع سمعةُ الفتيات الدّارات بين اللاجئين القادمين من قرى بعيدة. فاختلّت معاملتهُ الناس لهم بعض الشيء وقوبلن أحياناً بالقسوة وأحياناً بالشفقة وأحياناً بالاحترام، وصارت تقلّ فرصهم في العمل، وتتساوى روايتهم مع غير المثقفين، ويتعرّضن لإساءات لفظية أحياناً وإلى نظرةٍ وضیعة يصعبُ تفسيرها. لقد وجدتُ نفسي بين اللاجئين ولست بلاجئة، وهربتُ من العيش معهم لكن الواقع شمل الجميع، وعانيتُ سنين من الاندماج في سوق العمل كي أعيش بكرامة، ومثلي فتياتٌ كثيرات.

أما العامل الاجتماعي الأهم فوق كل تلك الظروف هو ردة أفعال الأهلين تجاه إقامة بناتهم في لبنان، ذلك أنه منذ بداية الحرب ظهرت أخلاق النساء والرجال على حقيقتها وتبين أن بعضاً منهم كانوا والدين بحكم العادة، وكانت عاطفتهم تجاه بناتهم عادية وأن مصالحهم الآن صارت أقرب للمال في ظلّ تحاطف المصالح. حتى الفتيات أنفسهن لم يكنّ صالحاتٍ جميعهنّ، بل كل واحدةٍ حسب تربيتها، وإنّ من الفتيات من فضلن المكوث في لبنان أملاً بوصالٍ شابٍ من الشباب، ومنهنّ من جنّين على أنفسهن بقرار طلاقٍ مجنون أو ركضن كالوحوش بين البلاد بحثاً عن حياةٍ ودية. ومنهنّ من رابطن على قلوبهنّ وتمسكن بالصبر سبيلاً ليحفظن أنفسهنّ ويحفظن الأمانة التي تربيّن عليها.

الفتاة "م.أ"

تلقت نبأ وفاة والدتها في حماة عام 2015، وراحت مسرعةً تقطع الحدود لتودّعها في كنفها وتبكيها مع إختها، ثم عادت إلى لبنان لتلتحق بتقديم امتحاناتها في الجامعة. ثم صارت تأتيها أخبار أهلها وأن والدها يريد الزواج وأنه يتجادل مع إختها لأجل ميراث الأمّ المتوفاة. وسرعان ما نفذ مخططاته وتزوج وحاول التحايل على أبنائه للحصول على كامل الميراث، فكانت صدمة الأبناء بوالدهم أقسى من قدر وفاة الأمّ، ووجدوا أنفسهم أمام واقع معيشي ضنكٍ وأبٍ لاهٍ لم يعد يريد العيش معهم ولا تأمين احتياجاتهم. من أجل ذلك رأت الفتاة "م.أ" أن عيشها في لبنان أسلم لها خاصةً بعد أن حصلت هناك على منحةٍ للدراسة.

كما أنها ما تزال تجاهد دائماً للحصول على فرصة عملٍ مستقرة تعيش منها وتدعم إختها المظلومين تحت أبٍ غافل. تتمنى صديقتي العزيزة "م.أ" أن تجد نفسها يوماً ما في منزلٍ خالٍ من مشاكل المنازل المشتركة، وأن تجد من يعينها على تحمل أعباء علاجها -علاجها الذي هو مأساةٍ أخرى ربّما لا مجال للحديث عنه هنا.

الفتاة "أ.ط"

ربّما أخطأ والدها عندما جاء بها إلى طرابلس رغماً عنها كي تكمل تعليمها الجامعي، وهو الذي كان قد دلّل بناته طول فترة طفولتهن ومراهقتهن حتى لم يعرفن من حقيقة الحياة المرّة شيئاً. فكان ابتعاد الفتاة "أ.ط" عن أهلها في حدّ ذاته مأساةً لها، ولم تتكيف مع ذلك الواقع إلا بعد سنواتٍ من المكوث في لبنان. وعلى أنها كانت تزور أهلها باستمرار قبل عام 2012 إلا أنّ أحداثاً ما بعد ذلك سببت نكبةً لأهلها وبُعداً طويلاً فرّق بين أفراد العائلة.

لقد أمضت الفتاة "أ.ط" سنة 2012 في البكاء والتمارض، ولم أكن أعلم حينها هل أواسيها أو أوبّخها أو ألوم والدها العنيد. ذلك الوالد الذي تعامل مع الأزمة بصلابته هو وبجفافٍ مشاعره معتقداً أن بناته يملكن الصلابة ذاتها وجفاف المشاعر ذاته، ولطالما صرخ في وجه الفتاة "أ.ط" عبر الهاتف ولطالما أبكها بحجةٍ تقوية شخصيتها ومواساتها، ولطالما منعها من العودة إلى سورية بسبب حرصه الزائد على راحتها -في نظره.

هو يحبّها حتماً، لكن ينطبق عليه قول: "من الحب ما قتل"، وعاش معدّباً بوساوسه ومعدّباً عائلته معه.

كان لبعد الفتاة "أ.ط" أثراً كبيراً على دراستها، حيث منعها من التركيز في الدراسة واضطرت إلى تمديد فترة الإجازة والماجستير عدّة مرّات حتى نجحت بصعوبةٍ بالغةٍ وبجدٍ وإصرارٍ منها. وهكذا وجدت نفسها بعد عشر سنوات في لبنان قد تغيّرت مرغمةً من الفتاة المدللة البسيطة ذات الشخصية الضعيفة إلى الفتاة ذات الشخصية القوية والمجاهبة لظروف الفقر والوحداية وأعباء المعاش.

الفتاة "م.ق"

فتاة ناعمة الملامح والجوارح، من إحدى ضيعة إدلب التي تعرّضت للقصف العنيف منذ بدء الثورة. ذلك القصف أجبر أهلها على النزوح عدّة مراتٍ وعرضهم لحوادث سرقة جعلتهم يعيشون فقراً فوق فقرهم، وأدى القصف أيضاً إلى تأثر بعض أبناء إختوتها جسدياً والإصابة بتشوّهاتٍ خلقيّة، فكانت الفتاة "م.ق" مضطّرةً في ظلّ ذلك الواقع إلى السّفر بين سورية ولبنان عدّة مرّاتٍ لإنهاء دراستها ولإيجاد فرص عملٍ تدعم بها أهلها معيشياً، بالإضافة إلى أنها واجهت صعوباتٍ كثيرة في الحصول على إقامةٍ في لبنان -كما هو حال الكثيرات- على مدى سبع السنين الماضية.

بعد أن حصلت على شهادة الماجستير في التاريخ ازدادت فرصها في إيجاد عملٍ كريم وفضّلت البقاء في طرابلس بعد أن اطمأنت لرضى أهلها عن ذلك وأنهم هم أيضاً يرغبون في أن تعيشَ سالمةً بدلاً من عيشها معهم في غرفة مظلمة وتحت أصوات الحرب لا سيّما من أنها تعاني من مشاكل في النّظر وأن إقامتها في لبنان قد يتيح لها جمع تكاليفٍ عمليّةٍ جراحيةٍ تنقذُ بها نظرَها من خطر العمى.

الفتاة "ر.ب"

هي أيضاً من إحدى ضيعة إدلب لكنّها تربّت في دمشق وعاشت فيها حتى بلغت الثلاثين من عمرها واطمأنت إلى أن إختوتها التسع قد بدؤوا بشقّ طريقهم في الحياة فقررت إكمال دراستها في طرابلس (لأن نظام التعليم الظالم في سورية لم يتيح لها الفرصة). ثم بدأ أهلها بالنزوح والهرب من القصف بين الشام وضيع إدلب مع بدايات سنة 2012، وتفرّق الإخوة وأولادهم فمنهم من فرّ باحثاً عن الأمان ومنهم من ذهب متطوعاً مع الجيش الحرّ، وبدأت ابتلاءات الحرب تنهمر عليهم لحكمة أرادها الله، فمن خوفٍ وجوعٍ إلى نقصٍ في الأموال والأنفس إلى إصاباتٍ حربٍ وتشوّهاتٍ في الدّريّة. فكانت تلك الظروف عاملاً أساسياً في أن تعمل الفتاة "ر.ب" في لبنان لتساعد أهلها مادياً وتساعد نفسها في تقوية صحّتها التي أخذت بالتدهور مع تقدّمها في الثلاثينيات.

هي الآن عالقة بين خياراتٍ أمرّ من بعضها، فبعد أن أنهت دراستها وأرادت العودة إلى منزل أهلها لم يعد هناك منزلٌ وصار الكلُّ يحترار إلى أين يلجأ، وفي الوقت ذاته عليها أن تدفع غرامةً تجاوز الإقامة في لبنان وأن ترسل لأهلها المعونة وأن تلبي حاجات معيشتها.

الفتاة "ر"

مطلّقة نازحة مع أهلها من حمص، ومعها ابنتها الوحيدة. جاءت لتعيش في منزلنا المشترك بعد أن زهقت من عيشها مع أهلها في بيتٍ للأجرة في طرابلس -على أنه كان منزلاً مقبولاً مقارنةً بمنازل النازحين- لكن قلّة صبرها دفعتها لترك الأهل تاركَةً ابنتها الصغيرة عند والدتها.

سألناها في حديث دار بيننا بعد وصولها بعدة أيّام:

- ما هي الظروف التي جعلتك تتركين منزلَ أهلك؟

- أه!... أمي تعتبر أنني طائشة، وأخي لا يضع على التلفاز القناة التي أحبّها، ويرفع صوت التلفاز كثيراً، وزوجته لا تحتمل ابنتي، ولا أستطيع أن أطبخ كما يحلو لي.

- ألّهذه الأسباب التافهة تركتِ المنزل؟! وهل تعتقدين أن بإمكانك احتمالَ مصاريف السكن لوحدك؟

- أكيد! فأنا أعمل مقابل \$150 شهرياً.

150\$ شهرياً كان مبلغاً مُضحكاً لأن يُفْتَحَ به منزل بكامل مصاريفه، لذلك عادت الفتاة "ر" أدراجها إلى منزل أهلها قبل أن تكمل الشهرَ ووجدت أن الصّبرَ معهم أشرف ألف مرّة من مرارة الوحدايّية.

الفتاة "ح.م"

إنها الأرملة أو زوجة الشهيد والتي كانت سابقاً زوجة المفقود في سجون الأسد! كنت أراها مراراً حانيةً ظهرها، ناظرةً إلى الأرض، مطفاةً الفرحة، حادةً الطباع، وكنت أحمداً الله على غربتي التي لا تعادل شيئاً أمام مُصابها، ذلك أنها فقدت زوجها في السجن في بدايات زواجهما واضطرت للهرب خارج سورية دون أن تطمئن على حاله، ثم صبرت وحيدةً في غربتها مع طفلتها الصغيرة على أمل أن تسمع عنه خبراً، حتى أن سمعت خبر استشهاده بعد عدّة سنوات.

إلى الآن تكمل حياتها على أمل الموت القريب، وتعمل ليلاً نهاراً كي تؤمّن احتياجات طفلتها اليتيمة.

الفتاة "س.د"

الأرملة أيضاً والتي اضطرت للنزوح قبل زوجها عام 2011 مع طفلتها الصغيرة وابنها الرضيع، وكانت أثناء ذلك تبلغ 21 عاماً فقط.

ثم أتاه نأب وفاة زوجها فجأةً بعد أن دخل عليه رجال الأمن في سورية في منزله وضربوه برصاصية في رأسه أودت بحياته ورمّلت زوجته ويّتمت أطفاله. وفوق كل ذلك تواجه الفتاة "س.د" واقعاً معيشياً قاسياً مع أمّها وتصبر على أذى أهل زوجها وعلى حالة تثير الشفقة في مجتمع مضيف لا يملك قوت أفراد.

الفتاة "و.ج"

جاءت من قرى حماة البعيدة إلى طرابلس طالبةً بريئة فصارت مطلقةً كسيرة، وذلك بعد أن علق بحبّها طيشاً- شابٌ حمصي وأخرها عن دراستها وأبعدها عن قبول الخاطبين. ثم استأثر بها شبه عنوةٍ وتزوّجها وأخذها للعيش مع أهله في حمص حيث عاشت مدّةً وجيزةً في ظل الحرب، قرر بعدها السفر إلى السعودية محتجاً بالبحث عن حياة أفضل وتاركاً وراءه الوعود بالعودة. وإذ بالأيام تمضي وينسى ويرمي تلك الأسيرة وراءه وعوده معلقةً محتاجةً، فلم يكن بها إلا أن سافرت حيث نزع أهلها في الأردن وباتت تنتظر هناك خبر طلاقها كي تكمل حياتها، ثم عادت إلى طرابلس لإكمال دراستها حاملّةً معها جرحها العميق وحزنها الذي سكن عينيها وأخفى عن الناس طلاقها.

"كنت دائماً حسّ أنو في شي غلط من قبل ما نتزوج!" ذلك ما وصفته لي حين حكّت لي عن قصتها. ولم تنته الآلام عند ذلك الحدّ، بل لعبت القوانين الدولية دورها وحرمتها من السفر إلى الأردن -على اعتبار أنها سورية- ولم يعد بإمكانها زيارة أهلها، فحبست في طرابلس تكدّ ليلاً نهاراً في العمل لتدبير معاشها وتنتظر إجراءات طلاقها أن تنتهي.

علمت بعد ذلك أنها تزوجت، وأكرمها الله قبل ذلك بفترة وجيزة بعملٍ كريم في إحدى الجمعيات في طرابلس حيث تحسّنت صحّتها وتناست أحرانها بعد أن اختلطت بالناس وتجاوزت عهد شبابها القاسي.

الفتاة "ن.ن"

هربت من دوما بعد أن أصيبت في ركبتيها بسبب قذيفة هاون، وحاولت المكوث في دمشق للعلاج، إلا أن القبضة الأمنية لم تدعها وشأنها، فتم توقيفها في فرع المخابرات يوماً واحداً وخرجت منه بالشفاعة على شرط: أن تخرج من سورية ولا ترجع إليها إلا بموافقة المخابرات!

فخرجت لا تلوي على شيء وعبرت إلى مصر عن طريق لبنان، حيث مكثت عند خالتها عدة شهور كي تضمد جرحها لتعود إلى لبنان وتبدأ رحلة العمليات الجراحية والعلاج الفيزيائي. حاولت مساعدتها بكل ما أملك من إحساسي الشديد بشعورها بعد أن أصيبت في أهم مفاصلها وفقدت خاطبها وأهلها خلال مدة وجيزة لم تكفها للبكاء والشكوى، بل للركض والهرب والبحث عن ضامد للجراح.

وبعد أن فقدت الأمل من لبنان -كما الكثيرين- سافرت إلى تركيا، حاملةً ألمها والتزامها وعفتها وركبتها المصابة، وانتقلت بعد ذلك إلى أوروبا عبر البحار. ربما لا تكفي هذه الصفحات لحكايتها، وما كتبتة عنها كان عنواناً لقصة طويلة، لكنني لا أملك لها شيئاً إلا الدعاء وأن أستودعها عند الله الذي لا تضيع عنده الودائع.



العاملات الأثيوبيات

كُنَّ أول من أحتكُ به من الوحدانيات في سجن كفرسوسة في دمشق، وأثار تعجُّبي نمط حياتهنَّ القاسي -أو القاسي بالنسبة لإنات بلاد الشام- حيث يغادرُن بلادهنَّ فتياتٍ ويُعدن إليها نساءً، ويعملن في فترة غيابهنَّ في أي بلدٍ غريبٍ ليجمعن مالاً يبينن به بيتاً لهنَّ ولأزواجهنَّ وليرسلن الأموال لأسرهنَّ، كما تتركُ كلُّ منهنَّ غالباً طفلاً أو طفلين عند أهلها في أثيوبيا، وربما صار الطفلُ شاباً في غياب أمه أو ربما توفي بعضٌ من أهلها أثناء مكوثها في منفى الخدمة.

أولئك الأثيوبيات يعملن غالباً في الخدمة ومنهنَّ من يُعملن ذكاءهنَّ في اكتساب علمٍ جديدٍ عند العائلة التي يعملون لديها، أو ربما يكتسبن ديناً جديداً كأن تكون الفتاة مسيحيةً وتتعلم الإسلام أو العكس، ثم تغيّر دينها أحياناً إذا عملت عند عائلةٍ أخرى لها ديانةٌ أخرى.

لقد قابلتُ الأثيوبيات أيضاً في الإمارات وفهمتُ حينها حياتهنَّ أكثر، وعلمتُ طبيعة حياتهنَّ وفراغهنَّ الناتج عن نقص في الثقافة، فكان الفراغُ أحياناً عزاءً لهنَّ والعملُ في الخدمة كان الوسيلة الوحيدة لملئه. "الطالما كانت العمالة الأثيوبية، الوافدة إلى لبنان للخدمة المنزلية، تعمل من دون أي ضوابط أو عقود تحدد شروط عملها، وحقوق العاملات، وأصحاب العمل، في ظل عدم وجود قانون يرفع استقدامهنَّ وينظم عملهن، لاسيما أن المادة السابعة من قانون العمل اللبناني قد استتنت من أحكامه العاملات في بيوت الأفراد، ما جعل العاملات المنزليات من دون أي مظلة قانونية ترعاهن، وهذا ما شكّل أخطر المشاكل التي تواجهها العاملات الأجنبية في المنازل، وأصحاب العمل على السواء. إلا أنه في السنوات الأخيرة عمدت أثيوبيا، البلد الناهض اقتصادياً واجتماعياً، إلى العمل على تنظيم عمالها الوافدة إلى كافة الدول، لأسباب عديدة ترتبط بحماية حقوق مواطنيها، وتعزيز أوضاعهم المهنية والمعيشية في بلاد الاستقدام، بموازاة تشدها على تدريب العمالة قبل إيفادها إلى دول الاستقدام، من هنا تم التعامل مع لبنان على غرار باقي الدول، كالسعودية والإمارات والأردن وغيرها. ومنذ بداية العام 2017 باشر الطرفان اللبناني والأثيوبي العمل على تنظيم استقدام العمالة المنزلية لجهة إبرام العقود. وانتدبت الدولة الأثيوبية وفداً إلى لبنان، كما باقي الدول، لإبرام مذكرات تفاهم تمهيداً لتوقيع الاتفاقية الثنائية، وبدأت المفاوضات بداية بين السفارة الأثيوبية ووزارة العمل اللبنانية، كما يقول مصدر في وزارة العمل في حديث إلى "المدن"، وتم التفاهم على البنود الأساسية للاتفاق. ثم أتى وفد أثيوبي تقني إلى لبنان وبدأت النقاشات التفصيلية مع الوزارة، لوضع اللمسات الأخيرة، قبل التوقيع

على الاتفاق النهائي "إلا أن وزير العمل محمد كبارة وبشكل مفاجئ تمتع عن التوقيع في المرحلة الأخيرة"، وتم تعليق الأمر حتى اللحظة¹⁶⁴.

يشابه العاملات الأثيوبيات في نمط حياتهنّ العاملات الفلبينيات والنيجيريّات، والحقيقة أن في كل بلد نامٍ أو فقير عاملاتٌ مثلهنّ إلا أنني أؤكد هنا على من قابلتهم لكي أكون على درايةٍ بظروفهم. فالفلبينيات في الإمارات يعتبرن من خادمت الدرجة الأولى كونهن متحدثات باللغة الإنكليزية ولأن لديهنّ روح الدعابة لجذب الأطفال، أما النيجيريّات فهن من الدرجة الثانية مع أنهن يتحدثن عدة لغاتٍ أيضاً.



النازحات السوريّات إلى تركيا

هؤلاء لهنّ حكاياتٌ طويلةٌ لا تسعها صفحات الكتاب، ولا تحتمل المشاعر الإنسانية معانياتهنّ وصبرهنّ وظروفهنّ التي أردتُ بهنّ هاربات بإنسانيتهنّ وأنوثتهنّ من بطش الظلام. إنهن بحق: بائسات، ويجدرُ بكتّاب العالم أن يكتبوا عنهنّ الروايات.

الفتاة "ل.ص"

كانت نازحةً مع أهلها إلى مصر، ثم حصل الأهل على فرصةٍ للهجرة إلى أوروبا من مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، لكنّ عمرها المتجاوز الثامنة عشرة لم يسمح لها بمرافقتهم، فسافرت إلى تركيا كي تنتظر هناك خاطبها الموجود في الولايات المتحدة الأمريكية والذي كان يعمل جاهداً للحصول على تأشيرة لمخطوبته. لقد أمضيت في تركيا 9 شهور وغادرتها وكانت تلك الفتاة ما تزال تنتظر التأشيرة ولا أعلم ما حصل بعدها.

الفتاة "ر.ل" ووالدتها "ه.س":

الوالدة مطلّقة منذ أوائل العشرينيات من عمرها، ولديها بنتٌ وصبيٌّ، عملت طيلة حياتها مدرّسة كي تصرف عليهم.

أصبحوا ثلاثتهم من رواد الثورة السورية السلمية، وضحو كثيراً على الرغم من وداعة شخصيتهم ونعومة مظهرهم، إلى أن اعتقلت الفتاة "ر.ل" في دمشق، واضطرت بعد الإفراج عنها إلى الهرب خارج سورية مع والدتها الملاحقة أمنياً، حيث هربتا إلى مصر ثم إلى تركيا، فعملتا هناك جاهدتين في مجال الإعلام لمتابعة مسيرة الثورة، إلى جانب عملهنّ المستمر لتأمين حياةٍ كريمة وصدّ استغلال الطامعين. أمّا الابن الشاب، فقد فضّل الالتحاق بالحيش الحرّ برضى من والدته، واستمرّ يضحّي بعباءٍ إلى أن أنهت روحه البريئة رصاصةً طائشة.

هكذا بقي دفيناً تحت التراب في غوطة دمشق، وأمّه وأخته تبكيانه يومياً في غربتهما وتسالان الله له القبول.

السيدة "إ.ن"

¹⁶⁴ عزة الحاج حسن، "كرامة العاملات الأثيوبيات أرفع من قوانيننا المشينة"، المدن- جريد إلكترونية مستقلة، آخر تحديث 18 تشرين الثاني 2018، مقال إلكتروني. تم الاطلاع عليه من خلال الرابط: <https://goo.gl/oynMz5>

هي كاتبة وشاعرة من غزة، ليست سورية، لكنني ذكرتها هنا لأنها سكنت معنا كأختٍ وزميلةٍ مشاركةٍ لظروفنا. وما جاء بها إلى إسطنبول وحيدةً أنها أصيبت بشظايا انفجار أدى إلى قطع يدها وأجزاءٍ من أرجلها وأصابها، فاضطرت لمغادرة غزة للعلاج تاركةً ابنها الصغير بين أحضان الموت.

غابت عن غزة ما يقارب السنتين ثم عادت إليها بعد أن أنهت قسماً من العلاج، ولا تزال مستمرةً في السفارة بين الحين والآخر للحفاظ على سلامة ما تبقى من جوارحها.

كما قابلتُ في تركيا كثيراً من الفتيات السوريات اللواتي أتين من شمال سورية للدراسة في الجامعات التركية نظراً لظروف الحرب في سورية، ومن السعودية أيضاً نظراً لصعوبة الالتحاق بالجامعات السعودية. فمنهن من يفضلن العيش كطالباتٍ عازباتٍ للعودة إلى أهاليهن بعد الانتهاء من الدراسة ومنهن من يتزوجن إلى جانب الدراسة ويعشن حياةً مستقرةً.



الجامعيّات الوافدات من الريف إلى المدينة

تفضّل معظم الفتيات الجامعيّات استئجار مساكنٍ قريبةٍ من الجامعة لتوفير عناء القُدوم من الريف البعيد واستثمار ذلك الوقت الضائع على الطريق في الدراسة بدلاً من ركوب الحافلات وتحمل مشقة الطرقات -الجبليّة أحياناً- وتكاليف المواصلات. ففي كل دولة تتركز الجامعات غالباً في المدن وما حولها -هذا في بلاد الشام غالباً- وربما تختلف وجهات نظر الناس دينياً واجتماعياً حول دوافع الفتاة التي غادرت الريف بهدف الدراسة في المدينة التي يعتبرونها "غربة".

هل الدراسة في الجامعة تستحق الاغتراب؟

هذا السؤال المثير للجدل بالنسبة لأبناء الأرياف، والجواب عليه يحسم موقف الأهل من السماح لابنتهم بتترك منزلها أو لا.

🌸 الفتاة "ع.ش"

أحكي نموذجها هنا لأنني أراه نموذجاً مقبولاً، لا وبل قدوةً لكل فتاةٍ مسلمة متعلمة. ذلك أن الفتاة "ع.ش" جاءت للدراسة في طرابلس كما تجيء معظم الفتيات من أبناء قضاء عكار -الذي يعدّ ريفاً في طبيعته ومدينةً في تقسيمه الإداري- ودرستُ بجدٍ في قسم الهندسة الكهربائية حتى صارت من أوائل الطالبات وتفوّقت في السنة الأخيرة فحصلت على منحةٍ جامعيّةٍ لمتابعة الدراسات العليا في فرنسا. كنتُ أراقبها كم تدرسُ بجدٍ وتسهر الليالي وتستغلّ أوقات اللغو والتسلية لإنهاء مشاريعها، إلى جانب زياراتها المنتظمة لأهلها في أيام العطل. كما كانت تضطر في آخر سنة من الماجستير إلى الذهاب إلى بيروت لتقديم بعض الامتحانات والمشاريع.

قبل موافقتها على المنحة إلى فرنسا، جلستُ تحادثني وهي في حيرةٍ من أمرها:

- هل أستطيع السّفَر دون محرّم؟ هل أضيّع هذه الفرصة الذهبية؟ فأجبتها أسفةً:

- لا يمكنكِ السّفَر أبداً دون محرّم، ولو أن يرافقك في الطريق دون الإقامة معك.

ظلتُ حائرةً في أمرها أياماً وتدعو الله أن تجد مخرجاً إلى أن وجدت أن معها في المنحة صديقاتٍ ثقاتٍ حيث يشكّلن مع بعضهن مجموعةً ثقةً، فبذلك يستطعن الذهاب بلا محرّم. الأجل من ذلك أنها اشترت

قبل سفرها معاطف فضفاضة تناسب حجابها خوفاً من ألا تجد معاطف تعينها على الستر في بلد أجنبي.

ثم تحقّق السفر فعلاً وتحقّق النجاح وكان لها ما أرادت، وصارت بفضل الله دكتورة في مجال الهندسة الكهربائية رغم صعوبات الاغتراب وصعوبات الحفاظ على الحجاب في فرنسا.

فما أحلاها من دكتورة لبنانية محببة ملتزمة في فرنسا!



الفقيرات اللبنانيات من أبناء الفلاحين

اخترت اللبنانيات لاحتكاكي بواقعهن نوعاً ما أكثر من غيرهن، فعلى الرغم من أنني قابلت الفقيرات التونسية والجزائريات والمصريّات والعراقيات وحتى الفقيرات من دول شرق آسيا إلا أنني لم أستطع الإحاطة علماً بواقعهن الذي دفعهنّ للسفر وحيدات، ثم العمل لسنين طويلة في بلاد الاغتراب.

على كل حال، يبقى الفقر هو الدافع المشترك لأن يجوب الإنسان الأرض باحثاً عن عمل كريم.

أما عن اللبنانيات فقد علمت أنّ منهنّ من نشأن في ظروف ما بعد الحرب أو أثناء الحرب وأنهنّ عانين من فقر مدقع واضطرورن للعمل الشاق في فلاحة الأرض تحت نظام إقطاعي منعهنّ من التعلّم وأبقى عليهنّ أمّيات. لكن في أيامنا هذه زال النظام الإقطاعي وبقيت بعض العائلات في الأرياف البعيدة تعاني من الفقر، لذلك نرى بناتهن قد اخترن حياة الوظيفة في المدينة على أن يمضين العمر في فلاحة الأرض مقابل أجور زهيدة.

هناك أيضاً عامل مهم في حكايات اللبنانيات، وهو أنهنّ يتجاوزن -للأسف- في بعض الأحيان الحدود الدينية والاجتماعية، فمن الممكن أن ترى فتاةً تهرب من منزل أهلها مع حبيبها للزواج في المدينة، أو تذهب للعمل في مكان لا يلتزم الضوابط الدينية المعروفة، وتختلط لديها الدوافع التي جاءت من أجلها: فهل تبقى في المدينة لأجل ما حققتة من مكاسب فيما لا يرضي الله؟ أم تعود إلى منزل الأهل طائفة ومحافطة على حدودها الاجتماعية؟

الفتاة "ن.ح"

عشت معها تقريباً 3 سنوات وحكت لي مراراً مقتطفات من حياتها التي بدأت بطفولة فقيرة بين الفلاحة والزراعة ونضجت في أول شبابها حين طفح الكيل بها من احتمال الفقر، فكانت الفتاة "ن.ح" في العشرين من عمرها عندما غادرت منزل أهلها في ضيعة عكار العتيقة لتبحث في المدينة عن عمل كريم، حيث أمضت هناك تقريباً 40 سنة تكدّ في العمل كدّاً وتقاوم أعباء الوحداية بصلابتها التي اكتسبتها من حمل المحراث. في مقابل ذلك لم يستطع الأهل منعها ولا الفقر قوى حجّتهم لإجبارها على العيش معهم، فاكثفوا بالرضا وأن تزورهم أيام العطل ومضت الحياة على هذا المنوال.

هي الآن في الثالثة والستين من عمرها، وتقول إنها تعيش من قلة الموت، ولا أمل لها بعد كل هذا التعب إلا أن تحصل على الراتب التقاعدي.

كانت مثلها الفتاة "ف" التي أمضت ما يقارب ثلاثين سنة من عمرها تعمل في مشفى، وظلت عازبة أيضاً لأنها أحبّت شاباً عندما كانت في العشرين من عمرها لكن القدر شاء أن يتوفى بحادث سيارة، ورفضت أن تحبّ أحداً بعده.

الفتاة "ج.خ"

فتاة لبنانية من سكان المدينة، تمرّدت على فقر أهلها وفضّلت العيش في سكنٍ مشتركٍ من دونهم حيث كان المنزل غرفةً في بناء ضخم في طرابلس تعيش فيه العائلة كلّها باعتبار أن ربّ العائلة هو ناطور البناء (وتلك العادة التي جرت في كثير من البلدان، أن يكون للناطور منزلاً صغيراً يُمنح له مقابل عمله) ولم يكن ذلك المنزل يتسع للفتاة "ج.خ"، ممّا دفعها للعيش وحدها سنوات امتدت إلى ما يقارب العشر.

ربّما كان قرارها صحيحاً في أن تعيش وتعمل في نفس المدينة التي يسكنها أهلها باستقلالية طلباً للرزق وإعانة الأهل، لكن خطأها كان عندما مالت عن الدرب المستقيم وصاحبت عدة شبابٍ تحت مسمّى "الحب" حتى وصلت إلى مرحلة كادت أن تخسرَ فيها أنوثتها لولا أن هداها الله وتركتم جميعاً، وقد أعانها على ذلك شقاء العمل الذي أنهك قواها وحثّها على إيجاد مخرجٍ من حياةٍ غير صحيّة ولا في ناحية من نواحيها.

في مطلع عام 2017 جمعها الله بشابٍ عاقلٍ وألف بين قلوبهم وعقد قرانهما، ثم تزوجا في العام التالي برضا أهلها وبفرحة كبيرة غمرت الأهلين والأصحاب.



ثم بعد كلّ ذلك يسألونها: لمّ لمّ تعيشي في منزلٍ أخيكٍ أو منزلٍ أبيكٍ؟ وما علموا ما كان وراء ذلك....

ولا مجال للشرح في مآسي الوحدةانية وما طواه ذلك الأسى.

سِجِلُّ الصُّورِ

لم يكن السفرُ مُزرياً بي يوماً، بل منظاراً واسعاً شمل من البلادِ أحياءً وأزقةً وأنحاءاً، ها قد أتيتكم بسِجِلٍّ دَوَّنتُ فيه ما دَرَيْتُ وما شَهِدْتُ من واقعِ تلك الأنحاءِ، راميةً إلى أن يكونَ هذا السِّجِلُّ شهادةً على بعضِ من ظواهرِ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ ودينيةٍ وسياسيةٍ.

تشرين الثاني / 2018



165

165 تصوير الفوتوغرافي حسن بريز. <https://500px.com/hasanbryiez>
في بيت جدّي الكائن في حيّ المهاجرين في جبل قاسيون، دمشق.

سورية_دمشق # حي_المهاجرين

أفتقدُ للبيوتِ الدمشقيّةِ القديمةِ والتي تميّز بانفتاحها من الأعلى إلى السّماء واحتوائها على الباحات والأدراج والأسوار والبحيرات.

"يعتبر البيت الشّامي مأثرة من مأثر فن العمارة الإسلاميّة، فمواصفاته فريدة مميزة قد اكتسبها خلال قرون من الازدهار والتألق الحضاري..... البيت الدمشقي الشّامي، بشكل عام، مغلّق من الخارج ومفتوح من الداخل بفسحة سماوية تتوسطها بركة ماء بزرع من مختلف الورود والأشجار، ويتألّف هذا البيت من قسمين: البرّاني للضيوف، والجوّاني مستور لأهل البيت...

هي أمثلة لبيوت عدة لا نعرفها ولكنها معروفةٌ عند الملائكة بالطهارة ونظافة البنيان والنفوس، فهذه العلاقة المقدّسة هي علامة بيوت أهل الشّام...." ¹⁶⁶

¹⁶⁶ نبيلة القوصي، "البيوت الشّاميّة، نسانمها تجمع بين الشّاميين...."، معالم وأعيان، نسيم الشّام، موقع إلكتروني.



التقطت هذه الصورة من قلب جبل قاسيون باتجاه قمته، ناظرةً البيوتَ الدمشقية المترابطة على الجبل، المبنية بعضها فوق بعض، والتي حملت من العراقة ما إن وُزِعَ على أهل الأرض لكفتهم.

"يخترن جبل قاسيون في ثناياه الكثير من الأسرار والقصص الأسطورية والحكايات الغريبة مما جعل أهل دمشق القدامى يحيطونه بهالة خاصة من التقديس والاحتفاء وقبل أن يزرع نظام الأسد الموت في سوريا وتجنم الحرب على صدور أهلها كان هذا الجبل متنقساً لأهالي دمشق وبخاصة أيام شهر رمضان المبارك يتناولون في ربوعه إفطارهم وربما سحورهم، ويقضون أوقاتاً ممتعة وهم يتأملون دمشق التي تزدهي بالأضواء.

يرتفع قاسيون عن سطح البحر 1200 متر ويبعد عن وسط دمشق قرابة 600 متر وهو ينهض عن مستوى السهل الفيضي الممتد على ضفتي نهر بردى حوالي 500 متر، فيعطيها منظرًا مميزاً تتسلق سفوحه رقعة واسعة من مبانيها، وبالقرب من قمة جبل قاسيون يرى الزائر مقاماً وقبة خضراء يعرفها أهل دمشق بـ"مغارة الدم" أو "مقام الأربعين"، وتحكي هذه المغارة قصة أول جريمة في التاريخ، حينما قتل "قابيل" أخاه "هابيل"، وفوق هذه المغارة بني مسجد الأربعين وفيه أربعون محراباً

¹⁶⁷ سوريا، دمشق، جبل قاسيون، حي المهاجرين، كانون الأول، 2009.

سورية_دمشق # حي_المهاجرين

نسبة للأبدال الأربعين، ومن هنا أصبح المكان مقصداً للزهاد والعباد والراغبين في الخلوة، وروى "ابن عساكر" في كتابه "تاريخ دمشق" أنه صلى فيه أنبياء كثيرون كإبراهيم وذو الكفل وأيوب عليهم السلام، كما ذكر الخازن في تفسيره أن "مغارة الدم هي المكان الذي قتل فيه سيدنا هابيل. جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي "قاسيون بالفتح وسين مهملة والياء تحتها نقطتان مضمومة وآخره نون، وهو الجبل المشرف على مدينة دمشق وفيه عدة مغاور وفيه أيضاً آثار الأنبياء وكهوف، وفي سفحه مقبرة أهل الصلاح وهو جبل معظم مقدّس يروى فيه آثار الصالحين فيه أخبار وبه مغارة تعرف بـ"مغارة الدم" يقال بها قتل قابيل أخاه هابيل وهناك شبيه بالدم يزعمون أنه دمه باق إلى الآن وهو يابس، وحجر ملقى يزعمون أنه الحجر الذي فلق به هامته، وفيه مغارة الجوع يزعمون أنه مات بها أربعون نبياً. وروى الأمام أحمد بن حنبل في مسنده بإسناد حسن عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "الأبدال في الشام وهم أربعون رجلاً كلّمّا مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف بهم عن أهل الشام العذاب. وعرف سبط الجوزي "جبل قاسيون" قائلاً: "قاسيون جبلٌ شمالي دمشق ترتاحُ النَّفْسُ إلى المقامِ به ومَنْ سَكَنَهُ لا يطيب له سَكَنٌ غيره غالباً".¹⁶⁸

¹⁶⁸ رمضانيات زمان الوصل، شهد أول جريمة في التاريخ.. جبل قاسيون مخزن الأساطير ومثوى الأولياء والصالحين، زمان الوصل، 9 تموز 2015، مقال إلكتروني. تمت الزيارة في 25 آب 2018.



169

منذ خمسة عشرة سنة صلاة الضحى هي الرفيقة في باكورة الصّباح، عند شروق الشمس وتلّون الدنيا بألوانٍ ساحرةٍ غير تلك التي تتلّون بها في النهار والمساء. ضوءٌ مشعشعٌ تراه من كلّ شيء، تننّره خيوطُ الشّمسِ النّاعمة لتدفيّ البارد وتنيّر الطريق للحيران وتعلن بدء المسارعة إلى اغتنام الأرزاق والطاعات.

في ذلك الوقت ترى الطيورَ مسرعةً والغيومَ متجمعةً والأشجارَ متمائلةً كأنّه اجتماعٌ صباحيٌّ للطبيعة، تقرّر فيه قائمة مهام اليوم وأعمال النهار.

ذلك ما علّمني وقت الضحى، وتلك النعمة التي لا أتمنى حرمانها أنّي حللتُ وارتحلت. وجزى الله من علمتني صلاةً وفرضتها علي حتى صارت من عاداتنا في منزل أهلي ثم في رحلاتي، "المعلمة لينا الطويل"، أشكرك على كل برنامج صلاة وكل آية قرآن وكل تسيحة علّمتنيها.

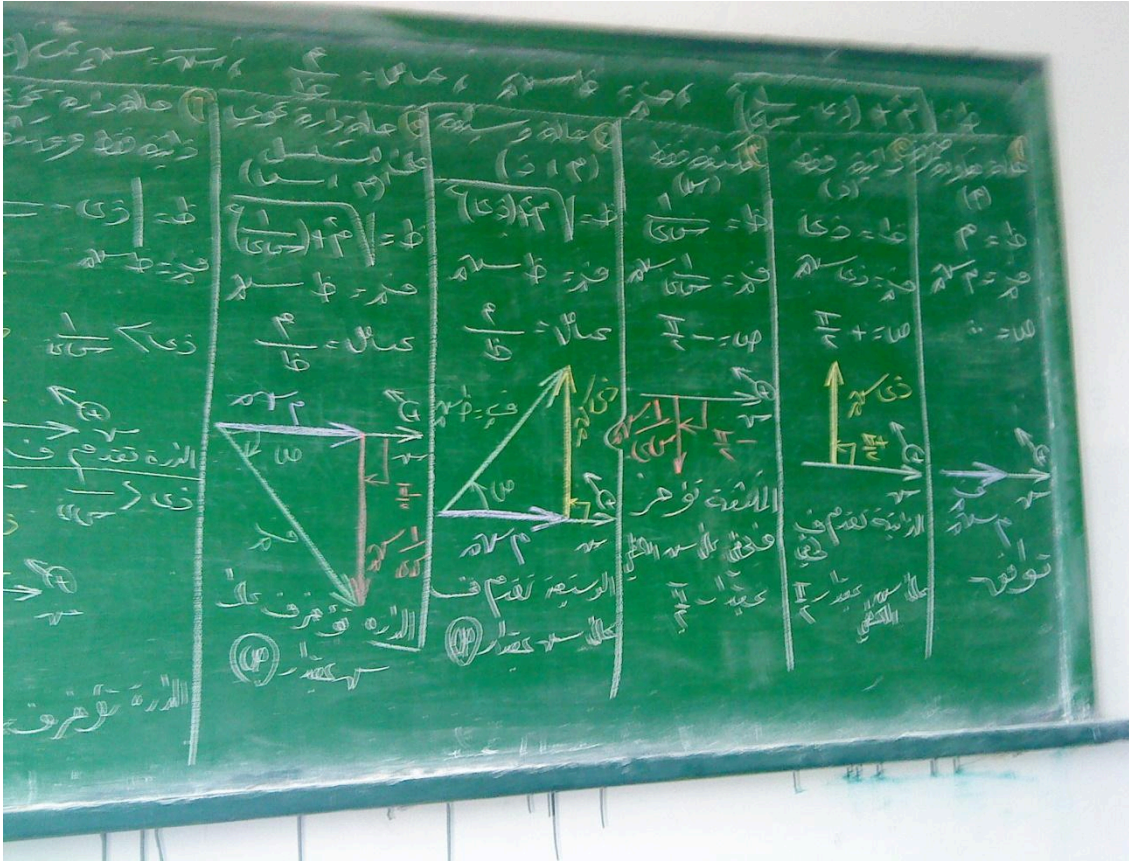
¹⁶⁹ سوريا، دمشق، القابون، نيسان، 2010.



170

هكذا كان شروق شمس حي القابون في دمشق قبل سنة من الحرب.

¹⁷⁰ سورية، دمشق، القابون، نيسان 2010.



171

كان هذا اللوح يُملأ ويُحَى أكثر من 20 مرة في اليوم، ولا أدري أين طارت المعلومات؟ وأين هي الآن من الحرب؟ وأين هي من معاشِ الناس الخائق؟
لِمَ لم تُسَعِفنا معلوماتنا التي أمضت المدرسة سنين تحشوها في دماغنا؟
أغلب الظن أن المدرسة لم تحشُ المعلومات جيداً أو أنّ دماغنا لم تتسع، وجميعنا الآن يأكلنا النّدم.

من ذاكرة دمشق



172

172 سوريا، دمشق، التكية السليمانية، نيسان 2010.



173



174

173 سورية، دمشق، العدوي، جامع الثناء، آب 2009.
174 سورية، دمشق، ساروجة، جامع الشامية، كانون الأول 2009.



175

175 سورية، دمشق، حديقة تشرين، أيار 2010.



176

176 سورية، دمشق القديمة، كانون الثاني 2010.



177

177 سورية، دمشق، العدوي، حديقة الباسل، كانون الثاني 2010.



178



179

178 سورية، دمشق القديمة، تمثال صلاح الدين، كانون الثاني 2010.
179 سورية، دمشق، كلية الهندسة الميكانيكية والكهربائية (الهمك)، نيسان 2010.



180

180 سورية، دمشق القديمة، التكية السليمانية، نيسان 2010.



181

¹⁸¹ سورية، دمشق، جسر الرئيس، آذار 2010.



182

يظهر في الصورة نموذجين من ملابس الصلاة في بلاد الشام والمعروف بـ "طقم الصلاة" ذي القطعة الواحدة أو القطعتين، ويعمل في خياطة ملابس الصلاة كثيرٌ من النساء في المعامل أو في المنازل، كما الرجال يعملون في خياطته بكميات كبيرة وبألوان متنوعة تتدرج بين الألوان الزاهية أو الداكنة، حسب ذوق المرأة ومدى شفافية القماش.

تتنوع الفنون التي تستخدم لتزيين طقم الصلاة بين التطريز وشكّ الخرز والقماش المزخرف بالأشكال الهندسية وشرائط الحرير، كما تتنوع قياساته ليناسب الأطفال والنساء. حيث تلبسه النساء لأداء الصلاة ولكثير من الأغراض أيضاً كالخروج إلى فسحة الدار وأثناء الحديث مع الجيران من على الشرفات وأثناء الحديث مع الغرباء على منزل الدار ونحوه.

اعتاد النسوة على أن يتهدّين طقم الصلاة في المناسبات المختلفة الدينية منها أو الاجتماعية، لا سيّما في شهر رمضان، ففي لبنان على سبيل المثال، لا بدّ لربة المنزل من شراء طقم جديد لها أو لإحدى

¹⁸² تركيا، إسطنبول، الفاتح، جادة الخليج، من بازار الأربعاء "بازار الفاتح"، 2015.

بناتها للخروج به لأداء صلاة التراويح في المسجد. أما النساء الدمشقيات فيحتفظن بأثواب كثيرة منها ما يلبسونه أمام الضيوف ومنها للاستعمال اليومي.

أما عن الصورة أعلاه فهي من بازار الأربعاء الذي يقام حول جامع الفاتح كلّ أربعاء على مدار السنة، ويقوم البساطون باستئجار طاولات ومساحات بأسعار مقبولة بتنظيم من البلدية، ويتوزع على الحارات مسؤولون عن جمع الإيجارات وعن تنظيم فعاليات البازار وضبط قوانينه كي لا يختلط البساطون مع أصحاب المحلات القائمة في شوارع البازار.

إذا أردت استئجار طاولة دون سابق تنسيق فعليك الخروج إلى شارع البازار قبل أذان الفجر لالتقاط مكان مناسب ومن ثم عليك البحث عن المسؤول في الظلام لإقناعه بأنك تريد استئجار طاولة، ربّما ستمضي ساعة في إقناعه أو تحتاج إلى واسطة!

في الحقيقة، هناك بازارات في كل مناطق إسطنبول تنتظم في أيام محددة في كل منطقة، وغالباً ما يكون فيها اشتراك شهري للبساطين الذين يرتبون بضاعتهم في سياراتهم الخاصة ليقوموا بعرضها أثناء البازار.

"تعتبر بازارات اسطنبول من التقاليد العتيقة لهذه المدينة التي ورثتها من العهد البيزنطي، وأصبحت حتى اليوم تقليداً شائعاً من الصعب تركه أو التفريط به.... إنه في اسطنبول لوحدها 358 بازار على مدار الأسبوع منها 423 في المنطقة الأوربية و115 في المنطقة الآسيوية"¹⁸³

لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذه الصفحة أنها تتحدث أولاً عن طقم الصلاة مع أن الوسم يشير إلى تركيا، فما الرابط؟

لقد انتقل هذا النوع من ملابس الصلاة إلى تركيا عبر اللاجئات السوريات اللواتي حملن معهن ثيابهن واستعملنها أثناء اختلاطهن بالأتراك في بيوتهم ومساجدهم، فكان يلفت إعجاب النساء التركيات وصار الطلب على هذا النوع من الملابس يزداد يوماً بعد يوم إلى أن صارت بعض المعامل العربية تقوم بتصنيعه لاغتنام فرصة الطلب المتزايدة. ولا أعلم الآن إلى أي مدى انتشرت ملابس الصلاة الشامية لكنني أظن أنّ طقماً على الأقل دخل كلّ منزل تركي.

¹⁸³ دليل بازارات إسطنبول، ترافيل ديف، موقع إلكتروني.
<https://goo.gl/wrW5DN>



184

حتى الطريق إلى بلاد الأناضول مختلفاً، كأنه طريقٌ إلى جنةٍ في الأرض.

¹⁸⁴ مشهد سماوي من الطائرة، رحلة إلى إسطنبول، نيسان 2015.



185

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ وَتَوْبَهُ، فَإِذَا قَضَى أَحَدَكُمْ نَهْمَتَهُ¹⁸⁶ * من سَفَرِهِ، فَلْيَعْجَلْ إِلَى أَهْلِهِ". مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ [خ: (1804)، م: (1927)].¹⁸⁷

¹⁸⁵ على متن طائرة البيغاسوس، رحلة إلى إسطنبول، نيسان 2015.

¹⁸⁶ * نَهْمَتُهُ: مقصوده.

¹⁸⁷ رياض الصالحين للنووي، حديث 984، باب استحباب تعجيل المسافر الرجوع إلى أهله إذا قضى حاجته.



188

انظر إلى أي مدى يستشعرون الجمال فيزرعون الورود في كل متر فارغ من الأرض، على عكس بعض البلاد التي تستثمر كل فراغ لرمي النفايات والأسلاك.



189

كثُر الحديث عن حديقة الغولھانا للزهور في إسطنبول، وذاعت شهرتها لتستقطب السياح من كل البلدان لزيارتها ورؤية الفن البشريّ حين يُستوحى من سحر الطبيعة وإبداع الخالق.

هناك تتشكّل من أنواع الزهور البديعة أشكال ومجسمات وأنماط توحى لنا أن الجمال هو جزءٌ من حياتنا أينما كنّا وأنّ بإمكاننا أن نصنعه ونجعلَ منه زينةً لحياتنا البائسة ولوناً لنفوسنا اليائسة ومتنفساً لآهاتنا. وأما الزهور فإنها سمةُ الشّباب في الطبيعة وعنصرُ الجمالِ الذي لا يشيب والذي إذا شاب أنذر بتبدل الحياة.

" تعتبر حديقة غولھانه Gülhane Park من أجمل الحدائق في اسطنبول وكانت ذات يوم جزءاً من الحديقة الخارجية التابعة لقصر توبكابي أو الباب العالي. تقع الحديقة في المنطقة الخلفية لمتحف التوب كابي المشهور في اسطنبول وتمتد إلى منطقة السركجي.

كانت حديقة غولھانه Gülhane Park مخصصة للسلطان وحریمه وكبار الشخصيات، تمدهم برائحة الزهور العطرة وتوفر لهم إطلالات رائعة على مساحات عشبية مسطرة بمختلف أنواع الورود الممتدة في أبهى حلّة. وفي عام 1912 اعتبرت غولھانه حديقة عائلية رومنسية تحمل الدفء

¹⁸⁹ تركيا، إسطنبول، حديقة الغولھانا، 2015. <https://goo.gl/DPf6bA>

والسكينة بين جنباتها لتعد مكاناً شعبياً حميمياً بالنسبة للسكان المحليين وملاًذاً يقدم الراحة مع الاستقبال الحار للسياح القادمين إلى منطقة السلطان أحمد.

تعرضت منذ افتتاحها للكثير من التغييرات إلا أنها مؤخراً استردت هدوءها التقليدي الأصلي بفضل إزالة بعض الهياكل الخرسانية وإعادة إحياء المناطق الخضراء التي تتخللها مسارات المشي.

يستنشق زائر هذه الحديقة ريح السعادة ضمن مساحات من السهول المكسوة بأشجار الدلب اليناعة ذات الأغصان المدلّهة التي تسعى إلى معانقة بعضها البعض لتوفر الظلال الوارفة خلال الأيام الحارة، وتشير الدراسات إلى أن بعض هذه الأشجار تعود إلى القرن التاسع عشر.

كما يستمتع القادم إلى هنا بمراقبة الطيور، فبعضها جاثم على البرك المائية المنتشرة في الأرجاء وبعضها متسلق على الأشجار وبعضها يطير على ارتفاع منخفض ليملاً المكان مع الفراشات الملونة بالحيوية والطاقة. كما يمكن أن تلاحظ وجود بيوت صغيرة لهذه العصافير موضوعة خصيصاً لها في أعلى الأشجار.

توفر الحديقة عدداً من الطاولات والمقاعد التي تزدهم بشدة أيام الطقس اللطيف وفي عطل نهاية الأسبوع لذا من الأفضل الذهاب في وقت مبكر أو تحمّل عبء الانتظار إلى أن يخلو أيّ منها. أما ساحات هذه الحديقة فتحضن مجموعة متنوعة من التماثيل بما في ذلك تمثال لمؤسس الجمهورية التركية، مصطفى كمال أتاتورك، وآخر العمود القوطي الذي يعتبر ذكرى انتصار الرومان على القوط.¹⁹⁰

¹⁹⁰ مجهول المؤلف، " حديقة غولھانه"، الحدائق والغابات، يا هلا إسطنبول، 27 تموز 2013، موقع إلكتروني. تمت الزيارة في 22 تموز 2018



191

حملة أطلقتها جمعية لمسة ورد للدعم النفسي والتنمية، تهدف إلى إعادة جو الدفء الأسري والتكافل الأخوي لأكبر عدد ممكن من العائلات الذين تعرّضوا لظرف ما كحربٍ أو مرضٍ أو فقدانٍ غالٍ وافقدوا لاجتماع العائلة على الطعام.

تتم الحملة بأن يتشارك شخصين أو أكثر بطبخ وجبة طعام منزلية وتناول تلك الوجبة أو الوجبات مع عائلة ما أثناء الإفطار في شهر رمضان المبارك.

وقد تم إطلاقها منذ عام 2013 في طرابلس وصيدا في لبنان، ثم انتشرت إلى مناطق مختلفة من العالم، وأثبتت الحملة جدارتها بما حملته من المشاعر الإنسانية والأخوية، وبما أنجزته من أنشطة جماعية كان لها تأثير إيجابي على الشباب المسلم وغير المسلم معاً.

"الفكرة مو باللقمة... بالجمعة واللّمة"¹⁹²

¹⁹¹ تركيا، إسطنبول، الفاتح، كاراجومروك، تموز 2015.

¹⁹² الصفحة الرسمية لجمعية لمسة ورد على موقع الفيس بوك: <https://www.facebook.com/events/384445382052978>



193



194

انتشرت في لبنان في السنين الأخيرة كثيرٌ من المنظمات غير الحكومية (NGOs) والتي تعود تبعيتها لمنظمات كبرى مختلفة، غالباً ما تكون مقرّاتها في الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية. وقد كان لهذه المنظمات –وما يزال- أثراً عميقاً في المجتمع اللبناني من الناحية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية.

¹⁹³ من ورشات العمل حول المواطنة في بيروت، 2014.

¹⁹⁴ من ورشات العمل التدريبية حول التسويق الإلكتروني برعاية الرابطة اللبنانية لسيدات العمل "2017، LLWB".

يعتمد نظام عمل تلك المؤسسات معظمهم على نظام التمويل الحكومي من دول خارج لبنان أو على تمويل الجمعيات الأهلية وتبرعات الأعضاء، ذلك اعتماداً على حجم المشاريع التي تقوم بها، حيث أن تلك المشاريع غالباً ما تكون مؤقتة ومحدودة بمدة تجريبية لا تتجاوز الستة شهور أو السنة يتم بعدها تقييم تلك المشاريع وترشيح الأعضاء المشاركين لمشاريع أخرى، كما تقوم بمنحهم شهادات مشاركة ورواتب تحفيزية وبدلاً عن المواصلات في المشاركة. بالإضافة إلى ذلك تقوم المنظمات الغير حكومية بعمل نشاطات ترفيهية وتعليمية وتدريبية من آن إلى آخر حسب ظروفها المادية وحسب الظروف الأمنية في المناطق اللبنانية المختلفة.

لقد بات اعتماد شريحة واسعة من الشباب اللبناني على المنظمات غير الحكومية في الحصول على المنح الجامعية والحصول على الدخل الكافي لسد احتياجات المعيشة، وانخرط معظمهم في الهيكل الداخلي لتلك المنظمات حتى وصل إلى تبني أفكارهم ووجهات نظرهم الاجتماعية والسياسية والدينية. ومما لا شك فيه أن وجود المنظمات في المجتمع يساهم في تنظيم الأفراد وتوجيه عملهم لمساندة الحكومة في تنفيذ خططها، لكن في بلد مشتب الخط كـلبنان فإن دور المنظمات تعدى حدود المساندة إلى التحكم في بعض المؤسسات الحكومية ودفع الأفراد إلى اختيار مسارات حياة جدية كالهجرة أو الحياة المهنية أو حتى الخروج ضد بعض الظواهر الاجتماعية ومناهضة القرارات السياسية. إضافة إلى أن المنظمات كان لها دور بارز في تنظيم المسيرات والمظاهرات وتأسيس التيارات الفكرية. أما من الناحية الاقتصادية، فتقوم المنظمات غير الحكومية بدور الداعم المادي الأول لمعظم الشباب بشكل مباشر أو غير مباشر، لا سيما الفئة الأقلية من الغير لبنانيين واللاجئين السوريين الذين افتقدوا للفرصة في التوظيف الحكومي أو حتى التوظيف الخاص.

إن ما دفعني للحديث عن انتشار المنظمات الغير حكومية هو تأثيرها البالغ في فكر الشباب والمساهمة في انحرافه -سلباً أو إيجاباً- مع العادات والتقاليد والمبادئ الدينية، حيث أن تلك المنظمات ترفع شعاراتها بثقة مستمدة قوتها لا من مبادئها بل من دعم الدول الخارجية لها ومن ولاء أعضائها المؤسسين، ثم تقوم ببث الأفكار عن طريق نشاطات ومشاريع لا توفرها الحكومة ولا المؤسسات الخاصة ولا حتى الأهالي لأسباب كثيرة أبرزها الأسباب الاقتصادية. بعد ذلك يتم استقطاب الشباب عبر منحهم فوائد مادية وعبر فتح الآفاق لأفكارهم والموافقة عليها مهما كانت.

ومن خلال جولاتي في تلك المنظمات ومشاركتي في بعض النشاطات وملاحظة التغيرات التي بدت على أصحابي المنتسبين رأيت -دون التعميم- بُعداً من تلك المنظمات عن المبادئ الاجتماعية والدينية، ذلك الذي أثار غيرتي وأبعدني تماماً عن العمل مع تلك المنظمات خوفاً من مشاركتي في بث أفكار لست واثقةً من أبعادها في فكر أقراني. لا سيّما أن معظم هؤلاء الشباب قد كبروا في ظلّ حرب أو ظروف مضطربة وباتوا يبحثون عن قدوةٍ يتبعونها أيّاً كان اتجاهها.

وأؤكد على أنّ تلك الحركات التي تقوم بها المنظمات منها صالحٌ ومنها طالح، فمن العدل والإنصاف أن ننظر أولاً بعين الحياد إلى أي نشاطٍ تطوعيٍّ أو مأجور، ثمّ نقرّر آثاره وما إذا واجبٌ علينا دعمه أو لا. كما أتمنى على الشباب المندمج في المنظمات أن تكون لهم تلك النظرة المنصفة كي ينصفوا أنفسهم أولاً ويحافظوا على اتزان أفكارهم.

عندما أنظر إلى بقعة لبنان من الخارج الآن، أراها حقلاً تجارب لتلك المنظمات وتدور حركتها كدورتهم وتهبط معهم وتعلو معهم أيضاً، ولا أظنّ ذلك مساراً إيجابياً يسير به لبنان في سعيه للتخلص من آثار الحروب الأهلية وبناء مجتمع متماسك متلاحم، "هذا المجتمع الذي لا يزال يسعى لتحسين نفسه وتمتين أواصره بعد أن تمكنت الحرب الأهلية إلى حد بعيد من التأثير على وحدته وتماسكه، ذلك أن المنظمات غير الحكومية بدأت تتغلغل في مختلف شرائح هذا المجتمع تحمل معها بالإضافة إلى تقديماتها الإنسانية مفاهيم اجتماعية وأحياناً سياسية جديدة تقضي الضرورة الوطنية بأن يسلط الضوء عليها....."

إن مقارنة المنظمات غير الحكومية ودورها وتأثيرها على الوضع الاقتصادي والاجتماعي في لبنان تستوجب البحث في تاريخ هذه المنظمات وظروف انطلاقها وبروزها كمؤسسات بديلة عن مؤسسات الدولة، كما تتطلب بحثاً دقيقاً في تأثيرها الاجتماعي والاقتصادي على ضوء وظيفتها وأدائها¹⁹⁵

¹⁹⁵ حسن جوني (ضابط مدرّب في كلية فؤاد شهاب للقيادة والأركان)، "المنظمات غير الحكومية وانعكاسها على الواقع الاقتصادي والاجتماعي في لبنان"، منشورات مجلة الدفاع الوطني، العدد 89، تموز 2014.



196



197

من مظاهر الاحتفالات بعيد المولد النبوي الشريف التي تقيمها الهيئات والجمعيات في لبنان، حيث ينصبون الزينات ويوزعون الضيافة في الطرقات على السيارات والمارة ويدخلون المدارس والمعاهد ليهنئوا الناس مذكّرين بالافتداء بمعلم البشرية.

جميلة هي تلك المظاهر على خلوها من الافتداء العملي بسنة النبي، لكنني أرجو أن يصدّق العمل المظاهر.

¹⁹⁶ لبنان، بيروت، عين المريسة، 2017.

¹⁹⁷ لبنان، طرابلس، القبة، 2013.



198

من مظاهر القمامة المنتشرة هنا وهناك في لبنان والتي تُميت فينا قيمة الجمال وحسّ التفكّر بجمال الطبيعة.

عافاك الله يا لبنان من أدرانك!

"طغى ملف النفايات على ما عداه من ملفات الساحة، ليشكل الموضوع الأبرز ليس على المستوى السياسي فحسب، وإنما بالنسبة للمواطنين الذين ضاقوا ذرعاً بالروائح الكريهة المنبعثة من أكوام النفايات التي تكدست في شوارع المدن وضواحيها، خصوصاً مع رفض سكان البلدات والقرى التي يوجد فيها مطامر ومكبات للنفايات لاستقبال النفايات تحت أي ظرف من الظروف. وقد اختلفت الآراء حول كيفية حل أزمة النفايات التي يعاني منها لبنان منذ أكثر من سنة وتضاربت آراء أصحاب الاختصاص بين مؤيد للخطة المقترحة من جانب الحكومة وبين معترض عليها وآخر له مقترحات بديلة للحل وبين رافض لإقامة مطامر في منطقته ووسط هذه المعمة من النقاشات والحوارات والمقابلات التلفزيونية حول هذه الأزمة التي تطل كل اللبنانيين دون استثناء صار لزاماً على

¹⁹⁸ لبنان، طرابلس، القبة، كانون الأول 2013.

الحكومة والبيئيين والمعنيين وكل من تعاطى هذا الشأن أن يجد الحل السريع لأزمة لم تعد تحتل انتظار.

وتعتبر الحركة البيئية أن السبب الحقيقي لأزمة النفايات، التي يعيشها لبنان منذ أكثر من سنة، يكمن في الاستراتيجية التي اعتمدها الحكومات المتعاقبة لإدارة هذا الملف، وليست ناتجة عن أخطاء تكتيكية أو تطبيقية فحسب. وإن الخروج من الأزمة الحالية يشترط الخروج كلياً من هذه الاستراتيجية، وعدم البقاء رهن آلياتها وخياراتها في البحث عن استحداث مطامر جديدة في مختلف المناطق، لذلك استنفرت بلديات بعض المناطق المعنية بالأزمة لبحث المشكلة وإيجاد دراسات وخطط شاملة تمولها الحكومة والجهات المانحة حيث بدأت تبرز نتائج متواضعة تم إنجاز القليل منها، ومنها معالجة النفايات الغير عضوية.¹⁹⁹

¹⁹⁹ عمر عزيزة، "دراسة لتمويل تدوير النفايات المنزلية الغير عضوية في طرابلس"، رسالة تخرج غير منشورة، الجامعة اللبنانية، كلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال، طرابلس، لبنان، 2016.



200

هذا نموذج عن المعارض المتواضعة التي كانت تقام في لبنان لجبر خواطر الفنانين الذين لم يجدوا في لبنان ما ينمي مواهبهم المختبئة في بيوتهم الرديئة، وكانت هذه المعارض تقام عدّة مراتٍ في السنة حسب الأوضاع الأمنية، برعاية جمعيات مختلفة هدفها الشُّهرة أولاً وربّما النفع ثانياً. وكم من مرّاتٍ حشدنا الجهود للمشاركة في معرضٍ ثم أصابتنا الخيبة حين انتهى المعرض ولم ننلُ منه إلا شهادة المشاركة –إن وجدت- وعلمنا أنه كان لنشر اسم الجمعية الراعية والجهات المشاركة وأنا كنا وسيلةً تسويقيةً لملء فراغ المكان.

²⁰⁰ لبنان، طرابلس، شارع الثقافة، الرابطة الثقافية، معرض جمعية أجيال الغد، حزيران 2013.



*201

الكبة النيئة أو "الكبة النيّة" -كما يقال لها في لغة العامّة- هي من الأطباق الشهية المعروفة في بلاد الشام وخاصة سوريا ولبنان، تقدّم غالباً إلى جانب طبق من السلطة والنعناع وزيت الزيتون، وتتكون من الكبة المفرومة والبرغل الناعم بشكل أساسي مع وجود التوابل والجوز حسب الرغبة.

"يعتبر المطبخ اللبناني من أشهى المطابخ العربية والشرق أوسطية، لما يقدمه من تنوع في الأطباق اللبنانية الأصيلة والشهية، التي تعبر عن ذوق اللبناني في فن الطبخ فالكبة النية والأرنبية، والشاورما تشرح عراقة اللبناني وتذوقه لمختلف الأصناف اللبنانية والعربية."²⁰²

*201 كبة نيئة.

²⁰² وفاء حمود وندرة قبيعة، المطبخ العربي والمقبلات اللبنانية، دار الراتب الجامعية، 1997.



203

ما أُلذها من فطور عند الصّباح! وما أجمل اجتماع الأصدقاء في العمل والمدرسة والمنزل على تقاسمها! تلك الكعكة العسرونية الساحرة المستأثرة باهتمام عامّة الناس في الشّام وبيروت وطرابلس، وربّما في أماكن أخرى من بلاد الشّام لم أعرفها بعد. والتي يقومون بحشوها بأطعمة مختلفة كالجبين والزعر والكنافة وما اشتتهه نفس المشتريين.

أسمّيها "الحقّية" لأنني كنت أراها كالحقّية منذ أن كنت صغيرة وكنت ألحّ على والدتي لشرائها لي في السّوق، وأراها الآن رمزاً لبساطة العيش في سعة التّواضع.



204

نموذج من الفطور السوري أو الترويقة اللبنانية، المشتمل على أطباق متوسطة الحجم من الألبان والأجبان والمكدوس والزيتون وزيت الزيتون مع الزعتر والشنكليش والمرّبي والفلافل مع المسبّحة (الحمّص بالطحينة) والبيض والخبز الأبيض وكأس الشاي.

²⁰⁴ لبنان، جبل لبنان، عاليه، تشرين الثاني 2014.



Facilitating transportation is a vital factor in urban planning which affects and organize whole daily life concerning citizens.

Transportations are like the blood in body which spreads in all areas to connect between every tiny aspect. Transportation lets daily life continue and let people connect with each other on live. We can transfer our activities from houses to schools, to enterprises and to anywhere.

The concept and importance of sustainable transportation network:

A sustainable transportation system is “one in which fuel consumption, vehicle emissions, safety, congestion, and social and economic access are of such levels that they can be sustained into the indefinite future without causing great or irreparable harm to future generations of people throughout the world.” *Richardson (1999)*

In my simple words I can say it's a system which could organize the forms of cities and the connections between functional points in good ways, based on practical issues of urban planning. It's a group of solutions that give the public the easiest and effective way to transporting from place to another and make trips safety. These solutions aim to find a faire balance between private and public transportations in order to get better living and stop accidents and pollution. I think the sustainability of transportation should be under governmental care in order to ensure its goal.

Actually, the effect of transportation network and physical forms of cities is mutual, both of them can effect movement of trading, economic, pollution, daily trips and so on. I see also that facilitating of transportation encourages increasing walking cycling and using public transport in place of using cars.

Problems damaged daily life in Lebanon because of irregular transportation:

²⁰⁵ لبنان، بيروت، تشرين الأول 2012.

Here in Lebanon, random transportation may damage several aspects in daily life. When you come to some place in this country and ask about some addresses you will observe directly the unregularly ways and you will be in indecision when everybody give you opposite directions. There are no traffic lights in every road, no banners give you the correct directions, no banners give the name of neighbors and no fixed fair for public transportation. Although, there're some governmental decisions, people don't respect them because they're silly. You always have to guess what just taxi that should you take and the station that you wait in, you have to be clever and to memorize everywhere you have to get it daily. If you are not habitual to Lebanese traffic, you're really in big problem because people in the street may find entertainment in give you opposite addresses; each person in the street gives the way that he finds easiest to himself.

The most important problem is the high fares for public transportation, they're really expensive even between local regions. We have to allocate big amount of our salaries to pay for trips or we have alternative solution; walking for kilometers every day!

There's no metro, no comfortable minibuses, no trains and no comfortable buses that connect between cities. The main way to transport is private car which might involve six people of more, although, it's equipped to four peoples only.

Transportation here isn't only difficult, it's also dangerous, especially during troubles which happen in Lebanon from a while to while. A lot of accidents and fights may be caused of transportation and sometimes they lead to kill someone. Also, people here use buses or vans as a way to block roads when they want to make a disturbance with the government or recommend claimants.

Sometimes we're obliged to cancel important events, miss unique opportunities, delete appointments and change our lifestyle because of difficulties in transportation.

When I made a short interview with my workmate –Nafez Dnadashi- who goes from Tripoli to Beirut every day, he told me how much it's difficult to get his destination. He said: "I can't give people fixed appointment or specific time to meet, and I always arrive late. Usually, I postpone my tasks to the next day so that people's files are done slowly, it's a trip of suffering other than enduring passenger problems"

Finally for all that reasons, I choose my actual country as having clear examples of difficult transportation and I wish find solutions. May be small initiatives change people's opinion about their city, such as establishing traffic lights, banners including names of regions, providing buses with electronic maps and machines for numbering turns. Also, we hope that the government helps great project to grow up, for example: urban transport development project, which has great tasks to Insure road safety (pedestrians & vehicles), Timing the traffic lights, monitoring the green light traffic flow and monitoring any malfunctions, Constant monitoring, directing and controlling traffic flow through the traffic-monitoring cameras and Solving and directing traffic jams and traffic operations, whether the customary or emergencies, and give orders directly to the police in charge of traffic control regarding the situation.



206

كان يوم طرابلس يوماً مميّزاً تنفّست فيه المدينة بعد عدة سنوات من الاقتتال الشعبي، وفتح الأبواب لشريحة واسعة من الناس لعرض مواهبهم ومنتجاتهم والتسويق لأعمالهم حيث شاركنا بأعمال متنوعة من الحرف اليدوية والمهارات الفنية والطبخ والغناء وكل ما يمكن أن يبدأ بمشروع صغير. وكان العرض خارج الأبواب فكرة مبتكرة كانت ولا زالت من أنجح الوسائل للإعلان بصوت عالٍ

عن شيء ما!

"شهدت طرابلس يوماً احتفالياً ضخماً تحت عنوان «يوم طرابلس 2014»، نظّمته البلدية، وشارك فيه راسميون وفاعليات وأبناء طرابلس والجوار، برعاية رئيس الجمهورية العماد ميشال سليمان.

206 لبنان، طرابلس، شارع عزمي، نيسان 2014.

وتوّجت البلدية الفاعليات بمهرجان حاشد أقيم في شارع عزمي، تحت عنوان «طرابلس أنا... ومدينتي أجمل»، شاركت فيه أطراف المدينة كافة إضافة إلى اقتصادييها وتجارها وهيئاتها الاجتماعية والمدنية.

ونقل وزير العدل اللواء أشرف ريفي، في كلمة ألقاها، تحيات الرئيس سعد الحريري إلى أبناء طرابلس، داعياً رجال الأعمال إلى «الاستثمار في المدينة بعدما ولّت جولات الاقتتال فيها إلى غير رجعة»، مضيفاً: «ليس لدينا أمن ذاتي ولا انفصال عن البلاد، بل لدينا الانتماء بكلّ فخر واعتزاز لهذا البلد رغماً عن أنف الجميع. نعيش بكرامتنا مهما حاولوا تشويه صورة المدينة أو تحويلها قندهار وطورا بورا، وطرابلس ستبقى العاصمة الثانية للبنان».

ودعا ريفي جميع أهالي المدينة «إلى العيش في وئام وسلام في مدينة العيش المشترك وليس مدينة التعصب والتشدد، فطرابلس تقول لجميع أبنائها مسلمين ومسيحيين: «هذه مدينتكم وتعزّ بكم»»²⁰⁷

²⁰⁷ أنطوان عامرية، "يوم طرابلس 2014... والمداهمات مستمرة"، جريدة الجمهورية، لقراءة المقال كاملاً: <http://www.aljoughouria.com/news/index/134995>



208

الحمص الأخضر أو الحاملة، عندما يراها الناظر على عربة البائعين لا يخيل له إلا أنها نبات للطبخ لكنه سيعلم أنها أكلة لذيذة اعتاد الناس على أن يقضوا معها أحلى الأوقات على كورنيش الميناء أو في مناطق مختلفة من طرابلس. تُباع باقّةً وتؤكل حبةً وتُسعد الروح لذةً.

"يتمتع الحمص الأخضر بطعم لذيذ شبيه تقريباً لحبوب البازلاء. وفي حين أنّ الحمص الأصفر هو الأكثر رواجاً ويستخدم في طبخات لبنانية متعددة، إلا أنه أيضاً يجب إعطاء أهمية لهذه الحبوب في شكلها الأخضر بعد أن بيّنت الأبحاث منافعها المثيرة للاهتمام."²⁰⁹

²⁰⁸ طرابلس، كورنيش الميناء، ربيع 2014.
²⁰⁹ سينتيا عواد، "كريستال ضو: إكتشف ميزات الحمص الأخضر وانعم بها"، جريدة الجمهورية، مقال إلكتروني. 21 تموز 2018.
<http://www.aljoumhouria.com/pages/view/74826>



210

مظهرٌ مؤسفٌ من مظاهر الفساد في طرابلس، طرابلس المتواضعة التقيّة الفقيرة العابثة بالنار والحجارة!

²¹⁰ لبنان، طرابلس، شارع الكنائس، محل المظلوم في شهر تشرين الأول من عام 2014 والذي تم ترميمه خلال أشهر بعد حرقه.

هناك تشتعلُ نارُ الثأرِ كلَّ أحيانٍ متقاربة بين الأهلين أو الأصحاب أو بين الحاكمين والمحكومين، وكلُّ يحاول أخذ ثأره بيده بطعنة سكين أو حرق رزقٍ أو تكسير ما بناه الغير، وما أكثر ما تتطاير الطلقاتُ أو الضرباتُ العشوائية فتصيب مستضعفاً أو من ليس له دخلٌ أو من وقع عليه حقدٌ وحن الوقت للانتقام منه، كما حدث في الصورة مع محل "المظلوم" الذي أُحرق لأسباب نفسية أو اجتماعية غامضة وأُحرق مثله محلات كثيرة في الوقت ذاته... وبكل بساطة احترق الرزق ومداد العيش بفعل فتيل نار.

لا أحد يدري إلى متى الشجار وإلى متى ستصبرُ طرابلس المتعبة وتتحمّلُ على جروحها.

"أظهرت المناقشات والمشاورات واللقاءات التي عُقدت مع عدد من الباحثين والخبراء وأهالي المنطقة، عدداً من المسائل التي يجب التوقّف عندها، منها حدّة المشاكل التي تعاني منها المناطق الداخلية، خاصة وأنها بدأت تتحوّل إلى ظواهر تنتشر في رقعة واسعة من المدينة وتهدّد الاستقرار الاجتماعي والأمن، وعدم معالجتها قد يضع المدينة على فوهة انفجار أمني وأخلاقي.

واستناداً إلى إحصاءات وزارة الشؤون الاجتماعية ووكالات الأمم المتحدة المتخصصة، يتبيّن أنّ طرابلس تعاني من:

- أدنى مستوى للدخل الفردي في لبنان.
- أعلى مستوى للأمية بين الرجال والنساء.
- أعلى مستوى للتسرّب المدرسي في الفئة العمرية (14-19 سنة)، الذي قد يصل إلى 50% في بعض الأحياء المكتظة بالسكان.
- أعلى نسبة لجرائم الأحداث، إذ شكلت نسبة جرائم الأحداث في طرابلس 40%، من مجمل جرائم الأحداث في لبنان.
- نسبة التسليف من القطاع المصرفي إلى القطاع الخاص في طرابلس هي في حدود 2% من مجمل حجمها في لبنان.²¹¹

²¹¹ مجموعة من الباحثين ضمن إطار مشروع التنمية المجتمعية المنفّذة من قبل مجلس الإنماء والإعمار الممول من البنك الدولي 2002-2008، البحث الاجتماعي السريع- طرابلس، 2005، كتاب إلكتروني، ص20.



212

بهذه الطريقة تُحفر أسماؤنا على شواهد القبور حرفاً حرفاً بأيدي عاملة ومطرقة صغيرة ودقّة عالية لا يستطيعها صاحب الشاهدة²¹³ نفسه.

²¹² لبنان، طرابلس، سوق الذهب، مؤسسة إكرام الموتى، آب 2013.
²¹³ الشاهدة: حجرٌ مستطيلٌ يوضع على القبر، قاموس المعاني: <https://goo.gl/irVOyt>



214

حفل تخرّج أُقيمت في الرابطة الثقافية كغيره من ملايين الاحتفالات لتدخل السعادة إلى قلوب الطلاب وليتراءى أصحاب الجمعيات والجهات الراعية بهذا النوع من الاحتفالات على أنهم يهتمون بأمر شباب مجتمعاتهم.

لكن العجب الصارخ هو: أين الجمعيات الراعية بعد الاحتفال؟ أين يذهب الخريجون كلّ عام؟ أين مشاريعهم؟ أين مشاريع التخرّج ومن يعمل بها في العالم العربي؟ أين؟

²¹⁴ لبنان، طرابلس، الرابطة الثقافية، أيار 2014.



215

من داخل بهو جامع المنصوري الكبير "الواقع في محلة النوري على مقربة من قلعة طرابلس الشهيرة، والى جانب سوقي العطارين والصاغة، وعدا عن أنه أقدم مساجد المدينة، فهو يعتبر أكبر مساجد لبنان إذ تبلغ مساحته 3000 متر مربع، ومساحته الداخلية 1630 متراً مربعاً، وعلى صعيد مكونات الجامع فإنها تحوي بقايا وعناصر كانت لكنيسة صليبية...

عرف باسم "المنصوري الكبير" نسبة إلى بانيه السلطان المملوكي قلاوون الملقب بالمنصور، وهو فاتح طرابلس، ومحررها من الصليبيين. وقد بني الجامع في سنة ٦٩٣ هجرية|١٢٩٤م. أي بعد مضي خمس سنوات على فتح المدينة.

أقيم الجامع على أنقاض كنيسة قديمة، بحسب المؤرخ الطرابلسي الدكتور عمر تدمري، ويعتبر بابه الشمالي الرئيسي والمئذنة من بقايا كنيسة صليبية. يعزز الاعتقاد أن مئذنته كانت في الأساس برجاً لومباردي الطراز لكنيسة حملت اسم القديسة ماري دي لاتور. ثم ما لبثت أن هدمت عند حصار قلاوون للمدينة، ولم يبق من أثارها سوى البرج، والبوابة الرئيسية ذات الطراز القوطي...

²¹⁵ لبنان، طرابلس، كانون الأول 2013.

عام 2006، قامت مؤسسة الحريري للتنمية المستدامة بترميم وإعادة تأهيل للجامع، حيث شمل العمل تمتين وتدعيم الهيكل الحجري للجامع، والمئذنة، وفق أحدث التقنيات، مع الحفاظ على الأشكال المعمارية القديمة.²¹⁶

²¹⁶ رولا حميد، جامع المنصوري الكبير: أكبر مساجد طرابلس وحاضن محطاتها، جريدة النهار، 21 حزيران 2017، مقال إلكتروني، تمت الزيارة في 22 آب 2018. لقراءة المزيد: <https://goo.gl/GZqIQ4>



217

Today, Minimalism is one of the most distinguished styles in all kinds of buildings, and it's always the most attracting style for me. So, I'll explain some useful steps to make your houses in minimalist style because it's not as easy process as it is belief. Openly, there are a lot of statements of minimalism; in brief, we can say it's an art of abstract design that confirm supreme simplification of form, as by the use of basic shapes, geometrical forms, natural materials and primary colors, objectivity, and anonymity of style. Actually, many

²¹⁷ لبنان، طرابلس، باب الرمل، أيلول 2015.

old and great palaces followed the minimalism and they were even more attractive than the most famous ones and they have unique representative art and crafts.

At first, you have to know accurately the available space you have because all your later workings will depend on it and all the construction elements will circulate around this space. The vast area makes you choose large and variant elements; in contrast, tight area forces you to think deeply how to arrange your furniture plan in an economic way. Thus, every element is multifunctional; walls may have cupboards, stairs is a place to store things by adding lockers for it and cabinets under it, bed is place to sleep during night and a sofa during the day and tables may serve at studying and preparing meals at the same time. Anyway, whatever the available space is you can apply minimalist style creatively.

As you define your border house, start to divide volumes and name each room up to your benefit. Absolutely, if you're an architect you can do this step by your own; unless, it's preferably to ask an expertise or an architect.

The next step is to decide the essential theme. It's extremely important to choose theme for your house's interior style, in order to know the concept that your furniture will follow, it also makes easier to choose the decoration elements. If you feel disconcerted, simply, do a search on Google, websites, or any engine research to find examples and ideas. Designing houses without specific concept takes long period of time and prevent the style beauty to appear and to integrate. In detail, some people choose old model of civilization, colors of rainbow, specific geometric shape, specific plant, a symbol, items lovely for girls or boys, technological things, artistic curved or straight lines and so on. You have various options around you, just use your creativity and follow your passion to choose.

To clarify your concept, do the required drawings that help showing a perspective of your concept: plan, section, front view and general perspective. Draw the plan with all dimensions, then, the other required drawing will appear easier. Keep in mind that each period has its own quality of life that reflects the hopes and aspirations of mankind.

Eventually, make your draft and draw several sketches, you may use one, two, three or many blocks to complete the whole volume. You may also use computers aided design programs to see previews for your plans before furnishing the interior. A minimal building can strike a great contrast with surrounding buildings and therefore have a strong visual appeal.

Less is More, make this rule your principle when you want to start furnish your house. That means in minimalist architecture: using the most basic and important quality of something. This principle answers the need of modern Man and has economic benefits; moreover, in the 21st century we need more spaces and less volumes in order to manage concerns of life and cost of living.

You have to be creative and to know how to distribute many elements in good circulation and good parceling. Furthermore, try to be like minimalist architects; they don't only consider the visible qualities of the building. furthermore, they search deeply into the spiritual dimension and the hidden, by understanding the figure and needs of surrounding. The apartment, decorated according to the principles of the minimalism is wider, light and

spaces are valued more than decorations and trappings. Keep the main features of the style; lucidity, fairness and stillness.

Many reasons may encourage us to follow minimalist style in our houses; it's definitely useful when we buy or sell properties and help in faster cleaning inside houses. However, the developers believed that such minimalist design could distinguish the project and appeal to the fashion-conscious new urban middle class. Also, it's help freeing us from complexity, high expenses spent on decorations, long time spent in importing materials and wasting spaces.

It's suitable to say that the idea of simplicity related to many cultures, especially the Japanese traditional culture, we can borrow and repeat their models in modern way according to our lifestyle nowadays. That's not difficult, and the primary steps to apply minimalist is mightily similar to steps in any architectural project; the differences appear later during the work and come according to tastes, senses and property. You have just to choose creatively simple shapes, decide your theme, depend on regular forms then go ahead. Minimalism is beautiful without extra decorations, but they should be minimal, clear geometric shape, to complete professionally the whole perspective. But be careful, simplicity doesn't equal the void; there's an idea says that minimalism leaves unsightly décor but we can prove the contrast if we know exactly how to extract beauty from the void and how to combine several volumes in harmonic order. Learn closely how to employ the void in artistic way; like the sea, it's vast, pure and valid but full of greatness.



218

"دَرَجُ القُبَّة"

هذا الدرج الواصل بين القُبَّة وباب الحديد، يعدُّ طريقاً مختصراً مختبئاً بين الصّخور لاختصار المسافة واكتساب الوقت وتوفير 1000ل.ل لسيارة الأجرة. حيث يحمل هذا الدَرَج على أحجاره المتكسرة المتفاوتة في الأطوال والمتعقّنة في بعض جوانبها، يحملُ مئات الناس السّاعين إلى أرزاقهم كلَّ يومٍ بين وسط المدينة والأحياء الشعبية.

يعيش على أطرافه عائلاتٌ فقيرةٌ ومتوسطةُ الحال في بيوتٍ متراكمةٍ حجارُتها بعضها فوق بعض، حتى يكاد الجارُ يرى ما بداخل منزل جاره دون عناء. وعلى الدَرَج يلعب أطفال كَفَلَق الصُّبح جمالاً كهذه الطفلة في الصورة ومثلها أطفال كثيرون يتناسون سوء حالهم على دَرَجهم ويمضون الوقت صعوداً نزولاً ولعباً وابتساماً.



219

من مشاهد الروعة في طرابلس حين لا يتسع المسجد للمصلين جميعاً فيفرشون الأرصفة ويوحدون الصفوف راكعين وساجدين.

والمشهد هذا من أمام مسجد رابطة الطلاب المسلمين في طرابلس، والتي تتمثل مبادئها بنشاطاتها ومشاريعها وما كُتب على صفحتها الرسمية على موقع الفيس بوك:

²¹⁹ لبنان، طرابلس، القبة، رابطة الطلاب المسلمين، مسجد الرابطة، 2016.



Création
1970

Activités
#بادر_أبدع_غير

À propos de moi
نؤمن بالشباب

طاقة الأمة الكامنة وقلبها النابض وأداتها الفاعلة وبالطلاب
طلبة الوطن وعقله الواعي الراشد بهم نصنع التغيير ومنهم
نحقق الإصلاح

WE BELIVE IN THE YOUTH,

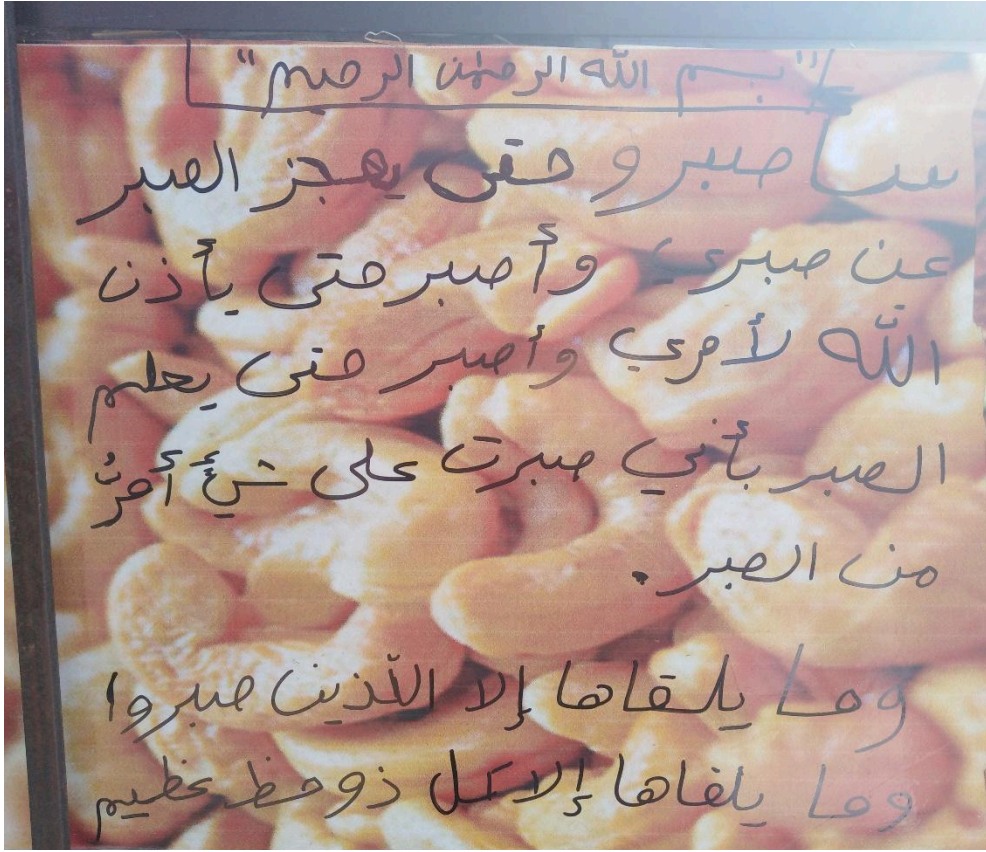
The society's energy and its beating heart... We
also believe in students who are the future of this
world. With them we make changes.
Without them, we can achieve nothing

شعارنا

علم به نسمو وعلم به نحقق الإنجازات حتى يتحقق التغيير
ويتحقق الإصلاح وتتحق رسالة الرابطة على مستوى الفرد
. والمجتمع والوطن

OUR MOTTO

Through education, we achieve
accomplishments... We make a difference. We
send the message of our association to
individuals, society and the nation.



كتب هذه العبارات العمّ "أبو الشهداء"، على عربته التي يبيع عليها المكسرات في منطقة القبة في طرابلس، ليكسب بعض الرزق وينفق على أحفاده اليتامى. ذلك أنه فقد من ست سنوات تقريباً أولاده الشبان الأربعة شهداء، خلال الأزمات في سوريا ولبنان. وما تزال نعوتهم المشتركة ملصقة على عربته أيضاً.

لا أدري تفاصيل الحكاية الكاملة ولا أعلم إلا ما يرويّه الناس عن صبر هذا العمّ على مصابه وعلى فقره. كما حاولتُ عدّة مراتٍ أن أسأله عن التفاصيل إلا أن كبرياءه منعني من الجرأة على السؤال، ولا أملك أن إلا أن أدعو له بالثبات وأشهد على صبره. إنه باختصار، مثلاً لعبدٍ صابرٍ وصورةً من صورِ الحرب.



221

تشهدُ الأبنيةُ المتكسرة والنخيلُ الباقي بعد الحرب على حجمِ الدمارِ والفقرِ الذي تخلفه غير مبالية بضيقِ العيش الذي تجرّه على الناس.

أيّ جمالٍ قد يحسّه المرءُ عندما يشاهد هذا المظهر يومياً والكثير من المظاهر المشابهة وهو ذاهبٌ ليسعى برزقه؟! وأي حافزٍ سيولد لديه عندما يرى النخيلَ يائساً والعمران مشوهاً؟! "بعضُ المباني لم يُرمّم منذ الحرب ويحتوي على فجواتٍ وثغراتٍ في جدرانها، الأمر الذي يؤدي إلى

تسرّب مياه الأمطار إلى داخل المنزل." ²²²

²²¹ لبنان، طرابلس، البازركان، باب الحديد، نهاية درج القبة، آذار 2014.
²²² مجموعة من الباحثين ضمن إطار مشروع التنمية المجتمعية المنفّذة من قبل مجلس الإنماء والإعمار الممول من البنك الدولي 2002-2008، المرجع السابق.



223

من أجمل الهدايا التي أرسلها الله لي في غربتي أصدقاء الدراسة الطيبين، حين جمعتنا الأقدار من بلدات عكار وبرقايل وفنيدق والضنية والمنية وباب الرمل والحدادين وأبي سمراء وباب التبانة والزاهرية لندرس في مكان واحد وأن نكون على قلب واحد.

أشكرهم حقاً على كل ما قدموه من ثقة واحترام، وأرجو لكل منهم مستقبلاً زاهراً عامراً يرضى الرحمن.

أما الصورة الملتقطة فهي في آخر يوم من أيام الامتحانات العملية الرسمية لاختصاص الهندسة الداخلية، في معهد دير عمار الفني الرسمي²²⁴ الذي لا أذكر منه إلا الطبيعة اللبنانية الساحرة.

في تلك السنة "صدر قرار وزير التربية والتعليم العالي إلياس بو صعب... والقاضي بالمصادقة على وثائق الترشيح لطلاب الشهادة الرسمية، لتستخدم كإفادات في الجامعات والمعاهد في الداخل والخارج.

²²³ لبنان، شمال لبنان، دير عمار، مهنية دير عمار، أيار 2014.

²²⁴ <http://techamar.weebly.com>

حمل قرار الوزير الرقم 781/م/2014 تاريخ 26 آب 2014 يستند فيه إلى رأي مجلس شورى الدولة الرقم 353/2013 تاريخ 26 آب 2014، وإلى قرار مجلس الوزراء الرقم 101 تاريخ 14 آب 2014، الذي فوّض بموجبه وزير التربية إعطاء إفادات إلى المرشحين للشهادات الرسمية للعام الحالي 2014 بعدما تمنعت هيئة التنسيق النقابية عن تصحيح مسابقات الامتحانات الرسمية²²⁵ والتي كانت قد قامت بعدة إضرابات خلال السنة الدراسة والمطالبة ببعض الحقوق دون أن تحصل على الأدنى منها. بذلك القرار الغير مخطط له والمجهولة عواقبه استوى جميع الطلاب ناجحين وغير ناجحين في مرتبة واحدة، علماً أن مثل تلك القرارات لا يحدث إلا في بلد كلبنان.

²²⁵ عماد الزغبي، آلية الإفادات، جريدة السفير، التقرير التربوي اليومي، 27 آب 2014، موقع التبعئة التربوية. تقرير إلكتروني. تمت الزيارة في 18 آب 2018.



لطالما رفعت طرابلس للنصر أعلاماً، ولطالما ساندت إخوانها المسلمين في شتى بقاع الأرض. وقد ضحى أهلها بكثيرٍ من الشَّبَابِ والأموالِ لنصرة الحقِّ أنى دعا داعيه ومتى كان، وما زالت إلى الآن تبدلُ من خيراتها لتتالَ مقامَ المدافع عن الحق. على أن لشباب طرابلس الذين في مقتبل العمر بعضَ الطيش في التخطيط للجهاد وخسروا بسبب ذلك في مواقف مرّت بهم أموالاً وأرواحاً، إلا أن اللوم لم يكن مجدياً لهم وهم يعيشون حالاً من الانخناق الاجتماعي والاقتصادي مما جعلهم ينتفضون في وجه ذلك الانخناق ويختارون منافذ لتفريغ طاقاتهم وحميتهم، ثم إن إهمال حكومة بلادهم لاستثمار الشَّبَاب ما انفكَّ يبعث في نفوسهم يأساً من الواقع ودافعاً لتغييره مهما كان سلبياً أو إيجابياً.

في هذه الصورة يظهر "علم الثورة السورية" مرفوعاً على منصةٍ لإلقاء كلمة عن الثورة والوضع الإنساني في سورية. ومثل ذلك النشاط كان يكرّر كثيراً في طرابلس وأحياناً كان يترافق مع المظاهرات الشبابية وتوزيع المنشورات التوعوية وتمثيل المسرحيات وتوزيع المساعدات الإنسانية على اللاجئين السوريين.

لكن في السنين الثلاث الأخيرة بعد عام 2013 خفّت عمليات التحرك الشبابية نحو الداخل السوري وبدا التراجع في حركة المظاهرات والمسرحيات بسبب ملاحقة الحكومة اللبنانية للشباب الذين اختاروا ذلك الطريق ولخنقتها الأمنية التي طالت اللبنانيين والسوريين.

226 لبنان، طرابلس، كورنيش الميناء، 2012.



227

"منيارَة هي سلطة المحلية اللبنانية، والتي تقع في قضاء عكار واحدة من التقسيمات الإدارية في محافظة عكار. تقع على ارتفاع 200 متر ومساحتها 113 هكتار وتقع على بعد 107 كلم عن العاصمة بيروت."²²⁸

أما سهل منيارَة فهو كما يظهر في الصورة، مساحاتٌ خضراءٌ من الخير يعيش منه مجتمعان صغيران نسبياً أحدهما من السوريين والآخر من اللبنانيين، حيث يعيش المجتمعان خلف هذه المساحات أو بين أشجارها ويتعايشان ويزرعان في أرضهم المشتركة المحبة والأمل. ومن يظنّ أن خلف هذه المزروعات مركزٌ ثقافيٌّ ومخيمٌ للنازحين يفيضُ علماً وعطاءً؟²²⁹

²²⁷ لبنان، عكار، حلبا، سهل منيارَة، كانون الأول 2014.

²²⁸ لوكالبيان- مركز المعلوماتية للتنمية المحلية في لبنان، قضاء عكار، آخر تعديل 30 أيار 2015.

²²⁹ التفاصيل في الصفحة التالية.



230

يظهر في الصورة جانب من الجدران الخشبية لمركز الإحسان الأكاديمي²³¹، هذا الصرح الثقافي الذي يقبع بين أراضي سهل منيارة، على بعد نصف ساعة من المسير من الطريق العام.

وقريباً منه مخيم الإحسان الذي تأسس مركز الإحسان على أيدي أهاليه خاصّة عائلات "حسيان وزهوري والخولي"، حيث عملوا على تأسيس المركز بإمكانات بسيطة جداً وبتمويل شخصي وبالاعتماد على تبرعات بسيطة من أصحاب الأيدي البيضاء، فضلاً عن مشاريع خيرية وطبية أخرى قاموا بها في المنطقة واستفاد منها لبنانيون وسوريون.

وكان أطفال المخيم جميعهم يرتادون المركز بانتظام لتعلم القراءة والكتابة ومبادئ اللغة ويحفظون بعضاً من قصار سور القرآن الكريم. لكن من الملفت للنظر أنهم بدؤوا أصلاً حلقاتهم التعليمية في المخيم نفسه قبل إنشاء غرف المركز الخشبية، وكان التعليم يشمل ما يقارب 60 طفلاً.

ثم تطور المركز بتمويل من جهات ألمانية وبدعم من جمعية ملاك²³² حتى وصل إلى مستوى متميز من الانتظام والتعليم الممنهج، وكان كما وصفه مديره "عبد الرحيم حسيان": ".....فأسست في 2013

²³⁰ لبنان، عكار، حلبا، سهل منيارة، مركز الإحسان الأكاديمي، أيلول 2016.

²³¹ الصفحة الرسمية للمركز على الفيس بوك: <https://www.facebook.com/alihsan.educational.center>

²³² للتعرف على جمعية ملاك يمكن زيارة موقعها الإلكتروني الرسمي: <https://www.malaak.org>

مركز الإحسان بشمال لبنان، وأصبح اسمه اليوم المركز الأكاديمي في عكار لخدمة مجتمعنا السوري اللاجئين واللبناني المضيف..... ركز برنامج التربية من أجل السلام والمناخ على تسعة محاور، وهي الأمان ومصادره، والهوية وقبول الذات والانفتاح على الآخر، والمشاعر، والتعاطف، والعنف والتعامل مع النزاع، والتواصل والحوار، والقيم المشتركة، والمواطنة الحاضنة للتنوع الثقافي والديني وحقوق الطفل. طبقنا ما تضمنه البرنامج مع 250 طفلاً بمركزنا وبمدرسة قبة شمرا الرسمية، ما أدى إلى انخفاض مظاهر العنف بينهم إلى 80 بالمائة، وحل نزاعاتهم بالحوار. يتحصن الطلاب اليوم [ضد السلوك العنيف] بالتواصل والحوار والأفكار المنفتحة، مما أدى لتحسن سلوكهم وانضباطهم، وتعاطيهم مع الإدارة والمدرسين، ومع الطلاب اللبنانيين. أدركوا أن التنوع، الذي رفعناه شعاراً بالمركز والمدرسة، يبني الوحدة ويعطي القوة. هذا ونفذ البرنامج بعدد من مخيمات اللاجئين بالشمال مع جمعيات من المجتمع المدني لتعزيز الحوار²³³

أما من الناحية الإدارية والتنظيمية للمركز فقد بذل المتطوعون فيه والأساتذة جهوداً واضحة وتضحيات كثيرة للاستمرار في تطوير المركز وللحفاظ على استقطاب الطلاب وتوجيه أهاليهم إلى تجنب عمالة الأطفال المبكرة. وإلى أن تركت لبنان في نهاية عام 2018 كان المركز يعجّ بالصفوف والدورات التدريبية والنشاطات التطوعية. وكان يشتمل على صفوف الدراسة والغرف الإدارية وغرف نزول المتطوعين وغرفة الأشغال الفنية وورشة الخياطة وغرفة الموسيقى والمرسم وفسحة الأطفال والباحة الأمامية.

إن تعلقي بالمركز والمخيم وكثيراً من المتطوعين أيضاً ممن أحببهم، جعلنا نقطع المسافات بين طرابلس وبيروت وحلبا عدة مرات في الأسبوع لزيارتهم وللمشاركة في أنشطتهم. لكن بالنسبة لي كنتُ أسفهُ لتحول المركز إلى مجمعٍ تمتاز فيه التيارات الفكرية، وإلى تغيير المناهج بشكل متسارع حتى صار المركز بلا عقيدة. كما لم أكن فخورةً بأن أصبحت النشاطات قائمة على التعددية الدينية في حين أن الطلاب معظمهم من بيئة إسلامية، وكان سؤالي: لماذا تُزرع في جيل ناشئ ثقافةً أديانٍ أخرى دون تثبيت ثقافتهم الدينية الأصلية؟

²³³ نهاد طوبالبيان، "الاجئ السوري في لبنان يفوز بجائزة 'التضامن الروحي'"، موقع المشارق، آخر تعديل: 23 تشرين الثاني 2017. مقال إلكتروني. متوفر على الرابط: https://almashareq.com/ar/articles/cnmi_am/features/2017/11/23/feature-01

إنّ التعايش واحترام الناس فرضٌ وواجب ديني، لكنّ أطفالنا عندما ينشؤون على ثقافة لادينية سيصعب عليهم في كبرهم الاستقامة على ثقافتهم الدينية الأصلية وقد يتعرضون لخطر العيش بلا دين.

على أنّ مدير المركز كان مصرّاً على أن يستمرّ تعليم الثقافة الإسلامية إلا أن التيارات الخارجية التي فرضت نفسها كانت أقوى من ظروف مدير نازحٍ وطلابٍ نازحين. لقد اشتكى طاقم العمل في المركز مراراً من عدم انتظامٍ في سير العملية التعليمية، على أننا -والحقّ يقال- كنا مخطئون عندما حكمنا أمورنا إلى من هم على غير ديننا. وأظنّ أننا حصدنا النتائج.

"إن من واجب أي مجتمع، كي يحقق نهوضه وتقدمه، أن يحافظ على قيمه، فلا يمكن أن تحقق التنمية في أي مجال بمعزل عن القيم الثقافية التي هي شرط أساسي لكل أشكال التنمية، ولهذا فإن التنصل من هذه القيم هو هدم للمقومات والهوية... فلكل مجتمع خصوصياته، والقيم الدينية من أبرز هذه الخصوصيات. وظاهرة ارتداد الأطفال والشباب عن التدين أصبحت بارزة بشكل ملفت، ومع ذلك لم تلق ما تستحقه من الدراسة والتحليل للتعرف على الأسباب الكامنة وراءها. ولعل الكتابات الحالية حول هذه الظاهرة بقيت وفيّة لمنهجها النقدي، بيد أن الأمر يستلزم إحاطة أوسع بأبعاد هذه الظاهرة بقصد إصلاح واستثمار أطفالنا وشبابنا نحو التدين.

وبما أن المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية القيمة على التربية ونقل ثقافة المجتمع وتوفير الظروف المناسبة للنمو جسمياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً. فإن دورها التعليمي والتربوي والرقابي من شأنه أن يكون لدى المتعلمين المناعة والحصانة لما يمكن أن تتعرض له القيم والمعايير من هزات.

إن طرحنا للتنشئة الدينية يأتي من اعتبارها موضوعاً أساسياً من موضوعات علم الاجتماع، إذ أن جميع المجتمعات الإنسانية تعتمد في تماسكها وتطورها على ما يتوفر لديها من فهم مشترك للعادات والتقاليد والقيم، وخصوصاً ما يرتبط بالقيم الدينية السائدة التي يدين بها المجتمع... فإذا كانت غاية الدين، أي دين، توجيه سلوك الناس توجيهها معينا، فتحقيق هذا الهدف يتطلب كل ماله صلة بتوجيه السلوك أو تغييره أو تعديله، ومن ذلك العقائد الدينية وما يتفرع عنها من وواجبات وشعائر وطقوس.

وقد رأى فيبر في دراسته للأنماط المثالية التي تحدد طبيعة تصورات الإنسان وإدراكاته ومواقفه السلوكية في المجتمع (أنه على رأس هذه الأنماط المحددة للسلوك الموجهة للفعل توجد القيم الأخلاقية والدينية).

ومن ثم يعتبر الدين من الظواهر البارزة في المجتمع التي لها تأثير هام في الحياة الاجتماعية فيقدر ما يحدث عند الفرد حوافز النهضة لترقية حياته (فإنه يقيم جماعة متينة البناء، قوامها الإخاء والاستواء والتضامن والولاء، ثم يحقق صلاح ذات البين، في المجتمع بإقامة موازين العدالة والأخلاق وتأسيس ضوابط السلوك الاجتماعي كقاعدة صلبة تضمن حسن الالتزام) وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون في المقدمة بكون الديانة (تؤلف القلوب وتوجهها إلى وجهة واحدة وتذهب بالتنافس والتحاسد وتؤدي إلى اتفاق الأهواء وتحمل على التعاون والتعاقد).

ولقد بين مالمينوفسكي في هذا الصدد الفرق بين الغرض من الدين ووظيفة الدين، بقوله بأن الغرض من الدين هو عبادة الإله، بينما إشباع الحاجات الإنسانية هو وظيفة الدين، ويؤكد دوركايم في هذا الإطار على المراقبة الاجتماعية للأفراد باعتبارها أمراً ضرورياً لا محيد عنه حتى لا ينهار المجتمع جراء وفرة الحرية، ومن ثم فالدين يساعد على وعي الأفراد بأنفسهم كمجتمع أخلاق تسوده قيم عامة، فهو يضيف القدسية على معايير وقيم المجتمع (فليس هناك مجتمع مجرد من جسم القوانين والممنوعات والمقدسات، إن هذه الأشياء الأخلاقية هي التي تكون فيه الجوهر، لأن التفوق الأخلاقي في المجتمع على الفرد هو الذي يقدم خاصة كاملة سليمة ومقبولة). ومن ثمة فالخروج عن هذه القيم والمعايير الجمعية يطلق عليه دوركايم فقدان المعايير ذلك المفهوم الذي ظهر بوضوح في مؤلفه عن الانتحار.²³⁴

أما الآن فيقول سكان المخيم أن المركز يقتصر على نشاطات تقوم بها جمعية ملاك، وأن الطلاب الذين يدرسون في المركز هم غالباً من أطفال الحضانة والصفوف الابتدائية الأولى فقط، وطاقم التدريس كله من اللبنانيين.

²³⁴ "دور المدرسة في تنشئة السلوك الديني لدى الطفل-دراسة سيكوسوسيولوجية"، مغرس- محرّك بحث إخباري، التجديد، تاريخ النشر 25 كانون الأول 2003. مقال إلكتروني. لقراءة المقال كاملاً: <https://www.maghress.com/attajdid/14492>



235

لقطة احتفظت بها من أحد نشاطات التخيم التي قامت بها رابطة الطلاب المسلمين في طرابلس²³⁶، في مدرسة الإيمان الإسلامية- سير الضنية، والذي كان من أرقى النشاطات الكثيرة التي تقوم بها الرابطة.

كانت المرة الأولى التي أتعرف بها على منطقة سير الرائعة والمرة الأولى التي أخرج فيها مع فتيات لبنانيات من صاحبات الأخلاق والذوق والنسب. حينها عرفت تماماً أن اللبنانيات لسن متشابهات ولا يحملن كلهن ذلك الطابع المعروف عنهن في وسائل الإعلام. كنّ نعم صاحبات في الرحلة ونعم الصديقات إلى الآن.

²³⁵ لبنان، الضنية، سير، آب 2012.

²³⁶ للمزيد من المعلومات حول الرابطة يمكن زيارة صفحتها الرسمية: [/https://www.facebook.com/pg/MSL.leb](https://www.facebook.com/pg/MSL.leb)



تقع بلدة سير في مركز منطقة الضنية (الواقعة في أعالي قضاء المنية- الضنية)، " تبلغ مساحة سطح السير 300 هكتار وتقع من 850 متر إلى 1100 متر فوق مستوى سطح البحر. تبعد عن طرابلس حوالي 25 كم، ويمكننا الوصول إليها من عدة طرق، أهمها طريق طرابلس - سير. هي واحدة من قرى التجمع الأول لمدن وقرى الضنية، والتي تضم بالإضافة إلى ذلك مدن بخعون ومراح السراج وبقاعصفرين وغيرها. يبلغ عدد سكانها حالياً حوالي عشرة آلاف شخص موزعون بين المقيمين الدائمين والنازحين والمهاجرين، ويبلغ عدد الناخبين وفقاً لآخر تعداد (2017) 6233 نسمة.

تعتبر بلدة سير خزان مائي ولديها أكبر عدد من الينابيع والعيون على مستوى لبنان، وتتناوب فيها المواسم بين الحرارة اللطيفة، التي تنكسر بسبب وفرة المياه والينابيع، المظلمة بأشجار البلوط والصنوبر الدائمة، والبرد الدافئ للثلوج.²³⁸

تُعرف البلدة باسم "عروس المنتجعات اللبنانية" وتسمى أيضاً "جنة القرية اللبنانية". ويقال إن اسمها الفينيقي يعني "القمة". الاسم السرياني يعني الصخور العالية أو العالية.

²³⁷ لبنان، الضنية، سير، آب 2012.

²³⁸ Localiban, 27 Nov 2007 - last update 19 Jul 2016. Available at: <http://www.localiban.org/sir-3930> .

تمتد منطقة سير غرباً لتشمل 4 مناطق عقارية و71 قرية تغطي 91% من إجمالي مساحة المنية-الضنية. كما تشكل منفذاً في اتجاه الهرمل، عبر طريق سير الضنية - جباب الحمر- الهرمل، الذي يمر عبر جبال لبنان الغربية. المنطقة غنية بالموارد الطبيعية والمائية، حيث الزراعة هي النشاط الاقتصادي الرئيسي في المنطقة.

“Sir’s charm combines in many ways: The seasons are alternating between the gentle heat, which is broken by the abundance of water and springs, shaded by perennial oak and pine trees, and the warm cold of the snow.

The town is known as the "bride of the Lebanese resorts" and is also called "the Lebanese village paradise." Its Phoenician name is said to mean "the summit". The Syriac name means high or high rocks.

Sir’s area extends west to include 4 real estate areas and 71 villages covering 91% of the total area of Minye-Danniyeh district. It forms an outlet in the direction of Hermel, via the Sir Al Danniyeh-Jabbab al-Hammar-Hermel road, which runs through the mountains of western Lebanon. The region is rich in natural and aquatic resources, where agriculture is the main economic activity of the region.”²³⁹

²³⁹ Rola Hamid, “Welcome to Syr: the bride of resorts”, An-Nahar newspaper- places, last update 14 Sep 2017. Online article, Retrieved from <https://www.annahar.com/article/661605>



240

في هذا المكان عليك أن تختبئ تحت اللحاف في فصل الصيف من شدة البرد، ولا أعلم ما حال الشتاء!

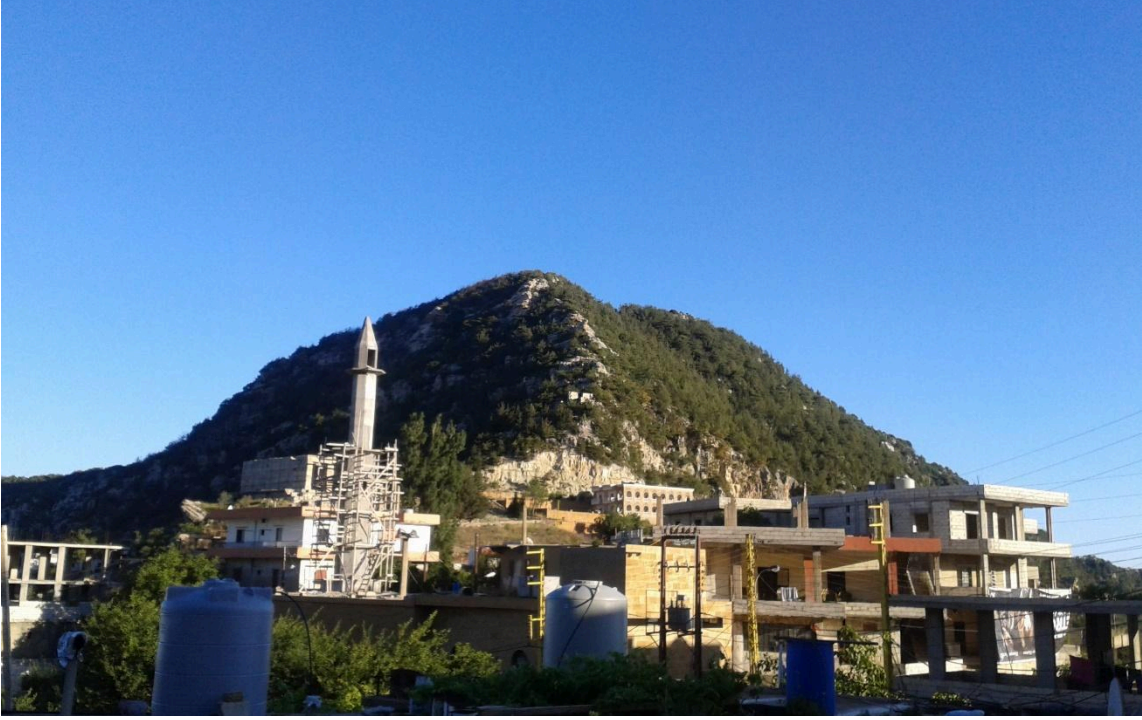
هذا المكان المرتفع حوالي 1350 متراً عن سطح البحر في بلدة السفيرة التي تنتمي إلى قضاء الضنية في شمال لبنان والتي تشكّل الطائفة السنيّة معظم أهلها.²⁴¹

²⁴⁰ لبنان، الضنية، سفيرة، قلعة الحصن، حزيران 2016.
²⁴¹ Municipal and ikhtiyariah elections in Northern Lebanon, Public sector 16, issue 92, March 2010. PDF.

"يقع الموقع الأثري المعروف «بقلعة الحصن» الذي يعدّ ثاني أكبر مجمّع ديني عائد إلى الفترة الرومانية بعد بعلبك. تعدّ «قلعة الحصن» من أهم المواقع السياحية في لبنان، وتوزّع في أرجائها المترامية الأطراف أربعة معابد وعدد من المذابح التذكارية. المعبد الكبير هو أول ما يلفت نظر الزائر، وهو بحالة حفظ جيدة على رغم فقدانه سقفه وجبهتيه إلا أن جدرانه لا تزال ترتفع بضعة أمتار. وقد حافظ على شكله الهندسي: بناء مستطيل يتألف من رواق يليه قدس الأقداس الذي يعلو عن بقية المعبد عدة أمتار. ولا يزال الزائر يدخله عابراً بوابته الأساسية الكاملة. وكما هي الحال في معظم المعابد الرومانية المبنية في الشرق الأوسط، فقد فتحت على جانبي هذا المعبد بوابتان صغيرتان تؤدي اليسرى منها إلى سطح المعبد عبر درج داخلي جُهّز في داخل الجدار، لا يزال قيد الاستعمال لمحبي الأماكن الشاهقة، وخصوصاً أن المنظر خلّاب من الأعلى، فيما ترتفع كتابة لاتينية محفورة في الحجر على جداره الشمالي. بإزاء هذا المعبد، تبدو أطلال المعبد الثاني الأقل ضخامة الذي دُمّرت جدرانه بشكل شبه كامل ولكن لا تزال بعض أعمدته في مكانها. ولم يبقَ من المعبد الثالث، الذي بُني أمام المعبدين، إلا الحجارة الضخمة المنحوتة بشكل جميل. أما المعبد الرابع، فقد فقدت أجزاءه بعدما امتدت القرية «وابتلعته». وترتفع أمام هذه المعابد وفي أرجاء الموقع المذابح المعومدة التي لم يستطيع علم الآثار حتى اليوم تحديد أوجه استعمالها بشكل قاطع. بالإضافة إلى أهمية معابد السفيرة التاريخية، يميّز موقع «قلعة الحصن» بجمال طبيعي خلّاب. فمن أعلى القمة التي تعلو هذه المعابد يمكن رؤية الساحلين السوري واللبناني. ويعني عبور هذه القمة الوصول إلى سهل البقاع، وبالتالي فقد شيد الرومان هذه المعابد على طريق الوصل بين الساحل والداخل. غير أن هذا المَعْلَم الأثري والسياحي المهم يعاني الإهمال. فقد نبئت الأعشاب البرية في أنحاءه، وبدأت الأبنية غير المرخّص لها بتشويعه محيطه مع اقترابها منه، ويبقى الخوف من ارتفاع عددها في المستقبل إذا لم تبادر الجهات المعنية إلى إيلائه الاهتمام اللازم للمحافظة عليه.

ومن السفيرة إلى كل لبنان حيث الإهمال واللامبالاة للثروات الأثرية يجتاح كل تاريخ الوطن ويغرقه في النسيان والتجاهل... نسمة هواء خفيفة قد تزيح النقاب عن تاريخ عريق من الأصالة....²⁴²

²⁴² معابد رومانية وقلعة الحصن في "مراح السفيرة - الضنيّة"، مؤسسة الرؤية للإعلام، 15 تموز 2017. مقال إلكتروني، 7 تموز 2018.



243

"السفيرة تلك البلدة التي تربض على سفح جبل المكمل، وتشرف من موقعها العالي على معظم قرى وبلدات الضنية، اختارها الرومان قديماً لبناء حصونهم وقلاعهم ومعابدهم.... هناك أكثر من رواية عن أصل التسمية فكلمة السفيرة مأخوذة من كلمة سفر أي علا وأشرق، وربّما معناها من السفارة والسفير أي ممثل، وربّما تكون قد سميت بذلك لمكانتها عند الرومان في الماضي، ومنهم من نسبها إلى الامبراطور الروماني الذي حكم (193 – 211) م وهو سبتيموس سيفيروس. نرجّح الفرضية الأولى باعتبار أنّ جغرافية البلدة ينطبق عليها ذلك، إضافة إلى ترجيح وجودها قبل العصر الروماني نظراً للآثار المكتشفة في المنطقة والتي تعود إلى العصر الفينيقي وما قبل ذلك.... تبلغ مساحة السفيرة 628 هكتار، علوها عن سطح البحر 1100 م، تبعد عن طرابلس 35 كلم، وعن سير 8 كلم، وعن بعلبعل 1100 م، ويتنصب على خدها الأيمن جبل السفيرة والذي يصل ارتفاعه إلى حوالي 1800 م والذي يضم أكبر غابة في لبنان والشرق الأوسط وهي تمتد على حوالي 3 ملايين متر مربع من أشجار الصنوبر والسنديان والشربين وهو للأسف غير مصنف كمحمية طبيعية مقارنة بغوبيات تعتبر أقل تنوعاً وجمالاً صنّفت كمحميات فهل من يبادر؟ يحيط بالبلدة من الغرب بلدات بطرماز وطاران ومراح السفيرة ومن الجنوب بلدتا بيت الفقس وقرصيتا ومن الشمال قرينا بيت

²⁴³ لبنان، الضنية، السفيرة، حزيران 2016.

حاويك وحوارة ومن الشرق بلدة كفربنين وصولاً إلى العرقوب وسد بريصا. تصلها عبر ثلاث طرق:

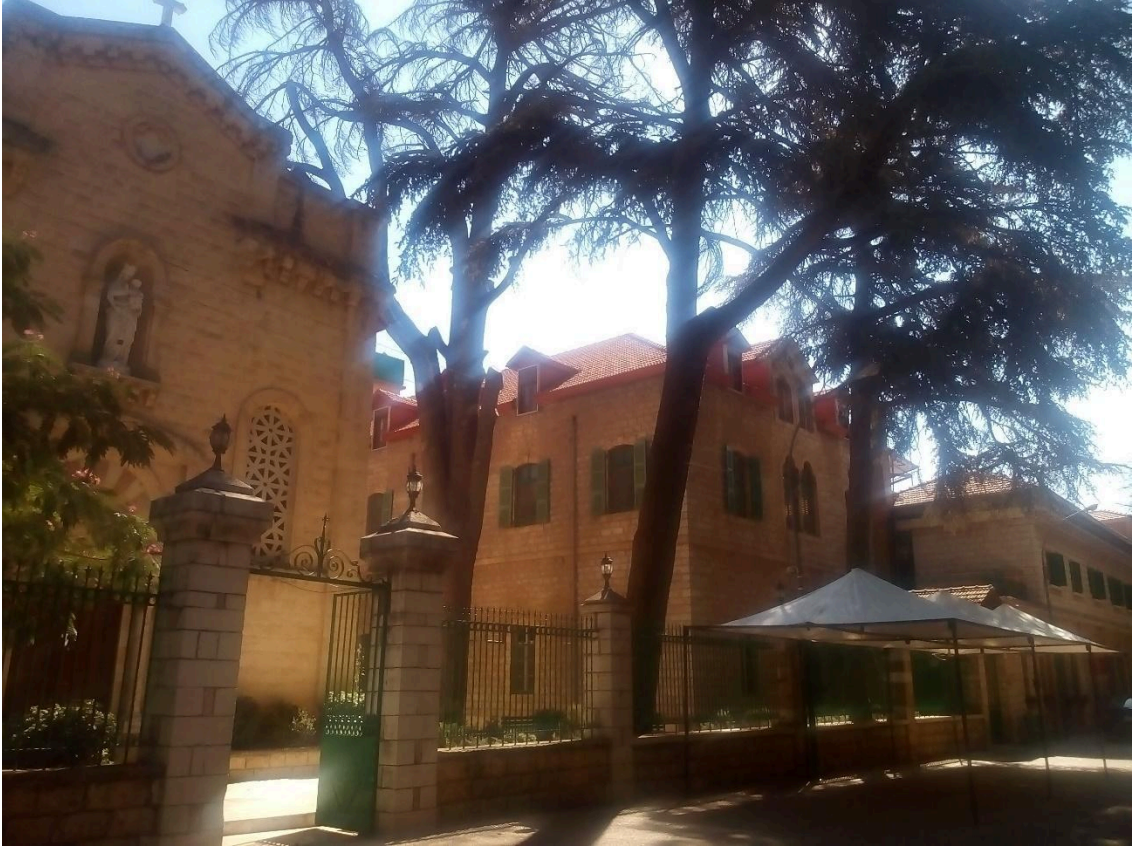
طريق عام طرابلس - سير - السفيرة

استراد بخعون - طاران - مراح السفيرة - السفيرة

بطرماز - حوارة - كفربنين - السفيرة

يبلغ عدد سكان السفيرة حالياً من المسجلين حوالي 11000 نسمة بين مقيم دائم ونازح ومهاجر، عدد الناخبين المسجلين على لوائح الشطب في الإنتخابات البلدية للعام 2016 هو 5450 ناخباً وهي تأتي في المرتبة الثانية على صعيد القضاء من حيث عدد السكان بعد بلدة بخعون²⁴⁴

²⁴⁴ مجلة صدى الضنية، "السفيرة قلعة الضنية وحصنها الأمين"، قرى وبلديات، العدد 33، حزيران 2018، تاريخ إضافة المقال: 17 شباط 2017، مقال إلكتروني، 27 تموز 2018.



245

بعض المناطق اللبنانية كـ "دير تعايل" تملأ النفس نشوةً وراحةً بطبيعتها الهادئة فقط لا لأي سبب آخر.

"شكّل دير تعايل مع حوضه المائي المتواضع متنفساً سياحياً هاماً لذوي الدخل المحدود، وجذب -ولا يزال- المئات من أهالي زحلة، شتورة، تعلبايا، قب الياس وغيرها نظراً لميزته الطبيعية، إدارته الناجحة، وقربه من أماكن سكن الرواد. فالفُرصةُ هناك متاحةٌ لتمضية ساعات طويلة وسط طبيعة رائعة أحسنت إدارة الدير المحافظة عليها وتطويرها بما يتناسب ومهام الدير المتعددة، أكاديمياً، تربوياً، بحثياً، وإنتاجياً على مستوى المواد الغذائية. وتعرف مرافق الدير عجة صباحية يقطعها حر الظهيرة إلى حين ومن ثم تتواصل مساءً، فتجد العشرات ممن يهونون ركوب الدراجات الهوائية يتسابقون بلطف ونظام، وآخرين يمارسون رياضة المشي والجري السريع، فيما يقود الأطفال حواراً مع حيوانات المحمية والمزرعة، غالباً ما يتوج بنتائج إيجابية تذهل الأهل والمتابعين على السواء،

245 دير تعايل، 2017.

ووسط هذا الموزاييك الصيفي، فسحات كثيرة لـ كوبلات آتية من مناطق بعيدة إلى ملاذ راق على شاطئ بحيرة الدير.²⁴⁶

²⁴⁶ أحمد كموني، "دير تعايل وحوضه المائي... فسحة صيف"، الشركة اللبنانية للإعلام والدراسات، مقال إلكتروني منشور بتاريخ 15 تموز، 2016.



247



247 من منزل عائلة "الساحلي" الكريمة في بر الياس، 2012.



بر الياس زهرةٌ متفتحةٌ تتوسط بقاع لبنان، بين طبيعة من السهول الخضراء المحيطة بالعمران الحضري. تمتاز بشارعها العريض الممتد من حدود المصنع إلى منطقة شتورى، وعلى جانبي ذلك الطريق أبنية ومحلات ومعارض وأسواق ومراكز كلها مفعمةٌ بالحياة والحركة، تليها من كلي الجانبين سهول ومزارع وبيوت ريفية وقل كبيرة يستقبل فيها أهلُ بر الياس الضيوف والسائحين وعابري السبيل من كل الأقطار. ولا بدّ للزائر إلى لبنان من حدود المصنع أن يمرّ بهذه القرية المباركة إذا أراد شقّ طريقه إلى شتورة أو بقية القرى في محافظة البقاع، ولا بدّ أن يتوقّف عند مطاعمها ومراكزها لينال من خيراتها ويتذوق طعم الحياة والنقاء.



248



صخرة الروشة، 2012. 248

بيروتُ المختلطةُ، المزدهمةُ، الذائبةُ طوائفها في صراعاتِ الأفكار، التائهةُ بين ماضٍ مكلوم وواقعٍ مكتوم. هناك حيث يسيطر أصحابُ المصالحِ على أرزاقِ المستضعفين ويمسكون عن الناسِ رغد العيش. وبعيداً عن ذكر التفاصيل الكثيرة وتضادّ الآراء فيها حول واقع بيروت، فيبقى جمال بيروت وسرّ حبّها من السّائحين لطبيعتها العذراء وتناغم العمران فيها بين القديم والحديث وما فيها من آثار الحروب والحضارة في آن واحد. يضاف إلى ذلك بالتأكيد مناخها الرائع ووضوح مظاهر الفصول الأربعة كالشمس والأزهار والثلج والأوراق المصفرة. وفوق ذلك بكل فخر نذكر أهلها الأصليين الأغنياء بكبريائهم وحسن أخلاقهم وأصالتهم.

أحبّها لأن فيها سجلّ عائلي وأرزاق أجدادي القديمة، وأشعر بالحمية تجاهها والانتماء الروحي، إلا أنّني لم أستطع الإقامة فيها كفتاة وحيدة ولم تمنحني الأمان لأتجوّل فيها هانئة البال. آسفٌ عندما أتذكّر أن بيروت هي المدينة الوحيدة التي رفضت توظيفي فيها بسبب حجابي، وأتمنى لو يخرج من صلبها من يصلح حالها المتقلقل ويُخرج أهلها من جور التّيه إلى عدل الاستقامة. رغم كلّ ذلك أنا سعيدة بكوني دمشقية بيروتية، فبيروت ودمشق هما شقيقتان في العراقة والثقافة، ورفيقتان في العادات والمصالح والكفاح على مرّ السنين.

تتوّج بيروت صخرة الروشة التي تبدو كجبل صغير معلق قائم في البحر، وهو في الحقيقة مغارة ساحرة تعلوها جبلة عظيمة المنظر مخضرة القبة. "تقع صخرة الروشة بالقرب من شاطئ المنطقة التي تحمل اسمها "الروشة"، وهي تعتبر أقصى نقطة غربية في بيروت. تعد الصخرة مقصداً بارزاً للسائحين واللبنانيين على حدّ سواء، وتقوم على الشاطئ المقابل لها أعداد كبيرة من المطاعم والمقاهي. يقول بعض المؤرخين أن كلمة "روشة" تجد أصلها في الكلمة الآرامية "روش" التي تعني "رأس"، بينما يقول آخرون أن الاسم إنما هو تحريف للفظ "roché" الفرنسي، والذي يعني "صخرة".²⁴⁹

لقد تحدّث عن سحرها وعن وصفها الجغرافي الكثير من العلماء، لكن ما دفعني إلى ذكرها هو ما لعبته من دورٍ في التقاء الأحابب والأصحاب في ظل الحروب الراهنة، حيث صارت منطقة الروشة ملتقى للمغتربين واللّاجئين القادمين من كل فجّ في العالم للقاء الأحابب وصلة الأرحام وإقامة الأفراح، وصرنا نرى على وسائل التواصل الاجتماعي صوراً تذكاريةً كثيرةً كانت خلفيتها الجميلة هي صخرة الروشة والبحر من حولها.

²⁴⁹ المصور في التاريخ، الجزء الثامن، لبنان والعالم العربي في العصر الحاضر، تأليف: بهيج عثمان، شفيق جحا، منير البعلبكي. دار العلم للملايين، الطبعة الحادية عشر 1998، صفحة 39.



250

كم تريحني طائرة العربية عندما تردد دعاء السفر على شاشاتها عندما نركبها.
"العربية للطيران هي الشركة الرائدة في ميدان الطيران الاقتصادي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. بدأت العربية للطيران أعمالها في شهر أكتوبر من العام 2003، وتنطلق طائراتها حالياً من مطار الشارقة الدولي إلى مجموعة واسعة من الوجهات المنتشرة في مناطق الشرق الأوسط وإفريقيا وشبه القارة الهندية وأوروبا.

²⁵⁰ على متن طائرة من طائرات شركة العربية، رحلة متجهة إلى لبنان، 2018.

الإمارات_الشارقة # مطار_الشارقة_الدولي

حصلت العربية للطيران على العديد من الجوائز، وهي تركز على توفير سفر جوي يتميز بالراحة والموثوقية ويوفر قيمة حقيقية مقابل المال.²⁵¹

"منذ العام 1932 شكل مطار الشارقة الدولي بوابة عبور للسفر عبر الإمارات العربية المتحدة بما يخدم حركة مرور الطائرات من وجهات إقليمية ودولية.

ومع الوقت، تطور المطار ليتسع للعدد المتزايد من الناقلات الدولية بالإضافة إلى شركات الطيران الإقليمية. في العام 2003 أصبح مطار الشارقة الدولي المقر الرسمي للعربية للطيران. يخولك مطار الشارقة الدولي كونه مطار ديناميكي وحديث وعصري بإنجاز إجراءات الوصول والمغادرة في وقت لا يتجاوز الـ 20 دقيقة.

يقع مطار الشارقة الدولي على بعد 10 كلم فقط من وسط مدينة الشارقة و15 كلم من إمارة دبي. وهو أيضاً يقع على بعد بضعة كيلومترات من الإمارات الشمالية أي عجمان وأم القيوين ورأس الخيمة والفجيرة.

يتيح مطار الشارقة الدولي إمكانية الوصول إلى المرفأ الرئيسية في الخليج والربط مباشرة بطرقات المرفأين البحرين في الشارقة. وهو أيضاً يتصل مباشرةً بإمارات أخرى عبر الأوتسترادات الحديثة في الإمارات العربية المتحدة التي تشكل طريقاً سهلاً للذهاب والإياب من وإلى مراكز المدن والمطارات والمرفأ.²⁵²

²⁵¹ الموقع الرسمي للعربية للطيران: <https://www.airarabia.com>
²⁵² المصدر السابق.



253

من أرقى العبارات التي تستوقفك في أحد أرقى مراكز التسوق في واحدة من أرقى مدن العالم.



254

كأنها صفةٌ مشتركة في جميع البلدان: أن يكون المصلى مكان للصلاة...

ملجأ...

راحة للنفس...

فسحة للاستراحة من عناء العمل....

أخذ استراحة بين المحاضرات....

قاعة لانتظار الأحبة والأصحاب.... وأكثر.



255

الأمان

نعمة تستوجب علينا كل الشكر والاعتناء، هذا ما يشعر به من يمرّ في بعض أحياء دبي كواحة السيليكون وما حولها.

" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا"²⁵⁶

" واحة دبي للسيليكون هي منطقة تكنولوجية واعدة. تأسست عام ٢٠٠٤ وهي مملوكة بالكامل من قبل حكومة دبي وتعتبر المنطقة التكنولوجية الوحيدة في المنطقة التي توفر بيئة للسكن والمعيشة في

²⁵⁵ الإمارات العربية المتحدة، دبي، واحة السيليكون، حزيران 2018.

²⁵⁶ سورة إبراهيم، الآية رقم 35.

الإمارات_دبي # واحة_السيليكون

آن واحد. إضافة إلى أنها منطقة حرة وتقدم مجموعة متكاملة من الحوافز والمزايا للشركات التي تمارس نشاطها داخل المنطقة الحرة.

صممت واحة دبي لتكون نظام تكنولوجي متكامل، حيث تقدم للشركات مجموعة كبيرة من المزايا القيمة التي تشمل أحدث أساليب البنية التحتية، وخدمات لقطاع الأعمال، ودعم للأعمال التجارية مثل منح حوافز للشركات الرائدة للاستثمار في قطاع التكنولوجيا، ودعم المشاريع، ومركز للحاضنات وتمويل استثماري²⁵⁷

²⁵⁷ جمعية الشرق الأوسط لإدارة المرافق، تمت الزيارة في 27 تموز 2018.



258

في صحراء العرب يستشعرون بعمق الجمال أينما كان كما في تركيا، وعلى أن أجواء الصيف الدائم المسيطرة طول السنة تمنعهم من بعض المظاهر الطبيعية إلا أنهم يبتكرونها اصطناعياً ويبثون الجمال أينما استطاعوا ولو على شرفة بناء.

الصورة ملتقطة من فناء أبراج "السيليكون غيتس" والتي تتألف من أربعة أبنية سكنية تحتوي على مئات الشقق كالأستديوهات ومنازل بغرفة واحدة أو بغرفتين أو أكثر، وتقع في منطقة واحة السيليكون في قلب الصحراء حيث تبعد عن مركز دبي التجاري عدة دقائق. يبدو جلياً في بناء الأبراج مزيجاً من العمارة الهندسية الحديثة والعمارة العربية التقليدية وتحيط بها المساحات الخضراء المصنعة والمراكز الخدمية ووسائل المواصلات. كما تقدّم إدارة الأبراج لساكنيها تسهيلات للحياة اليومية كتضمين مراكز طبية وبقالة وحضانة أطفال في الأبراج نفسها، وأيضاً تقدّم خدمة مجانية لاستخدام المسبح وصالات الرياضة والمسجد ومقاعد الاستراحة في الفناء.²⁵⁹

²⁵⁸ الإمارات العربية المتحدة، دبي، واحة السيليكون، بناء silicon gates، حزيران 2018.

²⁵⁹ Provident estate, developments, Dubai Silicon Oasis, Silicon gates 1, visited on 27 July 2018. To read the source article: <https://goo.gl/fma9xY>



260

من أرقى أنظمة العالم التي توافق جميع الثقافات المتداخلة في هذا البلد المتعدد الثقافات، حيث نستطيع أن نستلهم الأدب والأخلاق والالتزام الديني والصحي والإنساني في كل بندٍ من البنود، واللافت للنظر أنها تُنشرُ في مكانٍ عامٍ يعدُّ مركزاً لكلِّ المواطنين والسائحين والأجانب المقيمين، لا مركزاً محدوداً للمواطنين فقط.

"يعتبر سيتي سنتر عجمان أكبر مراكز التسوق في إمارة عجمان. وتزداد مساحة التجزئة الإجمالية إلى أكثر من 34,000 متر مربع ويضم المركز أكثر من 79 علامة تجارية محلية وعالمية منها أكبر مجمع كارفور هايبرماركت، و«فوكس سينما» يضم 9 صالات إلى جانب ماجيك بلانيت و18 مطعمًا من مختلف المذاقات تنتم المزيج الغني من محلات التجزئة والحياة العصرية. ويُعدُّ «سيتي سنتر عجمان» مركز التسوق الأكبر في الإمارة والمقصد الأول للقاطنين في عجمان، لما يوفره من تجربة تسوق مقرونة بتجربة ترفيهية عائلية متكاملة. ويقدم المركز العديد من الخدمات التي تؤمن الراحة للزوار، ويوفر المزيد من القيمة لزيائنه في أجواء مفعمة بالود والمرح"²⁶¹

²⁶⁰ الإمارات العربية المتحدة، عجمان، سيتي سنتر عجمان، آب 2018.

²⁶¹ الموقع الرسمي لمركز سيتي سنتر عجمان: <http://www.citycentreajman.com>



262

حتى في دولة الإمارات نجد الكثير من المطاعم السورية واللبنانية، أو الأخرى تسميتها مطاعم بلاد الشام، حيث نجد فيها مقبلات متشابهة يحبها الشاميون ومن جاورهم، فنُقدّم هذه المقبلات أمام الأطباق الرئيسية وتعتبرها بعض العائلات أغذية أساسية يلزم وجودها في الثلاجة دائماً وأبداً. من هذه المقبلات نجد الحمص بالطحينة أو المسبّحة والفتّوش والتبولة والسلطة والمُنْبَل بالبادنجان أو بالكوسا وبعض الخضراوات للزينة.



263

ليت كلّ المدن تعيش كما الحالة التي تعيشها عجمان من هدوء وانتظام واعتدال، حيث نجد الغالي والرخيص والتعب والراحة والأبيض والأسود ونجد الاحترام والبركة والذوق وأشعة الشمس الناعمة والألوان الصافية كما يبدو في الصورة، هذه الصورة التي التقطت من أبراج الخور²⁶⁴ المطلّة على الخور في عجمان.

"أبراج الخور" هي إحدى مشاريع مؤسسة العقارات الاستثمارية في عجمان، وتتألف من خمسة عشر برجاً وتشتمل على 1350 وحدة سكنية.²⁶⁵

²⁶³ الإمارات العربية المتحدة، عجمان، أبراج الخور، آب 2017.
²⁶⁴ الخور: مصب الماء في البحر أو الخليج. قاموس المعاني: <https://goo.gl/8O7SrN>
²⁶⁵ الخليج، "غالب جابر مدير عام المؤسسة في حوار مع الخليج: 5 مليارات درهم مشاريع" العقارات الاستثمارية" قبل الأزمة"، موقع أرقام، 19 كانون الأول 2010، موقع إلكتروني، آخر زيارة بتاريخ 1 آب 2018.



266

سماء معكّرة، وشمس حادّة، ورمالٌ متطايرة على أرض قاحلة...
تلك هي المنطقة الصناعية بعجمان.

²⁶⁶ الإمارات العربية المتحدة، عجمان، المنطقة الصناعية، آب 2018.

255

أختم بحمدِ الله، راجيةً أن يكونَ كتابي هذا "علمٌ يُنتَفَعُ به" ²⁶⁷* في الدنيا
ويستمرُّ بعد مماتي.

²⁶⁷* اقتداءً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" رواه مسلم.